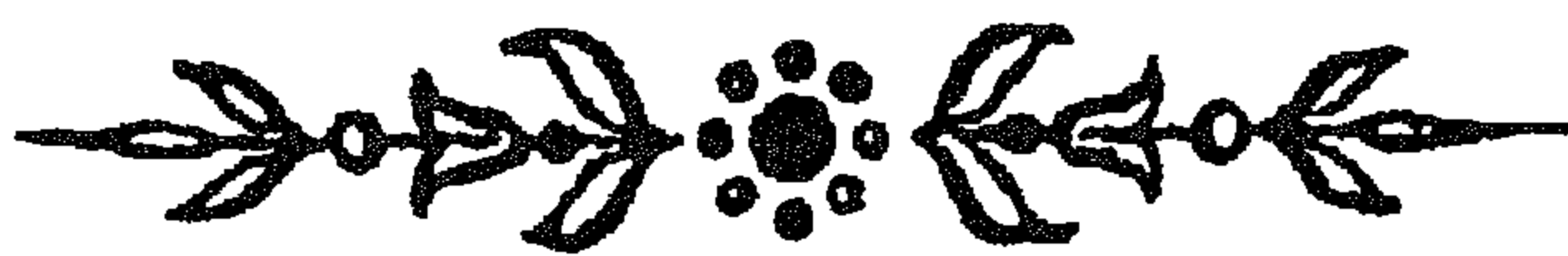
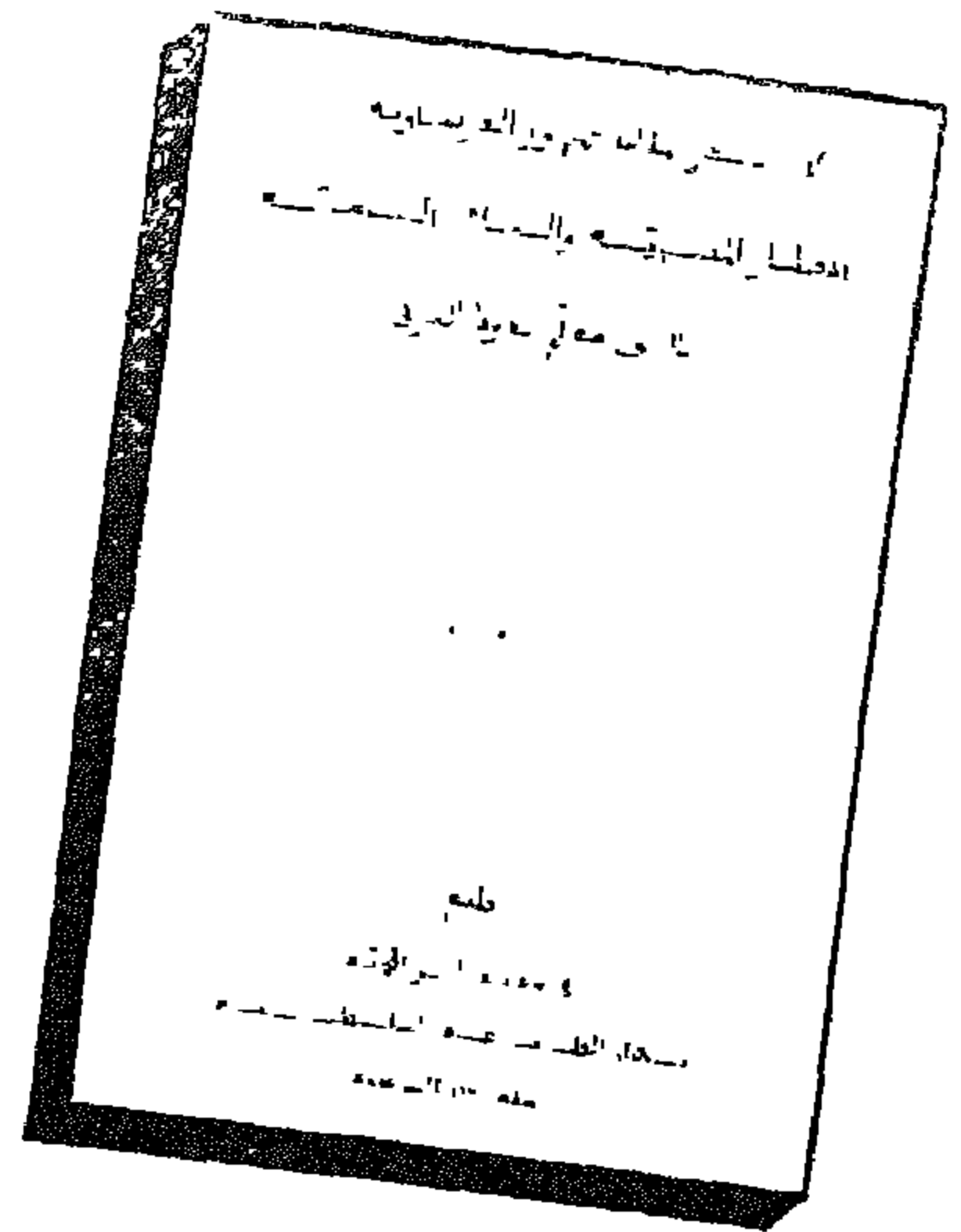


فكر
تملك جمهور الأفروخسأوية
الاقطاع المصرية والبلد الشامية

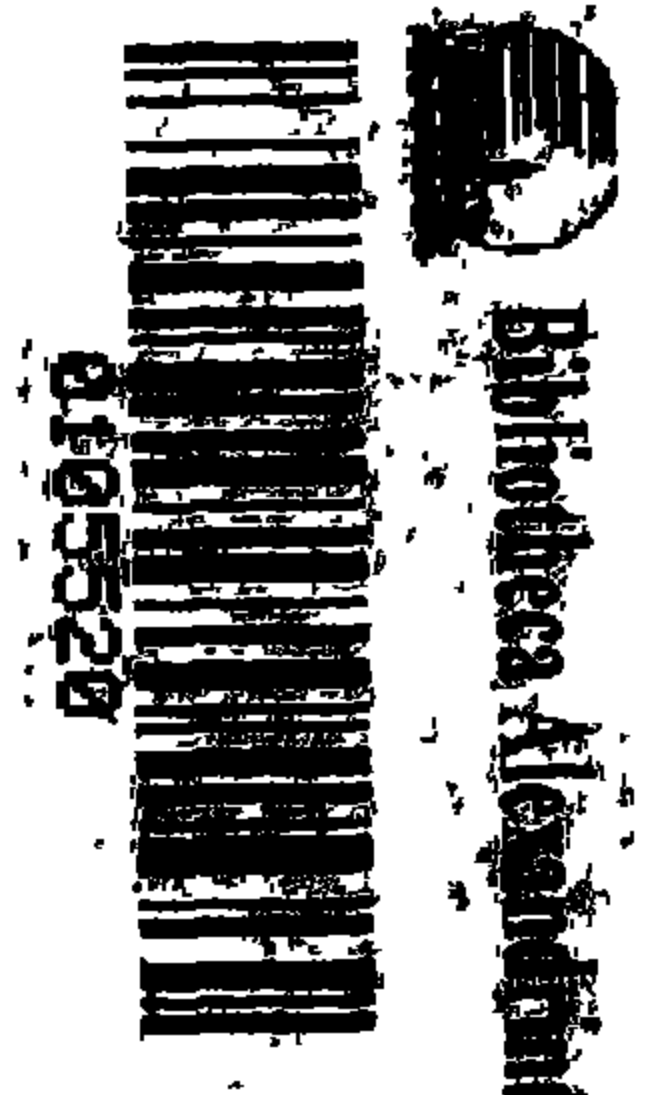
تأليف
المعلم نغولا الترك



أو

[الحملة الأفروخسأوية
لعمل مصر والقطار]

مققه وقدم له ووضع هواشيه
العميد الركن الدكتور ياسين سويد



فكر
تملك جمهوراً الفوفسأوية
القطار المصرية والبلا المشامية

مذكور
تملك جمهور الفرساوية
القطار المصرية والبلد الشامية

تأليف
المعلم نورا الترك

أو

[الحملة الفرونية
على مصر والشام]

محققه وقدم له ووضع حواشيه
العميد الركن الدكتور ياسين سويد



الكتاب	ذكر تملك جمهور فرنساوية الأقطار المصرية والبلاد الشامية [أو الحملة الفرنسية على مصر والشام]
تأليف	المعلم نقولا التركي [ك]
حققه وقدم له ووضع حواشيه	العميد الركن د. ياسين سويد
الناشر	دار الفارابي - بيروت - لبنان ص.ب: ٣١٨١ / ١١ . هاتف ٣٠٥٥٢٠ / ٠١
التنفيذ	شركة المطبوعات اللبنانية ش.م.ل
خطوط الغلاف	بسام العنداري
الطبعة الأولى	١٩٩٠

جميع الحقوق محفوظة للناشر

مقدمة المحقق

الكتاب الذي بين أيدينا هو لكاتب «شامي» اشتهر، فيما بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (١٧٦٣ - ١٨٢٨)، بالمعيتة وشاعريته وسعة اطلاعه، وبنسيج من العلاقات الحميمة التي أقامها مع الأمراء والأعيان وكبار القوم في كل من مصر وبلاد الشام. إنه «المعلم» نقولا بن يوسف بن ناصيف آغا الترك.

ويجمع الباحثون^(١) على أن «المعلم نقولا» هو من مواليد عام ١٧٦٣ في بلدة «دير القمر» عاصمة الإمارة الشهابية يومذاك، وهو من أسرة يونانية استوطنت «القسطنطينية» عاصمة السلطنة العثمانية، واعتنقت الكتلكة في أوائل القرن الثامن عشر، ثم نزحت إلى بلاد الشام حيث استقرت في عاصمة الشهابيين. ومن جراء وجودها السابق بالقسطنطينية اكتسبت تلك العائلة لقب «الترك».

وإذ نصر على اعتبار مؤلف هذا الكتاب «شامياً» فلكي ندحض، بالقرائن والأدلة التاريخية الدامغة، ما ينطوي عليه اعتباره «لبنانياً» ولد في «دير القمر»، عاصمة لبنان إذ ذاك^(٢) من

(١) البستاني، فؤاد أفرام، ديوان المعلم نقولا الترك، (ص: أ).

(تجدر الملاحظة أن طبعتي الديوان، المنشورتين من قبل مديرية الآثار والجامعة اللبنانية، متماثلتان في أرقام الصفحات وعددها، باستثناء واحد هو أن نسخة الجامعة اللبنانية نشرت في جزئين، أما نسخة مديرية الآثار فنشرت في مجلد واحد. لذا، لا يوجد أي فرق على الإطلاق بين الطبعتين). وانظر الترجمة الفرنسية للكتاب:

(Desgranges Aîné, Histoire de L'expédition des Français en Egypte P. VII - VIII).

وبذكر المترجم الفرنسي (اينيه) في مقدمة ترجمته للكتاب (P. VIII) أنه عرف المؤلف شخصياً، في بلدته دير القمر.

(٢) البستاني، المصدر السابق، ص. ن.

افتتات على الحقيقة التاريخية ، وتجاوز للموضوعية العلمية ، في سرد وقائع تاريخ هذا البلد . إذ يكفي أن نشير إلى ما كتبه «ديغرانج اينيه Desgranges Ainé» في مقدمة ترجمته لكتاب الترك ، من أنه - أي نقولا الترك - «سوري»^(٣) ، وأنه ولد في «دير القمر ، بسوريا»^(٤) ، لنذكر المدى الذي وصلت إليه عملية التضليل التي «كرستها» بعض المؤرخين اللبنانيين «كحقيقة لامراء فيها» وذلك من خلال كتابتهم لتاريخ لبنان ، خاصة إذا علمنا أن «ديغرانج اينيه» كان ، في ذلك الحين ، سكرتيراً مترجماً للملك (لويس فيليب) ، وأنه كتب مقدمته ونشر ترجمته تلك بعد إحدى عشرة سنة فقط من وفاة المؤلف ، أي عام ١٨٣٩ ، حين كانت «إمارة الدروز» أو «الإمارة الشهابية» لا تزال هي «الكيان» التاريخي المعروف لهذا الجزء من بلاد الشام^(٥) .

كان «يوسف بن ناصيف آغا الترك» والد «المعلم نقولا» من محازبي الأمير يوسف الشهابي ، أمير الشوف ، فلما هزم الأمير يوسف أمام خصمه الأمير بشير الثاني ، وفرّ من الإمارة إلى عكا ، حيث تم القضاء عليه شنقاً على يد الجزائر عام ١٧٩٠^(٦) ، تولى يوسف الترك رعاية أولاده وتقرّب من كاخيتهم ، وأشهرهم «جرجس باز» الذي انحاز إليه يوسف ، فأصبح ذا حظوة عنده ، الأمر الذي أثار حفيظة الأمير الشهابي ، بشير ، فقضى على ابني باز ، جرجس وأخيه عبد الأحد ، كما قضى على جميع أنصارهما وأنصار أولاد الأمير يوسف ، ومنهم «يوسف الترك» حيث «قبض عليه ... وأمر بقتله أيضاً ، لأنه كان متقدماً عند جرجس باز ويسمع كلامه»^(٧) وذلك عام ١٨٠٧ ، وكان «نقولا» في الرابعة والأربعين من عمره . ومع ذلك ، فإن «المعلم نقولا» ، (وكان قد اكتسب لقبه هذا من جراء ممارسته تعليم القراءة والكتابة لأولاد الذوات والأعيان في الإمارة) ، لم يتورع عن وضع نفسه بتصرف الأمير ، قاتل أبيه ، والتقرب منه ، بل ومديحه بقصائد ذاع صيتها في ذلك الزمان^(٨) .

ولكن المهمة الأهم والأخطر في حياة المؤلف ، والتي قام بها خدمة للأمير بشير ، هي تلك

(٣) «en publiant L'histoire de notre expédition d'Egypte, écrite en arabe par un Syrien» Ainé, op. cit. P.V

(٤) - «IL naquit dans L'année 1763 à Dair El - Kamar, en Syrie» (Ibid, PP. VII - VIII).

(٥) للتوسع في بحث هذه النظرية ، راجع كتابنا : التاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية ، الجزء الأول والثاني ، وراجع أيضاً : فرمان السلطاني الذي عين بموجبه الأمير بشير الثالث أميراً على «إمارة جبل الدروز» وعلى «قبائل الدروز» وذلك بتاريخ ٦ رجب ١٢٥٦ هـ (الموافق ليوم ٦ آب / أغسطس ١٨٤٠ م).

(رستم ، الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا ، ج ٥ : ٢٧٢ - ٢٧٤ وثيقة رقم

(٥٧).

(٦) راجع احداث هذه الفترة في كتابنا المذكور اعلاه ، ج ٢ : ١٢٩ - ١٦٢ .

(٧) الشهابي ، حيدر ، لبنان في عهد الامراء الشهابيين ، ج ٢ : ٥١٤ .

(٨) راجع قصائد نقولا الترك في مدح الامير بشير الثاني ، وذلك فيما اسماه : «كتاب الدر النضير في مدح الامير» ضمن ديوانه المشار اليه (ص ٢٠٩ - ٣٢٠ وص ٤٤١ - ٤٤٦) ، وفيه عدد لا يستهان به من قصائد المديح التي نظمها المؤلف تزلفاً للأمير وتقرباً منه ، خاصة بعد قتل والده ، (اي منذ عام ١٢٢٣ هـ = ١٨٠٨ م).

التي كانت في مصر خلال الفترة الممتدة ما بين عامي ١٧٨٩ و ١٨٠٤م، حيث كلفه الأمير إقامة علاقات ودّ وصداقة مع أعيان مصر وزعمائها، تمهيداً لإقامة تحالف معهم، كما كلفه «مراقبة الحالة العامة في أثناء الاحتلال الفرنسي» لمصر، حسبما يرى البستاني^(٩). وقد استطاع أن يقيم مع العديد من الوجهاء والأعيان وأصحاب المناصب العليا في المجتمع المصري، وفي الدولة المصرية، وخاصة مع أولئك المتحدرين من أصل شامي^(١٠)، علاقات حميمة سهلت، فيما بعد، لسيّده الأمير، تحالفاً قوياً ومتيناً مع حاكم مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر، محمد علي باشا.

ترى، هل كان الأمير يرغب، فعلاً، في درس أحوال الجيش الفرنسي في مصر، ليقرر، بعدها، إذا كان عليه أن يتحالف مع الغازي الأوروبي لمصر أولاً، ثم لبلاد الشام ثانياً؟ وهل ان هذه الرغبة هي التي دفعته إلى تكليف «المعلم نقولا» هذه المهمة الخطيرة، حيث كان عليه «أن يحسن المراقبة من مقره، في القاهرة أولاً، ثم في دمياط، وان يدوّن كل ما يتصل به من أخبار الجيوش وتحركاتها، وعددها وعددها، وأن يرسل بخلاصة ذاك إلى أميره»^(١١)، وذلك قبل أن يرمي برجاله في مغامرة غير مضمونة العواقب إلى جانب الجيش الفرنسي؟

ربما كان ذلك صحيحاً، ولكننا نعلم أن الأمير كان من الدهاء والحنكة بحيث أنه لم يكن لينزلق في هذا المنزلق الخطر قبل أن يتحسس موضع قدميه جيداً، لذا، نراه يتردد في أن يتجاوب مع نداءات بونابرت عند وصوله إلى أسوار عكا، ويشترط، لتحالفه معه، سقوط عكا أولاً، فظل يراوح في موقف (البين بين)، يسهل، من جهة، مرور الامدادات والذخائر إلى صاحب عكا، ويسمح، من جهة أخرى، لرعاياه، بالتعامل التجاري مع جنود الاحتلال الفرنسي في فلسطين، حيث رأيناه يطبق، وربما للمرة الأولى في تاريخنا السياسي، مبدأ «الحياد الايجابي»^(١٢).

وقد استطاع «المعلم نقولا»، في أثناء إقامته بمصر، أن يقوم بأداء المهمة التي كلفه الأمير إياها، خير قيام، وان يجمع، إلى جانب ذلك، المعلومات المستفيضة عن الأحداث التي جرت في مصر إبان الاحتلال الفرنسي، وكذلك المعلومات المستفيضة عن الغزو الفاشل الذي قام به بونابرت لبلاد الشام، وحصاره غير الناجح لعكا. وكان نتاج إقامته في «الكنانة» (كما سماها مراراً) أمرين هامّين:

الأول: تأمين «تحالف» مصيري بين محمد علي باشا، حاكم مصر بعد تحررها من الفرنسيين، (والذي تسلّم حكم مصر عام ١٨٠٥) وبين الأمير بشير، أمير الشوف.

(٩) البستاني، ديوان المعلم نقولا الترك، المقدمة (ص: ب)

(١٠) م. ن. (ص: ب ود).

(١١) م. ن. ص: ج.

(١٢) انظر لهذا الشأن: كتابنا المشار اليه اعلاه، الجزء الثاني، ص ٢٢٠ - ٢٢٤ (موقف الامير بين الجزائر وبونابرت: الحياد الايجابي).

الثاني : كتابه المرجع عن حملة بونابرت إلى مصر وغزوه لبلاد الشام . والذي نحن بصددده .

ولما عاد «المعلم نقولا» من مصر إلى دير القمر ، عام ١٨٠٤ ، التحق بخدمة الأمير ، وكان من المقربين إليه وذوي الحظوة عنده . حتى أنه ألّف مقامة شهيرة ، في العام نفسه ، وقدمها للأمير ، وهي «المقامة» المعروفة «بالديريه»^(١٣) نسبة إلى «دير القمر» عاصمة الإمارة يومذاك ، أو نسبة إلى «دار» كان يحلم المؤلف بامتلاكها ، فبنى «مقامته» على هذا الحلم ، ورفعها إلى «سعادة الأمير بشير» وإلى «جناب الأمرا أولاد سعادته» ، وإلى الشيخ بشير جنبلاط^(١٤) (مشيراً إليهم تلميحاً دون ذكر أسمائهم في المقامة) . وقد استجاب الأمير لطلبه وبنى له داراً فخمة في دير القمر (قرب قبة الشربين) لا تزال آثارها قائمة إلى اليوم . وساهم في تكاليف البناء كل من الأمير وأولاده والشيخ بشير جنبلاط ، بناء لرغبة الأمير نفسه^(١٥) .

وفي عام ١٨٠٧ قضى الأمير على والد المؤلف قتلاً ، كما سبق وذكرنا ، ولكن ذلك لم يمنع المؤلف من متابعة ارتباطه بالأمير والتزلف إليه والتقرب منه ، خوفاً أو مصلحة ، لا فرق . إلا أنه ، في نوقت نفسه ، ازداد التصاقاً بحليف الأمير ومنافسه وخصمه في آن ، الشيخ بشير جنبلاط ، ومدحه بقصائد طوال ذاع صيتها كذلك^(١٦) . ويرى البستاني أن المؤلف قد يكون التجأ إلى حمى «الشيخ بشير» في ذلك الحين «لكثرة ما نراه من مدائح الشاعر لسيد المختارة في هذه الفترة من الزمن»^(١٧) .

واستمرت دورة الحياة عادية ، بعد ذلك ، عند المؤلف ، الشاعر والمؤرخ ، ولم تصلنا معلومات كثيرة عن تفاصيل ما تبقى من حياته ، سوى أنه عاد إلى مهنة التدريس ، بعد عودته من مصر^(١٨) ، مستعيناً ، على صروف الدهر واحتياجات الحياة ، بما سبق وجمعه في مصر من «ثروة وافرة»^(١٩) ، وبما كان يحصل عليه من جراء نتاجه الشعري ، ومديحه للأمراء والمشايخ والأعيان . ومع أنه كاد يحصر مديحه بالأمير وأبنائه وانسابه ، وبالشيخ بشير جنبلاط ، فهو قد وفر لنفسه ، من هذا المديح ، مردوداً مادياً لا بأس به . ولم يكن يقتصر هذا المردود على المال فحسب ، بل كان يشمل كل ما يمكن أن يحتاج إليه المرء من المواد الضرورية للحياة مثل «الحنطة والعدس والحمص والأرز والجبن والزيت والسمن والعرق والنبيد والدخان والعطوس»^(٢٠) .

(١٣) انظر هذه «المقامة» في «ديوان المعلم نقولا الترك» ص ٣٤٤ - ٣٤٨ .

(١٤) م . ن . ص ٣٤٤ .

(١٥) انتقلت هذه الدار من ورثة المعلم نقولا الترك الى ورثة موسى سعد ، وقد تداعت وانهارت جدرانها ، ويذكر محقق الديوان (البستاني) انه اشترى أطلال هذه الدار وباشر بترميمها عام ١٩٥٥ (م . ن . ج ١ : هـ - طبعة الجامعة اللبنانية) .

(١٦) م . ن . ص ٣٨٩ - ٢٤٦ وص ٤٤٥ - ٤٤٦ .

(١٧) م . ن . ص : ب .

(١٨) م . ن . ص ٣٧٤ .

(١٩) م . ن . ص . ن .

(٢٠) م . ن . ص : هـ .

وكان الأمراء والمشايخ والأعيان يتبارون في تقديم هذه الأنواع والهدايا للشاعر الغزير الانتاج ،
المطنب في مديحهم والتزلف إليهم . وكان الأمير الكبير يخلع عليه « الفراء في الشتاء ، والسراويل
والعباء والعمائم ، وما يترتب في المواسم والأعياد خاصة » ، وكذلك « المطايا من برذون أو بغل أو
حمار »^(٢١) .

واستمرت حياة المؤلف على هذا المنوال ، رتيبة هادئة ، إلى أن أصيب بفقد إحدى عينيه عام
١٨١٦^(٢٢) ، ثم أصيب ، بعد ذلك بعام واحد (عام ١٨١٧) ، بشلل نصفي نزل بجنبه الأيمن
فأقعده :

«لأنه قد بلي في عارض خطر من العوارض منه كَلَّت الركب
«من سقطة سقطت ليلا بجانبه فهذت الحيل منه والتوى العصب
«وبات ملقى طريحاً غير مقتدر على القيام ولا رجلاه تنتصب»

كما قال هو عن نفسه ، وذلك في معرض قصيدة له بمدح الأمير حيدر أحمد الشهابي^(٢٣) .

وقد كتب إلى الأمير بشير شعرا يشكو فيه همه ويطلب منه طبيباً لمعالجته ، ويقول له :
«الترك عبدك يا مولاي قد نزلت عليه نازلة وال حال قد عظما
«وقد غدا مقعداً لا يستطيع بأن يقوم منتصباً أو ينقل القدمما
«مكسحاً لم يعد غير اللسان به محرّكاً لاهجاً يشكو به الالما
«لم يدر من فالج أو أنه عرض يزول والأمر لله الذي حكما
«يرجو طبيباً أخافهم يعالجه أعني به يوسف المشهور في الحكما»^(٢٤)

ويظهر أنه شفي من مرضه وبرىء من علته ، فكتب إلى الأمير يقول :
«بالأمس عبدكم شكاً من حالة بالغيب قد كانت له مكنونه
«واليوم صار بصفو خاطركم على أمنية وسلامة مضمونه»^(٢٥) .

وعادت بعدها عافيته إليه كاملة ، فتابع صنعته في مديح الأمير الكبير وسائر الأمراء والمشايخ
والأعيان . وحلّق في قصائده وأبدع ، وخاصة تلك القصائد التي نظم بها المزامير (مزامير داود)
شعراً ، تقرباً من الله ، ورجاء عفوّه ، وقد سماها «كتاب الزبور الالهي» ، وهو يشتمل على

(٢١) م.ن. ص : هـ - و . ويذكر البستاني ، في هذا المجال ، أسماء بعض الذين كانوا يتبرعون للشاعر
بسّاء ، مثل : المؤرخ الامير حيدر أحمد الشهابي ، والشيخ بشير جنبلاط ، والشيخ بشارة الخازن ، (م .
ن . ص : هـ) .

(٢٢) م.ن. ص : ٤٠٦ .

(٢٣) م.ن. ص : ٤٠ - ٤١ .

(٢٤) م.ن. ص : ٢٣١ .

(٢٥) م.ن. ص : ٣١٤١ .

المزامير كلها منظومة بشعر سلس وسهل الحفظ والاستيعاب « ينشده العابرون ، ويرتلّه المترنمون ، ويألفه أولاد المدارس »^(٢٦) ، بآلاً « الجهد في سبك المعاني ، على حسب المباني ، غير حايذ عن جواهر فحواها ، ولا مناف مآثر من انشائها »^(٢٧) ، وشاعت أشعاره هذه ، بالفعل ، بين الناس ، حتى أضحت تنشد وترنم ويحفظها أولاد المدارس ، كما رغب هو واشتهى .

وأحس ذات يوم ، بأن نهايته قد دنت ، أو هكذا خيل إليه ، فنظم أبياتاً خمسة لتنقش على قبره ، يوم يموت ، وهذه الأبيات هي :

يا جايزين على قبر الأثيم قفوا	مصلبين على لحد به بت
« واتلوا على تربة ابن الترك مرحمة	وسامحوني بما في حقكم عبت
« واستعطفوا الله لي صفحا ومغفرة	لأنني مت مأثوماً وما تبت
« تذكروا انني قد كنت مثلكم	بالأمس ، والآن ، يا خلان ، قد مت
« وقبل موتي يدي خطت مسطرة	يا ربّي العفو عما فيه اذنبت » ^(٢٨)

إلا أنه أخطأ في الحساب ، فلم يمت في التاريخ الذي حدده لنفسه ، وب نفسه (إذ أرخ وفاته في البيت الأخير) ، ومع ذلك ، فقد نقشت هذه الأبيات على ضريحه ، بعد وفاته ، وأضاف إليها الشيخ ناصيف اليازجي البيت التالي ، تأريخاً آخر لوفاته :

« واقبل هتافي الذي تاريخه ابداً اني على رحمة الباري توكلت »^(٢٩) .

وتوفي « المعلم بقولا الترك » الشاعر والمؤرخ ، والمادح والهاجي والمنازع والمنكّ ، وصاحب المقامات (من الديرية إلى اللبنانية فالكانونية فالمغيرية فالشمسطارية فالقاضية فالكسروانية فالعكاوية فالشوفية فالصيداوية فالعيسوية) ، وصاحب المزامير ، والدرّ النضير في مدح الأمير ، وذلك بعد أن فقد نظره في أواخر أيامه . وقد اختُلف في تحديد تاريخ وفاته ، فبينما نجد الشيخ ناصيف اليازجي يؤرخ وفاة الشاعر في العام ١٨١٦ (حسب الأرقام التي تمثلها حروف التاريخ في البيت الأخير الذي وضعه اليازجي) ، وهو أمر غير مرجّح ، نجد تأريخاً آخر لهذه الوفاة هو العام ١٨٢٦ ، وتاريخاً ثالثاً هو العام ١٨٢٨ . وقد ذكر « البستاني » في « مقدمته » لديوان المعلم^(٣٠) أن التاريخ الثاني (أي عام ١٨٢٦) أوردته مجلة المسرة (في مجلد لها لعام ١٩٢١ ص ٤١) ، وأن التاريخ الثالث (عام ١٨٢٨) اثبتته « الأب شيخو اليسوعي » في كتابه « تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر » وفي كتاب « المخطوطات العربية لكتبة النصرانية » ، وذلك « استناداً إلى ما وجدته في مقدمة تاريخه المطبوع في باريس ، وعلى ما ذكره عيسى اسكندر

(٢٦) م . ن . ص : ٣٢١ .

(٢٧) م . ن . ص : ٣٢٢ .

(٢٨) م . ن . ص : ١٧٧ .

(٢٩) م . ن . ص : ح .

(٣٠) م . ن . ص : ط .

المعلوف في «دواني القطوف» ثم في «المشرق». ويضيف البستاني «ونحن على هذا القول إلى أن يثبت خلافه بطريقة واضحة»^(٣١).

ومهما يكن من أمر تاريخ وفاة المعلم الترك، وسواء عمّر ثلاثة وستين عاماً (١٧٦٣ - ١٨٢٦) أم خمسة وستين (١٧٦٣ - ١٨٢٨)، فقد دفن في ساحة كنيسة «النبي الياس» للروم الكاثوليك في دير القمر، ولا يزال الشاهد الذي يشير إلى ضريحه قائماً في الحائط الشمالي للكنيسة، حيث حفرت الأبيات الستة التي سبق وأشرنا إليها^(٣٢).

ولم يصلنا شيء عن أسرته، وأغلب الظن أنه توفي بلا عقب^(٣٣).

★ ★ ★

لقد خلف المعلم، إذن، أثرين فكريين هامين، هما: ديوانه الشعري، وكتابه الذي نحن بصدد ذكر تملك جمهور الفرنساوية للأقطار المصرية والبلاد الشامية الذي هو واحد من المصادر المميزة لتاريخ حملة بونابرت على مصر والشام، باعتبار أن مؤلفه عاصر تلك الحملة وعاشها وراقب أحداثها مراقبة المهتم والمعني، وعبر عن أحداثها ووقائعها بأسلوب سهل وواضح وغير معقد، متدخلاً في التفاصيل الصغيرة من الأحداث، بحيث لا يجد القارئ حاجة، عند الركون إليه، للتساؤل أو الاستفسار عن حدث أو واقعة خارج النص. هذا مع العلم أننا سعينا جهدنا، من خلال تحقيق الكتاب، إلى اغناء النص بشروح إضافية زادته وضوحاً وولوجاً إلى أدق التفاصيل. وقد عثر الباحثون على عدة مخطوطات لكتاب المعلم الترك هذا، ذكر «اينيه» ثلاثة منها، وهي:

١ - المخطوطة التي نسخها بنفسه «في سوريا، عن نسخة اعطانا إياها شيخ ماروني نعرفه».

٢ - المخطوطة التي استعارها من أحد أصدقائه المستشرقين الفرنسيين، الاستاذ «كوسان دي برسفال Coussin de Perceval».

٣ - المخطوطة الموجودة في المكتبة الملكية بباريس^(٣٤).

(٣١) م. ن. ص: ن.

(٣٢) م. ن. ص: ن.

(٣٣) ذكر البستاني، نقلاً عن «عيسى اسكندر المعلوف» في مجلته (المشرق، عدد ٢٩ عام ١٩٣١ ص ٢٨٨) أن الترك، بعد أن فقد نظره، أخذ يملئ شعره على ابنته «وردة»، ولكن «وردة» هذه لا نجد لها أثراً في ديوان المؤلف. رغم أن «المعلوف» يذكر (في مجلة: الآثار، المجلد الأول، ص ٣٦٢) أنها تزوجت «بحبيب الصوصة من دير القمر، ورزقت منه بولدين اديبين توفيا بلا عقب، كما أن اخاها فتح الله توفي يافعا، فانقطع نسل شاعرنا» (م. ن. ص: ح).

- Aîné, op. cit. P. VIII

(٣٤)

ويذكر «اينيه» أن المخطوطة التي اعتمدها في ترجمته ، ثم حققها ونشرها باللغتين العربية والفرنسية بباريس عام ١٨٣٩ (وهي النسخة العربية التي بين أيدينا) ، تبدو كأنما هي نسخة مطابقة تماماً للمخطوطة الموجودة في المكتبة الملكية ، أو بالأحرى ، يبدو كأنهما نسختان عن أصل واحد ^(٣٥) ، بينما تبدو تلك التي يقتنيها الاستاذ «برسفال» أكثر اختصاراً ، إلا أنها أكثر استقامة من حيث التقيد بالقواعد اللغوية ، وتختلف عن المخطوطتين السابقتين ببعض التعابير ^(٣٦) .

ونجد ، من ناحية ثانية ، أن المؤرخ المعروف في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، الأمير حيدر أحمد الشهابي ، وهو صديق للمعلم الترك وقريب منه ، قد اثبت في «تاريخه» نسخة من كتاب الترك ، بعنوان «ذكر ما حدث إلى فرنساوية من الانشقاق والنفاق والخصام ، وخروجهم إلى الديار المصرية ، وما تم لهم بتلك الأمصار ، بنوع الاختصار ، والحمد لله العلي الجبار الذي أراح منهم هذه الديار» ^(٣٧) ويعلق المحققان (رستم والبستاني) على هذا العنوان بقولهما «هكذا في ن ١. وهو ساقط من نسخة المعلم نقولا الترك التي نشرت في باريس عام ١٨٣٩» ^(٣٨) ، ثم نجد بعدها أن النص المطبوع لكتاب الترك هذا ، والواقع بين الصفحتين ٢١٣ و ٣٤٢ ، يكاد لا يختلف عن النص الذي بين أيدينا إلا ببعض المفردات والتعابير ، ولكنه يمتاز عنه باستقامة أكثر من حيث التقيد بالقواعد اللغوية ، وربما يكون مرد ذلك ، على ما يرجح ، إلى تصرف المحققين في تصحيح بعض التعابير والمفردات والأخطاء اللغوية الواردة في النص الأصلي . هذا مع العلم أن المحققين لم يكلفا نفسيهما عناء التعليق على نص الكتاب بشروح وافية تغني القارئ عن العودة إلى بعض المعاجم والمراجع ، فجاءت هذه النسخة بعيدة عن أن تكون محققة بالمعنى العلمي للكلمة ^(٣٩) . والذي يلفت أن المحققين غالباً ما يشيران إلى (ن ١) دون أن يحددا ماهية هذه النسخة ، وهل هي مختلفة ، أم لا ، عن المخطوطات الثلاث التي ذكرها «اينيه» ، وأغلب الظن ، في نظرنا ، انها مخطوطة رابعة للمؤلف ، باعتبار أن الأمير الشهابي ، المؤرخ ، قد عاصر المعلم الترك ، وعاشه ، وصادقه ، كما قدمنا .

وعودة إلى النسخة المطبوعة التي حققناها ، فهي نسخة متكاملة في الاداء والمعنى ، تدل دلالة واضحة على ضلوع مؤلفها في معرفته الواسعة للأحداث التي جرت في مصر منذ نزول

- Obld, P. VIII - IX.
- Ibid, P. IX.

(٣٥)

(٣٦)

(٣٧) الشهابي ، تاريخه ، ج ٢ : ٢١٣ .

(٣٨) م . ن . ص : ن . حاشية (١) .

(٣٩) يشير المحققان إلى ذلك في ختام الحاشية رقم (١) ، ص ٢١٤ ، حيث جاء فيها : «هذا وقد رأينا شيئاً من الاختلافات الطفيفة بين تاريخ نقولا الترك المطبوع ونسخة الامير حيدر ، فلم نشر إليها ، لأن قصدنا نشر تاريخ الامير حيدر كما هو ، فحسب» . والمقصود بالتاريخ المطبوع هو نسخة باريس (التي هي بين أيدينا) وقد ذكر المحققان ذلك في مطلع الحاشية نفسها .

الجيش الفرنسي على أرضها وحتى خروجه منها، مع نقص، مبرر ولا شك، في التفاصيل المتعلقة بما دون ذلك، مثل (ذكر الثورة الفرنسية) و (ذكر الحملة على بلاد الشام) وغياب تام، وغير مبرر، للحواشي والهوامش، إذ أهمل المؤلف شرح الكثير من الأمور التي كانت بحاجة إلى شرح وتفسير. وإذا علمنا أن المؤلف يجهل اللغة الفرنسية جهلاً تاماً، نستطيع أن نقدر الجهد الذي بذله في إصدار كتاب من هذا النوع زاهر بالمعلومات عن الحملة الفرنسية على مصر، حتى التفاصيل أحياناً، متغاضين عن بعض الأخطاء في المضمون، والتي أشار إليها «اينيه» في مقدمته للترجمة الفرنسية للكتاب، خاصة وأنها أخطاء لا تمس جوهر الأحداث والوقائع^(٤٠). أما ما عدا ذلك من أخطاء، وخاصة اللغوية منها، والتي هي كثيرة لا تحصى، باعتبار أن الكتاب أقرب إلى العامية منه إلى الفصحى، (وساعد على تكاثر الأخطاء اللغوية تغليب الكاتب لأسلوب السجع في معظم الكتاب على الأسلوب الانشائي العادي)، فلم يكن ممكناً حصر تلك الأخطاء، وتصحيحها جميعها، وإلا، لفقد الكتاب، بصورة تامة، شكله الأصلي، وهو ما يتنافى تنافياً مطلقاً مع القواعد العامة والمبدئية لأي تحقيق أو مراجعة، حيث يجب أن يحتفظ النص الأصلي بشكله ومضمونه، باستثناء ما يمكن أن يثير التباساً في فهم النص أو يبقيه غامضاً غير مفهوم. وفي أي حال، يجب أن يتوقف أي تصحيح أو تحويل في النص الأصلي عند حدود القاعدة العامة: الاحتفاظ بأسلوب المؤلف، شكلاً وجوهرًا، وعدم المس به بالقدر الذي يفقده أصالته. ويجب أن يشار إلى ذلك بوضوح، في كل حال. هذا مع المحافظة على المعنى محافظة أمينة وتامة.

وقد قارنا النسخة التي بين أيدينا، بترجمتها الفرنسية، فرأينا اختلافاً في بعض النصوص، أشرنا إليه في حينه (مثلاً: وصية الملك لويس السادس عشر، وشروط الصلح الأولى والثانية) وقد اعتمدنا، بالطبع، الترجمة الفرنسية لهذه النصوص، باعتبارها الأصل، كما قارنا بين هذه النسخة وبين ما ورد في كتاب الجبرتي (عجائب الآثار في التراجم والأخبار) وأشرنا إلى بعض الاختلاف في نص المنشور الذي أصدره بونابرت إلى الشعب المصري عند دخوله إلى مصر، وهو باللغة العربية (ص ١٨ - ٢١ من النسخة المطبوعة بباريس، وص ١٨٢ - ١٨٤ من الجزء الثاني من كتاب الجبرتي)، وكذلك إلى الاختلاف في تفاصيل بعض الوقائع والأحداث.

المنهجية المتبعة في التحقيق :

وقد اتبعنا، في تحقيق الكتاب ومراجعته، منهجية محددة نوجزها بما يلي :

- راجعنا الكتاب مراجعة عامة، فضبطنا نصوصه، بالفواصل والنقاط، وعلامات الاستفهام

(٤٠) أشار «اينيه» إلى هذه الأخطاء وأعطى مثلاً عليها: عديد الجند في مختلف وحدات الجيش الفرنسي، وعدد القتلى والجرحى والأسرى في بعض المعارك. كما أخذ عليه أنه «لم يحدد تحديداً دقيقاً مدى نجاح كل قائد من القادة في المعارك التي خاضها «وانه» لم يكن، أحياناً، أكثر من مردّد لصدى الشائعات والأخبار المتداولة في القاهرة» (Ibid, P. VI).

أحياناً ، وقسمناه جملاً وعبارات ، ورتبناه فقرات تختلف طولاً باختلاف تواصل المعاني والأفكار ، ووضعنا لبعضها عناوين لم يضعها المؤلف ، وعمدنا إلى سدّ النقص الناتج عن إهمال المؤلف لتفسير ما يجب تفسيره في هوامش وحواشي كانت ضرورية ، فاضفناها جميعها ، وصوّبنا بعض الألفاظ والعبارات ، واضفنا ما يكّرم المعنى إضافته من كلمات ، وحذفنا ما يكّرم حذفه منها ، ووضعنا كل تصويب في النص ضمن إشارتين على الشكل التالي [] ، وأشرنا إلى ذلك في الهوامش ، كي نحفظ للكتاب نصّه الأصلي .

- شرحنا كل ما يجب شرحه من كلمات ، فصحي وعامية ، عربية وأجنبية ، سواء كانت أسماء أعلام أم كلمات عادية ، مستعنين ، لذلك ، بعدد من المعاجم والمصادر والمراجع اثبتناها جميعاً في آخر الكتاب . وقد سعينا جهدنا لنخترق الإبهام المحيط بالألفاظ العامية التي استخدمها المؤلف في أغلب الأحيان ، كي يتم توضيحها وتفسيرها للقارئ الكريم ، وقد تمكنا من ذلك إلى حد كبير .

- اكتفينا ، في تصحيح الأخطاء اللغوية الكثيرة ، بتصحيح تلك التي يمكن أن تؤثر في المعنى فتحوّره أو تغيّره ، لو تركت على حالها . أما باقي الأخطاء ، التي لا تؤثر في المعنى ، ويعيها القارئ بيسر ، فقد آثرنا تركها على حالها ، كي نبقى للكتاب « طابعه » الخاص الذي يميز أسلوب كاتبه .

- بادرنّا ، في أثناء تحقيقنا للكتاب ، إلى التوقف عند ما يمكن أن يشكل في نظرنا ، مغالطات تاريخية واردة في النص ، سواء في تأريخ الأحداث أو في سرد مجرياتها ، أو في تفسيرها وتأويلها . ولم نتردد في ابداء رأينا بوضوح في هذه الأمور ، مؤيدين قناعاتنا بالأسانيد اللازمة .

- وفي الوقت نفسه ، جهدنا في إيضاح ما يجب إيضاحه من أفكار وأحداث وردت في عبارات غلب عليها طابع الغموض والإبهام ، إما لعلّة في النص أو لقصور في توضيح المراد ، وقد لجأنا ، في سبيل ذلك ، إلى مختلف المراجع التي بين أيدينا ، وخاصة : ترجمة « إينيه » الفرنسية للنص العربي ، وتاريخ الجبرتي ، ونسخة الشهابي ، وما بين أيدينا من موسوعات ومعاجم .

يبقى أن نشير ، ختاماً ، وبإيجاز كلي ، إلى ما تضمنه الكتاب من أبحاث : فقد بدأ المؤلف كتابه في سرد لمحة موجزة عن الثورة الفرنسية ومصير الملكية في فرنسا ، ثم انتقل إلى وصف مسير بوناپرت إلى مصر بحراً ، وحروبه فيها واستيلائه عليها . ثم تحدث ، بأسهاب ، عن فترة الحكم الفرنسي لمصر ، واصفاً بعض المناسبات المميزة وسلوك (أمير الجيوش) تجاهها ، مثل : ما صنعه أمير الجيوش في فيضان النيل ، وما صنعه بمناسبة عيد مولد النبي (صلعم) ، وما صنعه بمناسبة عيد الثورة الفرنسية إلخ ...

وانتقل بعد ذلك ليصف حملة بونابرت على بلاد الشام وحصاره لقلعة العريش ، واحتلاله لغزة ويافا ، وباقي معاركه في بلاد الشام . ثم حصاره لعكا وعودته عن ذلك الحصار بعد أن أصيب جيشه بالطاعون ، ووصول أنباء من فرنسا بأن مؤامرة تحاك ضده هناك . ثم عودته إلى باريس خلصة ، وتكليف الجنرال كليبر قيادة الجيش الفرنسي في مصر . وما تبع ذلك من مفاوضات بين العثمانيين والفرنسيين لجلاء هؤلاء عن تلك البلاد . ثم ذكر شروط الصلح ونقض تلك الشروط بسبب تعنت الانكليز وعدم السماح للجيش الفرنسي بالخروج من مصر إلا بشروط ، وعودة القتال في مصر بين الفرنسيين والعثمانيين ، ومقتل الجنرال كليبر على يد سليمان الحلبي ، الشامي الجنسية ، وتسلم الجنرال « منو » قيادة الجيش بعده .

وينتقل المؤلف ، بعد كل هذه التفاصيل المثيرة ، إلى وصف القتال الذي جرى بين الفرنسيين من جهة وبين الانكليز والعثمانيين (الذين أبرت جيوشهم في خليج أبي قير) من جهة أخرى . ذلك القتال الذي انتهى إلى مفاوضات بين الفريقين ، تم على أثرها وضع شروط جديدة للصلح (غير الشروط الأولى) ، وهي التي جرى على أساسها تنظيم انسحاب الجيوش الفرنسية من مصر بصورة نهائية .

ومما يجدر ملاحظته ، في ختام هذه المقدمة ، ان المؤلف لم يخرج ، في سياق وصفه للأحداث والوقائع والمعارك ، عن طبيعة السرد المجرد ، حيث لا رأي ولا تحليل ولا فكرة شخصية يبدئها ، في سياق السرد ، تغير ، ولو قليلاً ، من رتبة الوصف ، كأنما هو صحفي تلك الأحداث ، يرويها كما سمعها وكما وصلت إليه ، دون زيادة أو نقصان . وإذا كان هناك شيء من حماسة أو حرارة في وصف الوقائع والمعارك ، فهو إما تحيز إلى موقف (وغالباً ما كان تحيزاً لموقف المحتل الفرنسي) ، أو تحيز ضد آخر (يقرب أحياناً إلى درجة التشفي) .

عسى أن نكون ، في تحقيقنا لهذا الكتاب القيم ، قد قدّمنا إلى القارئ العربي ما نحن راغبون في تقديمه من فائدة علمية مرجوة ، وقدّمنا إلى المكتبة العربية سفرأ نفيساً ، يروي ، تارة ببراءة ساذجة ، وطوراً بحماسة مغرضة ، أحداث الحملة الفرنسية على مصر وبلاد الشام ، ولكنه يظل ، في كل حال ، مرجعاً مهماً لأحداث مرحلة مهمة من مراحل تاريخنا القومي .

بيروت في ١٣ أيار / مايو ١٩٨٩ .

العميد الركن د . ياسين سويد .

فاتحة الكتاب

بسم الله الحي القيوم، الابدى الازلى، الدايم السرمدى، الواحد الاحد، الفرد الصمد. الذى لا رب غيره، وسواه لا يُعبد. من خلق السماوات وزينها بالكواكب السائرة والنجوم الساهرة، وبسط الارض واتقنها بحكمته الباهرة وقدرته القادرة. وصنع الانسان وولاه على سائر ما ابدع في دنياه، وجمله في العقل الفايق والذهن الرايق، وامره بالسير على الحق وحفظ السنن، وخلوص الود للخلق وترك الفتن. نحمده سبحانه وجلّ شأنه حمداً يليق بعزته ذات الجلالة، ما بزغ بدر واشرقت غزاة^(١).

اما بعد، فيقول العبد الضعيف صاحب هذا التاليف انه، اذ قد جرت عادة الاوائل بتاليف الكتب والرسائل، وذكر ما يمرّ عليهم من الحادثات الكونية والحركات الكلية، كقيام دولة على دولة، وانتشار الحروب المهولة، وما يتعلّق بها من المواقع المريعة والامور الفظيعة، فحقّ لنا ان نورّخ في هذا الكتاب، لانتفاع الطلاب، ما حدث من التغيير والانقلاب بما اجرته يد الاقدار في هذه الامصار، وما اذنت به العزة الالهية بظهور المشيخة^(٢) الفرنساوية، وما تكون بسببها من الفتن في البلاد الافرنجية وديار الرومية^(٣) وقتل سلطانهم وخراب بلدانهم وانتشار شانهم، وربحهم من بعد خسرانهم، وذلك بظهور فرد افرادهم^(٤) وقايد اجنادهم، الليث الشديد والبطل الصنديد، امير الجيوش الامير بونابرته. وذكر الحروب التي ثارت بتلك الممالك، وحدوث الشرور والمهالك، وقهر

(١) الغزاة : الشمس .

(٢) المشيخة : الجمهورية .

(٣) ديار الرومية : ديار الروم، وكانت تطلق على بلاد الشرق .

(٤) فرد افرادهم : قائد قادتهم .

البلاد التي اتصلوا اليها، والانتصارات العظيمة التي حصلوا عليها، بانتقالهم الغريب من الغرب إلى الشرق، ومرورهم العجيب اسرع من البرق، ونزولهم على جزيرة مالطة كالصواعق الهابطة، وفتوحهم ثغر الاسكندرية واستيلائهم على الاقطار المصرية، وذكر ما تم لهم من التملك في حروبهم مع جملة الغز^(١) والممالك، ومسيرهم على الاقطار الشامية، ومحاصرتهم لمدينة عكا القوية، مسكن ذاك الوزير الجبار المعروف باحد باشا الجزائر^(٢)، ورجوعهم الى ارض مصر وما تم لهم في ذلك العصر، وكفاحهم مع الدولتين العظيمتين الدولة العثمانية والدولة الانكليزية، ومصادماتهم للعساكر البرية والبحرية، وخروجهم من مصر القاهرة بالتسليم من بعد حروب وافرة وهول عظيم، وذلك في مدة ثلاثة اعوام في التمام، وابتداءها شهر محرم الحرام افتتاح عام الف ومايتين وثلاثة عشر هجرية^(٣)، وآخرها شهر ربيع الثاني عام الف ومايتين وستة عشر بالهجرة الاسلامية^(٤). ثم يتلوه ذكر تملك الدولة العثمانية والدولة الانكليزية من بعد خروج الدولة الفرنسية. وذكر ما تم لهم مع زمرة الغز والممالك المحمدية من بعد فتوحهم مصر الكنانة، وبالله القوة والاعانة.

[ذكر الثورة الفرنسية] (*)

انه في سنة ١٧٩٣ مسيحية الموافقة لسنة ١٣٠٧ هجرية، حدثت في مدينة باريس بلبلة عظيمة، إذ هاج شعب هذه المملكة هياجاً عظيماً، وتظاهر ظهوراً جسيماً ضد السلطان^(٥) والامراء والاشراف، في يوم كان شديد الارتجاف. وبرزوا الكمين منذ اعوام وسنين، وطلبوا نظمات جديدة وترتيبات حديثة، وادعوا ان وجود السلطان بصوت منفرد^(٦) احدث خراباً عظيماً في المملكة، وان اشرافها يتنعمون في خيراتها وباقي شعوبها يكابدون اتعابها ومشقاتها. فلاجل ذلك نهضوا جميعهم سوية، تلك الشعوب الفرنسية، ودخلوا الى سراية الملك فخاف منهم خوفاً

-
- (١) الغز = مفردا غزى مثل رومي، وهم جنس من الاتراك المحاربين اقام في مصر وبلاد الشام.
- (٢) المعروف ان حملة بونايرت على عكا عام ١٧٩٩ قد جرت في وقت كان الجزائر واليا على عكا، وكان الامير بشير الثاني الشهابي أميراً على الشوف، (أو الامارة الشهابية).
- (٣) يبدأ شهر المحرم عام ١٢١٣ هـ بناربخ ١٥ حزيران / يونيو عام ١٧٩٨ م. وقد وصل الجيش الفرنسي إلى الاسكندرية في السابع عشر من هذا الشهر من العام المذكور، الموافق للاول من تموز / يوليو عام ١٩٧٨ م.
- (٤) يبدأ شهر ربيع الثاني عام ١٢١٦ هـ. بتاريخ ١١ آب / اغسطس عام ١٨٠١ م.
- (٥) السلطان: الملك، ويقصد ملك فرنسا لويس السادس عشر الذي قامت في عهده الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ ونفذ فيه حكم الاعدام على المقصلة ببباريس، بتاريخ ٢١ كانون الثاني / يناير ١٧٩٣.
- (٦) بصوت منفرد: بقرار منفرد (ويقصد استبداد الملك بالرأي والقرار).
- (*) تسهيلاً للقارىء، رأينا ان نضيف على الكتاب عناوين لم تكن موجودة في النسخة الاصلية التي حققناها، وذلك بعد وضع هذه العناوين بين اشارتين [].

عظيماً مع ارباب دولته ، وسألهم عن مرامهم^(١) والسبب الداعي الى قيامهم ، فاعلموه انه ، من الان وصاعداً ، لا يبرز الملك امراً او يبت رأياً من تلقا [ء] ذاته ، بل يكون بث الاحكام والترتيب والنظام بموجب ديوان عظيم ومحفل جسيم^(٢) ، ويكون الملك له الصوت الأول ، ثم من بعده مشايخ الشعب الذين عليهم المعول ، فبذلك يهون الصعب ويرتفع الظلم عن الشعب .

فلما فهم الملك لويس [السادس عشر] قيام هذا الشعب المذكور وما ابدوه من تلك الامور اجابهم : وايضاً انا اودّ عمار هذه المملكة وخيرها ، واطيع لما تروه مناسباً لرفع ضررها وضيرها . فقالوا له : ان كنت كما زعمت ، اختم لنا الشروط التي تلائم اصلاح هذه المملكة وقيام المشيخة . فقبل ذلك خوفاً من الشعب ، وختم لهم الشروط التي قدموها .

ثم بعد أيام جهّز الملك نفسه للهرب ، وخرج ليلاً من مدينة باريز وصحبته اخوه وبعض اصحابه ، قاصداً الامبراطور ملك النمسا لانه كان نسيبه ، شقيق زوجته . وعند ما بلغ مشايخ الشعب خروج هذا الملك جدّوا في طلبه ، فوجدوه في إحدى اللوسطاريات^(٣) التي في الطريق ، فقبضوا عليه ورجعوا به الى المدينة ، ووضعوه في السجن مع امرأته وولده ، واما اخوه فانه نجى منهم وسار الى بلاد النمسا . وبدأ جميع الشعب يصيح صارخاً : فليقتل الملك بموجب الشريعة ، لانه نكث في عهده مع شعبه ، وقد هرب لكي يلتجى الى ملك النمسا الذي هو اخو زوجته التي قد تسبّب لنا هذا الخراب بسببها . ثم ان بعد ما سجنوا الملك اربعة اشهر احضروه امام الشعب في يوم الاثنين في الحادي والعشرين من كانون الثاني ، وقد ابرزوا عليه الحكم بالموت ، فطلب الملك لويس ان يخاطب عيلته والمتوكّلون^(٤) عليه احضروا له امراته وبنته وشقيقته واستمروا معه في المكان الذي كان ياكل فيه نحو ساعتين ونصف . وخاطب ابنته مريم انطونينا^(٥) قائلاً لها : تعلمي من مصايب والدك ولا تجزي من موتى^(٦) . وطلبت عيلته منه ان ينظروه عند الصباح فلم يجبهم

(١) مرامهم : مبتغاهم

(٢) ويقصد بذلك ان يساعد الملك في الحكم وزارة وبرلمان ، فيصبح الحكم شوري ولا يظل استبدادياً .

(٣) لوسطاريات : خانات (Hostelleries) ، وهي فنادق قديمة كانت تقام على طول الطريق لإيواء المسافرين وخيولهم ، وقد اكتشف امر هرب الملك عند نزوله ، وزوجته ، في خان عند بلدة «فارين Varenne» بالقرب من «فردان Verdun» ، كشفه فلاح هناك .

(٤) هكذا وردت في الاصل ، والصواب : المتوكّلين . والمتوكّلون عليه : حراسه والقائمون على خدمته .

(٥) هكذا وردت في الاصل ، والصواب : ماري تبرير ، لأن زوجته الملكة «ماري انطوانيت» اعدمت بدورها على المقصلة ، ببarris ، بتاريخ ١٦ تشرين الاول / اكتوبر ١٧٩٣ .

(٦) اي لا تنتقمي لموتي .

الى ذلك . وفي الصباح ااعلموا^(١) المتوكلون عليه ان الجمهور قد حكم عليه بالموت ، فطلب الملك لويس دقيقة لكي يتكلم مع معلم اعترافه فاذنوا له بذلك ، ثم اعرض^(٢) مغلفاً على احد المتوكلين وتوسل اليه ان يرسله الى مجمع الجمهور^(٣) ، فاجابه : اننى لا استطيع هذا الامر لكونى متفوض^(٤) ان ارافقك الى منقع الدم ثم^(٥) اعطى ذاك المغلف الى شخص آخر واوعده^(٦) انه يوصله إلى الجمعية [الوطنية] وكان بذلك المغلف وصيته .

وهذه هي وصيته

باسم التالوث الاقدس الاب والابن والروح القدس . انا لويس السادس عشر ، باسم ملك فرنسا ، في اليوم الذي هو الخامس والعشرون من كانون الاول في سنة ١٧٩٣ ، اذ كان لي اربعة اشهر مسجوناً في الحصن المسمى طمبل^(٧) في باريز ، ففعل^(٨) هؤلاء الذين كانوا خاضعين لي ، [وكنت] ممنوعاً عن كل اشتراك حتى مع عيلتى نفسها منذ أحد عشر من هذا الشهر ، ومشتغلاً^(٩) في فحص لا يمكن يعرف نهايته بسبب الألام البشرية التي لا يوجد لها اعتذار ولا متال في شريعة من الشرايع .

واذ لم يكن شاهد آخر لافكارى ولا من التجبى اليه سوا الله تعالى وحده ، فوضح لدى حضرته الالهية إرادتي الأخيرة ، وانى تارك نفسى لله سيدى وخالقى ، واتوسل بان يقبلها برحمته ولا يحاسبها حسب استحقاقها ، بل حسب استحقاق سيدى يسوع المسيح ، الذي قدم ذاته لاييه السماوى لاجل خلاص كل البشر الذى انا اولهم ، ولو كنت غير مستحق لذلك^(١٠) ، بل اننى

(١) المقصود : اعلمه المتوكلون عليه .

(٢) هكذا وردت في الاصل ، وتعني = عرض .

(٣) الجمهور = وردت في الكتاب بمعنى = الجمهورية أو الشعب ، ومجمع الجمهورية = الجمعية العمومية .

(٤) هكذا وردت في الاصل ، والصواب : مفوضاً .

(٥) منقع الدم : اي ساحة الاعدام .

(٦) هكذا وردت دائماً في الاصل ، وتعني : وعده .

(٧) حصن مشهور بباريس ، شيد عام ١٢١٢ ، وكان ، في الأساس ، مركزاً رئيساً لاقامة الهيكلين Les Templiers ، هدم عام ١٨٤٨ وأقيم مكانه سوق تجاري .

(٨) يقصد : فعل ذلك .

(٩) يقصد : منشغلاً .

(١٠) ورد في أصل الوصية بالفرنسية ما تعريبه : « لاجلنا نحن البشر الآخرين ، مهما كنا غير مستحقين ، وانا أولهم » ولكن المؤلف غير في العبارة فأثت على الوجه التالي : « لاجل خلاص كل البشر الذي انا اولهم ولو كنت غير مستحق لذلك » مما غير في جوهر المعنى . (راجع نص الوصية بالفرنسية في كتاب :

اموت بالاتحاد مع الكنيسة الكاثوليكية الرسولية الرومانية، التي اقتبست سلطانتها بتسلسل متصل من القديس بطرس^(١) الرسول مستودعة له من السيد المسيح نفسه. واننى اؤمن ايماناً ثابتاً، واعترف بكلمة هو متضمن في قانون الايمان، وفي وصايا الله وكنيسته، وفي الاسرار كما تعلمه الكنيسة الجامعة واننى قد علمت دائماً بانى لم ادع [٢] اصلاً في اننى اقيم ذاتى قاضياً في انواع تفسير الاعتقادات المختلفة التي تمزق كنيسة السيد المسيح، بل اننى قد تصرفت وساتصرف دائماً، إن منحني الله الحياة، مسلماً للتحذيرات التي تُعطى لى من رؤساء الكنائس المتحددين مع الكنيسة الجامعة المقدسة الرسولية، والمتفقين معها من اتيان سيدنا يسوع المسيح. وانى اندب، من كل قلبى، اوليك الذين يوجدون في الضلال، انما لا ادينهم بل احبهم سويةً بسيدى يسوع المسيح كما ترشدنى المحبة المسيحية. واتوسل لله تعالى ان يغفر لى كل خطاياى، لاننى قد اجتهدت بالفحص المدقق عنها لكى اعرفها وامقتها. واتضرع امام عزته تعالى بان، اذ [١] لم يمكنى احصل على كاهن كاثوليكي، فاسأل الله ان يقبل اعترافى وندامتى الخالصة، لكونى وضعت اسمى (وكان ضد إرادتى) في بعض قضايا مضاداً للاعتقاد بالكنيسة الكاثوليكية وتهذيبها^(٣)، وانما قد استمررت دائماً متحداً معها بخلاصة قلبى. واتوسل لله تعالى ان يقبل قصدى الثابت ان استخدم كاهناً كاثوليكياً، حال ما يمكنى، ان منحني الحياة لكى اعترف بكل خطاياى واقبل من يده سر التوبة. واننى اتضرع لكل اولئك الذين قد امكن ان اكون اغضبهم، بعد الانتباه^(٤)، اذ [١] لم يبيكنى ضميرى اننى سببت لاحد ادنى اهانة. والذين قد امكن ان اكون قد اعطيتهم مثلاً ردياً او شكوكاً، فاتوسل اليهم ان يسامحونى بالشر الذي يظنون اننى سببته لهم. واننى ايضاً اتوسل لكل اوليك المحبين ان يصنعوا تضريعاتهم مع تضريعاتى لكى انال من الله مغفرة اثنامى، واننى اغفر من كل قلبى لاوليك الذين قد اعلنوا ذواتهم اعداء لى من دون ان يسبق لهم منى ادنى سبب يوجب ذلك، واسأل الله ان يسامحهم ويغفر لهم ولاوليك الذين قد صنعوا معى شراً عظيماً، اما

= (11 - 6 PP. de L'expédition des français en Egypte Ainé, Desgranges) وهو ترجمة لكتاب «نقولا النرك» الذي نحن بصدد تحقيقه. واهمية هذه الترجمة ان صاحبها «ديگرانج اينيه» هو سكرتير الملك لويس فيليب ومترجمه الخاص، وقد صدرت هذه الترجمة، باذن من الملك نفسه، عن المطبعة الملكية بباريس عام ١٨٣٩. ويشير (اينيه) إلى ان هناك اخطاء عديدة في النص العربي للوصية، والذي اثبتته النرك في الكتاب الذي بين ايدينا.

(Ainé, Ibid, PP. 277 - 278, Note 2).

- (١) يقصد : التى نلقت سلطانتها بتسلسل متصل من القديس بطرس .
- (٢) وردت في الاصل (قد) زائدة آثرنا حذفها .
- (٣) يقصد : قضايا مضادة لاعتقاد الكنيسة الكاثوليكية وتهذيبها .
- (٤) اي بنسيان الخطأ .

من قبل غيرة كاذبة ام من قبل جهل .

واننى استودع لله امرأتى وبنى وشقيقتى وإخوتى وعماتى ، وكلّ اوليك المرتبطين معى بارتباط الدم او بنوع آخر . واتوسل لله ان يعطف برحمته نحوهم ، وان يقوئهم بنعمته ، على افتراض فقدهم اياى كلّ الزمان الذى يستمرّونه في هذا وادى الدموع^(١) .

واننى استودع بنى لامراتى ولا ارتاب اصلاً بجنوها الشفوق^(٢) نحوهم . واوصيتها بالخصوص ان تهذبهم تهذيب المسيحيين الكاملين ، وان تصيرهم بان يعتبروا عظمة هذا العالم كخيرات خطيرة ، قابلة للفقد والانقلاب . وان يرفعوا الحاظهم نحو المجد الثابت الحقيقي . واننى اتضرّع الى شقيقتى ان تستمرّ ملاحظة بنى بجنوها المعتاد ، وان تقوم مقام والدتهم ان حصلوا على فقدّها من قبل التعس . واننى اسأل امرأتى بان تسامحنى بكلّ الشرور التى احتملتها بسببى ، وبكلّ غيظ قد يمكن ان اكون سببته لها في مدّة اقتراننا . وليكن محققاً عندها اننى لست بواجد عليها شيئاً من الاشياء .

واننى اوصى بنى بكلّ حرارة انهم ، من بعد ان يتقوا الله ، اذ كان تعالى واجب ان يتقدّم اكرامه على كلّ شيء ، ويكونوا متّقين دائماً مع بعضها بعض ، وخاضعين لوالدتها وحافظين نحوها كلّ معروف ، وان يعتبروا شقيقتى كوالدة ثانية . واننى اوصى ابنى ، على افتراض انه اذا ما حصل على التعس ، اى اضحى سلطاناً ، ان يفتكر بانه يلتزم ان يوجّه كلّ اهتمامه نحو سعادة اهل بلاده ، وانه يلتزم ان ينسى كلّ بغض وضرر خاصّة لاوليك الذين سببوا الى ما انا محتمله الان ، وانه لا يستطيع ان يصير الشعوب سعداء ان لم يحكم حسب الشرايع .

واننى اوصى ولدى ان يهتم بكلّ اوليك الاشخاص الذين كانوا متعلّقين بى . وان يفتكر بانى قد حصلت على التزام مقدّس نحو اولاد واقرباء اوليك الذين ماتوا لاجلى ، والذين قد حصلوا على التاعسة بسببى . وانى عالم انه كان يوجد اشخاص كثيرون من [الذين]^(٣) كانوا متعلّقين بى ولم يسلكوا معى بحسب التزامهم ، بل اظهروا عدم المعروف معى ، فانا اسامحهم من كلّ قلبى ، واسأل ولدى انه اذا تقدّمت له الفرصة لا يفتكر سوا بسعادتهم والخير لهم .

واننى اودّ ان اظهر معروفى نحو اوليك الذين قد حفظوا تعلقاً حقيقاً نحوى من دون نفعهم الخاصّ . كما اننى قد شعرت بالم من قلبى رداوة بعض اشخاص لم يظهر منى نحوهم ونحو

(١) في وادى الدموع هذا .

(٢) للشفقة .

(٣) وردت في الاصل (الذين) فاقنضى النصحيح .

اولادهم واصدقائهم الا كل جودة وخير . وهكذا قد شعرت بتعزية بنظري ما قد ظهر من تعلق حقيقي من كثيرين نحوى . ثم اسألهم ان يقبلوا شكرى لافضالهم ، اذ كنت في هذه الحال لا استطيع ان ابدو في ^(١) المعروف نحوهم ، انما اوصى ولدى ان يستقصى [^(٢)] الفرصة الملائمة الى مكافاتهم . واننى اظن انى قللت اعتبارى للطايفة الفرنساوية ان كنت لا اوصى صريحاً ولدى باوليك ^(٣) الذين انعطافهم الخاص نحوى قد جذبهم لينحبسوا معى ويطوّحوا ذواتهم بخطر الموت لاجلى .

واوصى ولدى بكبرى ^(٤) الذى ليس لى سبيل عادل ان لا امدح اهتمامه وخدمته نحوى منذ وجد معى ، ولم يزل مستمراً الان والى النهاية . واسأل اسياذ الجمهور ان يسلموه كتبى وساعتى وكيس خرجيتى والاشياء المختصة بى التى هي مودوعة عند مجمع الجمهور .

واننى اسامح اوليك الذين كانوا يحرسونى ، واصفح عن مقتلاتهم الردية والمضايقات التى ضايقونى بها . وقد وجد بعض انفس شفقة فليتمتع هولاء بالراحة التى تحصل لهم ^(٥) ، وان يقبلوا شكرى لافضالهم ورغبتي بالمعروف نحو كل سعيهم ومهماتهم التى فعلوها لاجلى .

واننى انهى وصيتى موضحاً امام الله ، اذا كنت قريباً امثل بازاء حضرته الالهية ، ان ضميرى لا يبكتنى على ذنب من الذنوب المنسوبة لى .

وقد حررت هذه الوصية نسختين في حصن الطمبل في خامس عشر كانون الاول سنة ١٧٩٣ .

المحرر اسمه لويس السادس عشر
من ملوك فرنسا

الشاهد به بياد

احد اصحاب الوظائف .

-
- (١) هكذا وردت في الاصل ، وتعني : ابدأ .
(٢) وردت في الاصل (الى) زائدة اثرنا حذفها .
(٣) ورد في أصل الوصية بالفرنسية ما تعريبه : « ان كنت لا اوصي صراحة ولدى بشاميي وهيو Chamilly et Hue اللذين . . . » .
(٤) (Voir: Aîné, Histoire, P. 11) . الا ان المؤلف أورد النص كما يلي : « ان كنت لا اوصي صريحاً ولدى بأوليك الذين . . . » وشاميي وهيو هما من حاشية الملك .
(٥) كليري Cléry هو ايضاً من حاشية الملك .
(٥) ورد في أصل الوصية بالفرنسية ما تعريبه : « ارجو السادة مالرب وتروستيه ودي سيز M. Malesherbes, Tronchet et de Sèze ان يقبلوا شكرى . . . » (Voir Aîné, histoire, P. 11) وهو ما لم يذكره المؤلف .

وفي الساعتين ونصف بعد نصف الليل صعد القايد العام نحو الملك لويس وعرفه انه يزعم ان يذهب الى الموت ، فاجابه الملك . اننى مستعد لذلك . واذا خرج من مكانه وصعد الى الكرسي حيث كان معلّم اعترافه ، وقد اصطفت العساكر في التبعية حيث كان مكان الموت ، وقد كان صمت كلى . واما الملك لويس ، بعد ما قرأ صلوة المنازعين ، تعرّا من ثيابه بشجاعة فريدة وقلب غير مرتجف ، وصرخ بصوت عال : ايها الفرنسيون اننى اموت برياً واغفر لكل اعدائي وارغب ان موتى يكون مفيداً للشعب . ثم امر القايد العام الى الجلاد ان يتم وظيفته . وفي الحال قطع رأسه ، وكان حزناً عظيماً عند الذين كانوا من حزب الملك . واما الشعب فكان عنده سرور عظيم ، وصنعوا في مثل ذلك اليوم عيداً في كل سنة تذكّاراً لقتل الملك وانتصار الشعب ، وكان ذلك في مبادى شهر ايلول في سنة ١٧٩٣ وجعلوه بدو^(١) سنتهم . ولقبوه تاريخاً للمشخة^(٢) وغيروا الاشهر النصرانية ورتبوا اشهر [أ] جديدة وسمّوها اسامى مختلفة^(٣) وابقوها ثلثين يوماً على خلاف عدتها الاولى وفي ذلك الوقت رفضوا الديانة واقفلوا الكنائس والاديرة الرهبانية ، وقتلوا الرهبان والراهبات وعدة من الاساقفة ، ورموا الايقونات وكسروا الصلبان . وكان خر [ا] ب عظيم في تلك المملكة ، واهوال متلفة مهلكة . وحدث عدة مواقع بينهم وبين حزب السلطان^(٤) . ولا

(١) بدء .

(٢) اي الجمهورية .

(٣) استخدمت الثورة الفرنسية ، منذ انتصارها عام ١٧٩٣ «الروزنامة الجمهورية» وقد فسمت السنة ، حسب هذه الروزنامة ، الى ١٢ شهرا بالتساوي ، عدد ايام كل منها ٣٠ يوما ، يضاف اليها ٥ ايام مكملّة . وكانت الشهور مقسمة الى عشرات الايام وليس الى اسابيع . وكان بدء السنة الجمهورية في ٢٢ ايلول ١٧٩٣ ، وهذه الشهور هي :

١ - فنديمير (Vendémiaire) او شهر القطاف (للعنب) ، وبدؤه في ٢٢ ايلول .

٢ - بريمبر (Brumaire) او شهر الضباب ، وبدؤه في ٢٢ تشرين الاول

٣ - فريمير (Frimaire) او شهر الصقيع ، وبدؤه في ٢١ تشرين الثاني .

٤ - نيفوزيه (Nivôse) او شهر الثلوج ، وبدؤه في ٢١ كانون الاول .

٥ - بليفيز (Pluviose) او شهر الامطار ، وبدؤه في ٢٠ كانون الثاني .

٦ - فاننوز (Vantôse) او شهر الرياح ، وبدؤه في ١٩ شباط .

٧ - جرمينال (Germinal) او شهر البذار ، وبدؤه في ٢١ آذار .

٨ - فلوريال (Floréal) او شهر الزهور ، وبدؤه في ٢٠ نيسان .

٩ - بريريال (Prairial) او شهر المروج ، وبدؤه في ٢٠ أيار .

١٠ - ميسيدور (Messidor) او شهر الحصاد ، وبدؤه في ١٩ حزيران .

١١ - ترميدور (Thermidor) او شهر الحرارة ، وبدؤه في ١٩ تموز ،

١٢ - فريكتيدور (Fructidor) او شهر الثمار ، وبدؤه في ١٨ آب .

وقد الغيت هذه الروزنامة في فرنسا عام ١٨٠٦ .

(٤) اي الملك .

زالت تزداد وتنمو الاحقاد ، وتتجند الاجناد ، وتهلك العباد ، حتى ضعف حزب السلطان ، وقويت شوكة المشيخة قوة عظيمة . وبعد ان اعتدل ميزانها ، ووطدت اركانها ، وأهلكوا اخصامها ، فانفذوا كتابات لساير الملوك يعرفونهم عن تأييد مشيختهم وهذا ما تضمنته كتاباتهم : ان كل من يقرّ بمشيختنا فهو حبيب لنا ومن لم يقرّ بمشيختنا فهو عدو لنا ويستعدّ الى محاربتنا لاننا قد استعدينا ان نحارب المسكونة بأسرها . ثم كتبوا مثل ذلك الى الدولة العثمانية ، وقد كانت هذه الدولة المذكورة من قيامها متحدة مع الدولة الفرنسية دائماً ، فقبلت كتابتهم وقرت بمشيختهم . وأما الملوك الافرنجية ، حين وصلتهم كتابة الفرنسية ، نهضوا جميعاً باتفاق على قدم وساق ، وعزموا على حياض ذلك الشعب الخارج عن الاسلوب ، ليلا تتشبه به بقية الشعوب . فاول من اشهر عليهم بالحروب ملك النمسا الانبراطور ، لانهم قد قتلوا شقيقته وزوجها ملكهم . ثم نهضت ضدهم دولة الانكليز ، ثم سلطان اسبانيا ، ثم سلطان ايطاليا ، ثم البابا سلطان مدينة رومية العظيمة وباقي سلاطين بلاد اوروبا . ولكون ان شعب هذه المملكة هو اوفر عدداً من ساير الشعوب ، فاعتصبوا جميعهم عصبة واحدة ، واستعدوا لحرب جميع مضادّهم ، وخرجوا من مدينة باريز الى قتال اعدائهم الواردين عليهم من كلّ ناحية ، وابتدوا يحاصروا مدينة بعد مدينة ومملكة بعد مملكة ، وهم في عساكر كالبهار الزاخرة بالات الحرب الوافرة والقوات القادرة ، الى ان اشتهر بأسهم واقتدارهم ، وانتشر تملّكهم وانتصارهم ، وتملكوا حصوناً وقلع وبلدان وضيع ، واستولوا على ممالك بلاد ايطاليا وكانت حكم احد عشر سلطاناً ، وامتلكوا عدة قلع من بلاد النمسا . وكان ذلك الانتصار والتملك عن يد ذلك الليث الظاهر والاسد الكاسر ، الفرد الفريد والبطل الصنديد ، امير الجيوش بونابارته . وكان هذا من بعض كبار المشيخة الفرنسية . وكان قصير القامة رقيق الجسم اصفر اللون ، باعه اليمين اطول من اليسار ، مملواً من الحكمة مشمولاً بالسعد والنعمة ، يبلغ من العمر ثمانية وعشرين سنة ، وهو ايطالياني الاصل من جزيرة كورسيكا . وتربيته في مدينة باريز كرسى دولة الفرنسية . وعند ما اقتربت تلك الجيوش الفرنسية الى كرسى^(١) ممكلة الانبراطور اى ملك النمسا ، عقد امير الجيوش بونابارته صلحاً مع الملك الانبراطور على شروط مكتومة غير ظاهرة ، ونهض من هناك سائراً الى مملكة البندقية ودخل دخولاً عجيباً ، لان مدينة البندقية هي بكر الابكار لكون انها ، من حين ما بنيت وقامت مشيختها ، قطّ ما دخلها دال ولا سطا عليها عدو . واستولى على جميع مدنها وجزايرها ، وتملك على كنوزها وذخيرها . ثم انه سلّم مدينة البندقية الى ملك النمسا ، وابقى جزيرة كورفو^(٢) له ،

(١) عاصمة المملكة وهي فيينا (Vienne) .

(٢) جزيرة كورفو Corfu : في البحر الابوني Mer Ionienne على الساحل اليوناني وعلى مدخل بحر الادرياتيک Mer Adriatique الموصل الى البندقية .

ووضع بهاستة الاف صلدات^(١)، ومن هناك سار بالجيش الى مدينة رومية العظما . وبعد حروب شديدة وإيَّام عديدة مع عساكر البابا، تملك رومية وهزم البابا، واستولى على كنوزه وذخايره، وسلب اموال اهل الجزيرة، وخرب نظام تلك المدينة الجليلة، واهان طغمة الاكلريكين والرهبان، وازدرى بالذخاير والصلبان، وكان اضطهاد عظيم على المسيحيين. وكثير من اهل رومية تبعوا رأى الفرنساوية. ومكث مدة في رومية واتى الى مدينة باريز. وكان مدة حروبهم في البلاد الافرنجية ستة سنوات، وطاعتهم غالب البلاد المذكورة. وقد كانت الفرنساوية جهزت عمارة^(٢) عظيمة في طولون^(٣)، وكان عدتها اربعماية وخمسين مركباً، وعدة عساكرها ستين ألفاً ورؤساء العساكر ستة وعشرون رجلاً معروفين بالشجاعة والقوة والبراعة، وعدة الصلد الحربية ستة وثلاثون ألفاً، وباقي العساكر فيسالية^(٤) واصحاب صنایع ونوتية^(٥). وحين تمت العمارة ركب بها وصار طالباً جزيرة مالطة، وعندما وصل اليها حاصرها مدة قليلة، وافتتحها في شهر ايار^(٦) المطابق الى شهر ذى القعدة سنة ١٢١٢ هجرية، بعد قيام تلك المشيخة بخمسة سنين. وقيل ان ذلك كان بولس الكوليرية^(٧) الفرنساوين الذين كانوا موجودين بها.

وبعد توليهم على مدينة مالطة، رفعوا منها الحكام الكوليرية الذين كانوا من قبل ساير الملوك الافرنجية، واطلقوا المأسورين بها من الاسلام وارسلوهم الى بلدانهم بالسلام، واوعدوهم بان ما عاد يسير استيثار على الاسلام من المالطية على الدوام، ثم امرهم ان يبشروا بذلك في جميع بلدان المسلمين ويشكروا بذلك فضل الفرنساوية. وبعد ذلك وضع في مدينة مالطة ستة الاف مقاتل من الفرنساويين، واخذ عوضها من المالطين، وصار في تلك النية قاصداً مدينة الاسكندرية.

[ذكر مسير بونا بارت إلى مصر]

هذا ما كان من امير الجيوش بونا بارته. واما الانكليز لما بلغهم خروج هذه العمارة العظيمة، وظنوا انهم قاصدون بلدانهم، فحصنوا ثغورهم ومكاناتهم. ولما حققوا انهم قصدوا

-
- (١) صولدات: من Soldats بالفرنسية، وتعني: الجنود .
(٢) عمارة = اسطول بحري او مجموعة سفن حربية .
(٣) طولون Toulon : مدينة فرنسية على ساحل البحر الابيض المتوسط، وقد كانت، ولا تزال، قاعدة بحرية مهمة .
(٤) فيسالية: من Vassai بالفرنسية، وهو «التابع» (لقب اطلق في عهود الاقطاع على الاشخاص المرتبطين بالسيد او الاقطاعي)، وهم، هنا: خدم المركب . او من Officers اي: ضباط. وهكذا فهمها: ديغرانج اينيه في الترجمة التي وضعها لهذا الكتاب، (Voir: Alné, Histoire, P. 16) الا اننا نرجح الرأي الاول .
(٥) من نوتي = اي بحار .
(٦) ينتهي شهر ذى القعدة عام ١٢١٢ هـ . بتاريخ ١٦ أيار عام ١٧٩٨ م .
(٧) ولس: دسيصة أو خديعة، والكوليرية: من Chevaliers بالفرنسية، أي الفرسان .

الديار المصرية، جهّزوا اربعة عشر مركباً بكلّك^(١) كبار وصاروا الى محاربتهم، لانه كان بين الانكليز والفرنساوية عداوة عظيمة وحقوق قديمة، وقد تسلّموا بعض بلدان في الهند كانت للفرنساويين. وبهذا السبب كان مسير الفرنسيين الى الديار المصرية، مؤملين انه، بعد تملكهم الامصار المصرية، يستسيرون في بحر السويس^(٢) الى بلاد الهند، لان المسافة قريبة. وحين دخلت مراكب الانكليز ثغر الاسكندرية، ارسلوا قارباً يطلبون حاكم المدينة، فتوجّه الى مقابلتهم كمركبى الاسكندرية السيد محمد كريم الذى كان متروساً^(٣) من قبل الامير مراد بيك^(٤) وبعد وصوله للمراكب سالهم عن سبب قدومهم فاخبروه انهم طالبون عمارة فرنساوية لكي يصدّوها عن الدخول الى ثغر الاسكندرية. فارتاب السيد محمد كريم وقال في نفسه: ما هذا الا خداع عظيم، واجابهم: ان فرنساوية غير ممكن انهم يحضروا لبلادنا، ولا لهم في ارضنا شغل، ولا بيننا وبينهم عداوة، ولا جلبنا عليهم رداوة^(٥). وهذا كلام غير ممكن ان نصدّقه، وان حضروا كما تزعمون فنصدّهم عن الدخول وليس لهم الينا وصول. واما انتم فليس لكم الاقامة بهذه الديار وانما اذا جئتم تاخذون شيئاً من الماء والماكل فلكم الاختيار. فاجابوه الانكليز: انتم لستم في هذا الحين كفواً لصدّ الفرنسيين، ولكن سوف تندمون على عدم قبولكم ايّانا وعلى ما يحلّ بكم تتحسّرون. وفي الحال اقلعوا من مقابل الاسكندرية وكان ذلك في ثلاثة عشر من شهر محرم افتتاح سنة ١٢١٣^(٦). فرجع السيد محمد كريم وهو حائر من ذلك البلاء العظيم. وفي الحال اعرض ذلك الامر الى مراد بيك الى مصر. وفي ثالث الايام من بعد قيام مراكب الانكليز من ثغر الاسكندرية عند العصر، نفذ^(٧) مركب عظيم في البحر، ولما قرب الى البوغاظ^(٨) ارسل قارباً الى اسكلة^(٩) الاسكندرية يطلب قنصل فرنساوية. ولما بلغ اهل المدينة

(١) بيلك، او بكلّك: مركب حربي حكومي او سلطاني. وهي، في الاصل: ارض تعود ملكيتها للامير الحاكم.

(٢) خليج السويس.

(٣) اي مترئسا، وكان محمد كريم حاكماً لمدينة الاسكندرية من قبل مراد بك.

(٤) مراد بك: من مماليك محمد بك ابو الذهب واحد القادة الذين رافقوه في حملته الى عكا لمحاربة الشيخ ضاهر العمر (عام ١٧٧٥)، ولما مات محمد بك ابو الذهب في عكا فجأة (وفي العام نفسه) عاد الجيش المصري الى بلاده، وشارك مراد بك في حكم مصر وفي الدفاع عنها ضد الفرنسيين الى جانب ابراهيم بك الكبير (اكبر امراء محمد بك ابو الذهب والذي ولاه هذا الاخير حكم مصر في اثناء غيابه، واستمر في حكمها، بعد وفاته، بالاشتراك مع مراد بك). وقد توفي مراد بك عام ١٢١٥هـ. (١٨٠٠م).

(٥) اي شيئاً رديئاً.

(٦) الموافق لـ ٢٧ حزيران / ١٧٩٨.

(٧) بمعنى: ظهر.

(٨) البوغاظ: الترعة او المضيق او القناة، والمقصود: ترعة السويس او قناة السويس.

(٩) ميناء.

خافوا خوفاً عظيماً وعقدوا ديواناً، واتفق رأيهم على عدم توجه القنصل. وكان يومئذٍ مركب الريالة^(١) في البوغاظ وقبطانه في المدينة، فامرهم ان يطلقوا القنصل وقال لهم: وان حصل سؤال عن ذلك فعلى الجواب. وسار في القارب الى المركب. ثم ما اغربت الشمس الا واقبلت العمارة العظيمة التي ليس لها عدد، فسقط على اهل الاسكندرية خوفٌ عظيم وهمّ جسيم حين نظروا وجه البحر تغطى من المركب، وحرر السيد محمد كريم يعلم مراد بيك عن قدوم تلك العمارة في هذه الالفاظ: سيّدى ان العمارة التي حضرت مراكب عديدة ما لها اول يعرف ولا آخر يوصف. لله ورسوله داركونا بالرجال. وفي تلك الليلة ارسل ثلاثة عشر ساعياً بلا خلاف، وقد ايقنوا بالموت والتلاف. واما الفرنسيون بقوا تلك الليلة ينقلون العساكر من المراكب الى البر بالقوارب الى مكان يقال له العجمي^(٢) بعيداً من مدينة الاسكندرية مسافة ساعتين. وعند الصبح نظرت اهالى البلد الى العساكر في البر ليس لهم عدد ولا لهم على حربهم جلد. فتأهبت الاسلام الى الحصار ومحاربة تلك الكفار، واطلقوا المناداة: اليوم يوم المغازاة^(٣). ولكن اذا كانت المدينة مأمّنة^(٤) من تلك الحوادث وغير مستعدة لمثل هذه النواكس^(٥)، فما وجد في قلع^(٦) هذه المدينة الا قليل من البارود واكثره كالتراب من طولة الأيام، وعند طلوع الشمس هجمت عليهم تلك العساكر كالبهار الزواخر والاسود الكواسر. فما مضى نحو ساعتين من النهار حتى تملكّت الافرنج الاسوار، ودخلت المدينة قوّةً واقتداراً. وكان ذلك في ١٥ محرّم سنة ١٢١٣ الموافق لشهر حزيران سنة ١٧٩٨. وطلبت الامان الرعية من العساكر الفرنسية، فاعطاهم امير الجيوش الامان وعدم المعارضة والعدوان. وكان قد قُتل في ذلك النهار من المسلمين مائة قتيل ومن الفرنسية شيء قليل. وانجرح جرحاً كبيراً الجنرال كليبر^(٧).

(١) الريالة: اسم لمركب عثماني يحمل قائده رتبة امير البحر (Contre - amiral).

(٢) العجمي: مكان على الشاطئ المصري، يبعد ستة اميال بحرية عن الاسكندرية غرباً، مقابل جزيرة صغيرة حيث يوجد برج يعرفه الاوروبيون باسم «برج العرب». وفي هذا المكان ابرّ الجيش الفرنسي في شهر حزيران عام ١٧٩٨.

(٣) اي الجهاد ضد الغزاة.

(٤) هكذا وردت في الاصل، والمقصود: آمنة او مؤمّنة، اي انها تعتبر نفسها في مأمن من تلك الحوادث.

(٥) النكسات.

(٦) قلاع.

(٧) الجنرال كليبر Jean Baptiste Kléber (١٧٥٣ - ١٨٠٠)، تطوع في الجيش الفرنسي الثوري عام ١٧٩٢

حيث رقي الى رتبة جنرال في هذا الجيش عام ١٧٩٣. ساهم في الحملة على الفانديين Vendéens (المتمردين الملكيين غرب فرنسا)، وفي نصر فلوريس Fleurus عام ١٧٩٤، وفي الحملة على المانيا عام ١٧٩٦، وفي حملة بونايرت على مصر عام ١٧٩٨، ثم على بلاد الشام عام ١٧٩٩، وقد كلفه بونايرت بقيادة الجيش الفرنسي في مصر بعد ان غادرها هو الى فرنسا، الا ان كليبر لم يلبث ان قتل على يد طالب شامي يدعى «سليمان الحلبي» طعنه بخنجر طعنة قاتلة، في حديقة «قصر الالفي» في الازبكية بالقاهرة، وذلك في ١٤ حزيران ١٨٠٠.

ثم حضرت قدام امير الجيوش اعيان البلد ، فتوسلوا اليه فترحب بهم وامتنهم ، واختار منهم سبعة انفار من الاعيان الكبار وهم : الاستاذ الفاضل والحاذق العاقل الشيخ محمد المسيرى العالم العلامة والمشهور بالفضل والمكرمة ، ثم السيد محمد كريم عين الاعيان ورئيس الديوان ، ومعهم خمسة انفار من اهالى الاسكندرية الاخيار ، وقلدهم زمام الاحكام وما يحتاج اليه البلد من النظام ، وان كل يوم يعملوا ديوان مشهور- ويحكموا بما بينهم من الامور ، وقال لهم انه على مقتضى الحرية يجب ان تتقلد الاحكام عقلاء الرعية ، لان الخلق عند الله كل بالسوية ، وليس يتفضل^(١) احد على الآخر الا بالعقل والنية . وبعد ذلك امر باحضار المطابع التي احضرها معه من مدينة رومية ، وكانت تطبع في اللغة الفرنسية ولغة اللاتينية واليونانية والسريانية والعربية ، وكتب فرمانات وطبعها في العربية ، ووزعها على الديار المصرية . وهذه صورتها حرفاً فحرفاً :

بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله لا ولد له
ولا شريك بملكه

من طرف الجمهور^(٢) الفرنسي المبنى على اساس الحرية ، والسر عسكر الكبير بونابارته امير الجيوش الفرنسية ، نعرف اهالى مصر جميعهم ان من زمان مديد السناجق^(٣) الذين يتسلطون في البلاد المصرية يعاملون بالذل والاحتقار في حق الملة الفرنسية ، ويظلمون تجارها بانواع البلص والتعدى ، فحضرت الآن ساعة عقوبتهم ، وحسرت^(٤) من مدة عصور طويلة هذه الزمرة الممالك المجلوين من جبال الابازا ، والكرجستان^(٥) يفسدوا في الاقاليم الاحسان ما يوجد في كرة الارض

(١) هكذا وردت في الاصل ، والصواب = يفضل .

(٢) وردت هنا بمعنى : الجمهورية ، وهكذا ترجمها «ديفرانج اينيه» (Volr, Aine, Histolre, P. 21).

(٣) مفردها : سنجق ، وهو اللواء او الدائرة تحت لواء واحد . فارسية . والسناجق ، في اصطلاح المصريين : من ارباب الوظائف السياسية (محيط المحيط) . وكان في مصر ، في هذه الفترة ، اربعة وعشرون سنجقا ، يحكم كل منها حاكم (بك) يدعى (السنجق) .

(٤) حسرت : جلت وانكشفت . هكذا فهمها «ديفرانج اينيه» P. 21 . اما «الجبرتي» في كتابه «عجائب الآثار في التراجم والاخبار» ج ٢ : ١٨٢ «فقد اوردها : «واخرنا ، من مدة عصور طويلة الخ...» والفرق بين المعنيين كبير ، فبينما يرى «اينيه» ان هذه الزمرة من الممالك «جلت» من مدة عصور طويلة... من جبال الابارا الخ...» يرى الجبرتي ان ما ورد في المنشور ، وهو بالعربية ، هو : «واخرنا ، من مدة عصور طويلة ، هذه الزمرة من الممالك المجلوين من بلاد الابازا الخ...» ونحن نرجح ما ورد عند الجبرتي . (أي آخرنا عقوبتهم) .

(٥) جبال الابازا : جبال القفقاس . وجبال الكرجستان : ترجمها «اينيه» :

«جورجيا» Georgie ، (P. 21) اما «الجبرتي» فورد في النص عنده «بلاد الابازة والجراكسة» (ج ٢ : ١٨٢) . ونحن نرجح ما ورد عند الجبرتي ، مع العلم ان جورجيا هي الجزء الجنوبي من القفقاس ، وبلاد الجراكسة هي الجزء الشمالي منها ، وتقع بلاد الكرج (كرجستان) الى الشرق من جبال القفقاس .

كلّهما^(١). فاما ربّ العالمين القادر على كلّ شيء قد حتم في انقضاء دولتهم. يا ايّها المصريون، قد يقولوا لكم اننى ما نزلت في هذا الطرف الا بقصد إزالة دينكم، وذلك كذب صريح فلا تصدّقه، وقولوا للمفترين اننى ما قدمت اليكم الا لكيما اخلص حقكم من يد الظالمين. واننى، اكثر من الممالك، اعبد الله سبحانه وتعالى واحترم نبيّه محمد والقران العظيم. وقولوا لهم ايضاً ان جميع الناس متساوين عند الله، وان الشيء الذي يفرقهم عن بعضهم بعض فهو العقل والفضائل والعلوم فقط. وبين الممالك ما العمل والفضل والمعرفة التي تميزهم عن الآخرين، وتستوجب ان يتملّكوا وحدهم كلّما تحلو به حياة الدنيا، حيثما يوجد ارض مخصبة فهي للممالك، والجوار [ي] الجمال والحلل الحسان والمساكن الاشهى^(٢)، فهذه كلّها لهم خاصة. فان كانت الارض المصرية التزام للممالك فليوردوا الحجّة التي كتبها لهم الله ربّ العالمين، هو رأوف وعادل على البشر. بعونه تعالى من اليوم وصاعداً لا يُستثنى [أحد]^(٣) من اهالى مصر عن الدخول في المناصب السامية، وعن اكتساب المراتب العالية. فالعقلاء والفضلاء والعلماء بينهم سيدّبروا الامور، وبذلك يصلح حال الامة كلّها. سابقاً في الديار المصرية كانت المدن العظيمة والخلجات الواسعة والمتجر المتكاثر^(٤)، وما زال ذلك الا لطمع وظلم الممالك.

ايّها القضاة والمشايخ والاثيمة، ويا ايّها الشورباجية^(٥) واعيان البلد، قولوا لأمتكم ان الفرنساوية ايضاً مسلمين خالصين. واثباتاً لذلك قد نزلوا في رومية الكبرى، وخربوا بها كرسى البابا الذى كان دائماً يحثّ النصارى على محاربة الاسلام. ثم قصدوا جزيرة مالطة [وطردوا]^(٦) منها الكولرية^(٧) الذين كانوا يزعمون ان الله يطلب منهم مقاتلة المسلمين. ومع ذلك الفرنساوية في كلّ وقت كانوا محبّين الخاص^(٨) لحضرة السلطان العثمانى واعداً اعدائيه، ادام الله ملكه. وفي الخلاف^(٩) الممالك امتنعوا من طاعة السلطان غير مُمثّلين الى امره، فما طاعوا اصلاً الا لطمع

-
- (١) ويقصد : ان هذه الزمر من الممالك تفسد ما هو حسن (خير) في الاقاليم وفي الارض كلها .
(٢) وردت في الاصل : «والجوار الجمال والحلل الحسان والمساكن الاشهى» ووردت عند الجبرتي (ص ١٨٣ : «الجواري الحسان والخيال العتاق والمساكن المفرحة». وقد وجدنا فرقاً شاسعاً في النص المنقول للمنشور بين كل من الجبرتي (ج ٢ : ١٨٢ - ١٨٤) والترك ، فقارن .
(٣) وردت في الاصل (أحد).
(٤) هكذا وردت ، والمقصود : الخلجان (جمع خليج) الواسعة والمتاجر (جمع متجر) المتكاثرة .
(٥) الشورباجية : كلمة تركية ، وهم من قادة الجيش الانكشاري .
(٦) وردت في الاصل (وطرادوا) فحذفنا (الالف) الزائدة .
(٧) الكوليرية : اي الفرسان (Chevaliers) وهم «فرسان مالطة Chevaliers de Malte» وكانوا شديدي الحقد على المسلمين .
(٨) هكذا وردت ، وتعني = خاصة وخصوصاً وخصوصيين .
(٩) اي وخلاف ذلك .

نفوسهم .

طوبى ثم الطوبى الى اهل مصر الذين يتفقون معنا بلا تاخير ، وينصلح حالهم وتعلأ مراتبهم . طوبى ايضاً للذين يقعدون في مساكنهم غير مباينين لاحد من الفريقين المحاربين ، ان يعرفونا بالاكثر يسرعون الينا بكل قلب . لكن الويل ثم الويل للذين يتحدوا مع اوليك الممالك ويساعدوهم في الحرب علينا فما يجدوا طريق الخلاص ولا يبقى لهم اثار .

المادة الأولى: جميع القرى القريبة ثلث^(١) ساعات عن المواضع التي يمر بها العسكر الفرنسي ، ترسل للساوى عسكر بعض وكلاء لكي يعرفوا المشار اليه انهم اطاعوا ونصبوا السنجق الفرنسي الذي هو ابيض وكحلى واحمر .

المادة الثانية: كل قرية تقوم على العسكر الفرنسي تحرق بالنار .

المادة الثالثة: كل قرية تطيع الفرنسي الواجب عليهم نصب السنجق الفرنسي وايضاً نصب سنجق السلطان العثماني محبنا ادام الله بقاءه .

المادة الرابعة: المشايخ في كل بلد يختموا^(٢) حالاً جميع الارزاق والبيوت والاملاك متاع الممالك وعليهم الاجتهاد الزايد لكي لا يضع ادنى شيء منها .

المادة الخامسة: الواجب على المشايخ والقضاة والائمة ان يلازموا وظائفهم . وعلى كل من اهل البلدان يبقى في مسكنه مطمئناً^(٣) . وكذلك تكون الصلوة قائمة في الجامع على العادة . والمصريون باجمعهم يشكروا فضل الله سبحانه وتعالى لانقراض دولة الممالك ، قائلين بصوت عالٍ : ادام الله تعالى اجلال السلطان العثماني . ادام الله تعالى اجلال العسكر الفرنسي . لعن الله الممالك ، واصلح الله حال الامة المصرية . تحريراً في عسكر اسكندرية ، في ثلثة عشر من شهر مسيدور^(٤) سنة ست من اقامة الجمهور الفرنسي اعنى اواخر شهر محرم سنة ١٢١٣ هجرية .

ثم انه توجهت تلك الفرمانات الى الديار المصرية . وفي ثانى الايام ارسل امير الجيوش بونابارته العساكر من الاسكندرية الى دمنهور وبندر رشيد . وعندما بلغ اهالى رشيد قدوم الفرنسيات خرج الى لقاءهم علماء واعيان البلد ، فسلموهم البندر خوفاً من الضرر ، وتسلم بندر

(١) درج المؤلف على كتابة (ثلاثة) و (ثلاث) و (ثلاثين) بالشكل الوارد في النص (ثلاثة ، ثلث ، ثلاثين) ، فاقترض التنويه دون التصحيح ، لانها تدرك من سياق المعنى .

(٢) بختمون = اي يضعون اختاماً على هذه الاوراق كي لا تفقد او تضيع .

(٣) هكذا وردت ، والصواب = مطمئناً .

(٤) ١٣ مسيدور اي الشهر العاشر من روزنامة الجمهورية الفرنسية وفي السنة السادسة من قيامها . ويقع في شهر تموز / يوليو ١٧٩٨ .

رشيد الجنرال منو^(١) حاكماً به وهذا الجنرال كان بطلاً من الابطال الكبار .

[ذكر الحرب بين بونابرت والمصريين واحتلال بونابرت لمصر]

وكنّا ذكرنا ان السيد محمد كريم قد اخبر مراد بيك بذلك البلاء العظيم والخطاب الجسيم . ولما وصلت النجابة^(٢) الى مصر واخبروا مراد بيك بقدوم الفرنسيين الى مدينة الاسكندرية ، طرح الكتاب من يده وصاح على عساكره وجنده ، واحمرت عيناه واضطربت النار في احشائه ، وامر باحضار الخيل للركوب ، وسار الى منزل ابراهيم بيك على ذلك الاسلوب . وشاع الخبر واضطربت البشر ، وهاجت تلك الأمم على ساق وقدم ، وحلّ في القوم الاسف والندم ، واجتمعت الكشاف والامراء والاشراف لقصر ابراهيم بيك بلا خلاف ، وحضر باكير باشا من القلعة السلطانية الى المعينة ، وحضروا جميع السناجق والاعيان مثل : ابراهيم بيك الكبير ومراد بيك الكبير ومصطفى بيك الكبير وايوب بيك الكبير وابراهيم بيك الصغير ومراد بيك الصغير وسليمان ابو دياب وعثمان بيك الشرقاوى ومحمد بيك الالفى ومحمد بيك المنوفى وعثمان بيك البرديسى وعثمان بيك الطبعجى وقاسم بيك المسكوبى وقاسم بيك ابو سيف وقاسم بيك امين البحر والامير مرزوق ابن ابراهيم بيك الكبير وعثمان بيك الطويل وشروان بيك . وحضر من العلماء : الشيخ محمد الساده والشيخ عبد الله الشرقاوى والشيخ سليمان الفيومى والشيخ مصطفى الصاوى والشيخ محمد المهدي والشيخ خليل محمد الجوهري . واما العلماء الصغار فلا نقدر نعدّهم لكثرتهم . فهؤلاء السناجق المذكورين مع العلماء المشهورين ، والوزير السلطاني باكير باشا العثماني ، عقدوا الديوان وحضرت السبع اوجاقات^(٣) وعدة من الاغاوات وجملة من العوام ارباب الصوت والكلام . وبدوا يتداولون بامر الفرنسيين ودخولهم الى الاسكندرية ، ويستغربون من هذا الخطب المهول والامر المجهول . فامير اللواء مراد بيك بما انه عارف ان خاطر الدولة العلية متغير عليه ، فالتفت الى الوزير وقال له : ان هؤلاء الفرنسيين ما دخلوا على هذه الديار الا باذن الدولة العثمانية ، ولا بدّ الوزير عنده علم بتلك النية ، ولكن القدرة تساعدنا عليكم وعليهم . فاجابه الوزير : لا يجب عليك

(١) الجنرال منو Menou : اسمه «جياك فرانسوا دي بوسيه J. F. De Boussay Baron de Menou» (١٧٥٠ -

١٨١٠) ، وقد قاد الجيش الفرنسي في مصر بعد مقتل كليبر عام ١٨٠٠ ، الا انه اعتنق الاسلام وتزوج من مصرية . حاول وضع سياسة تعاون مع الوطنيين المصريين ، الا ان هذه المحاولة لم تنجح . وقد هزم في قانوب Canope بالقرب من ابي قير على يد الانكليز بتاريخ ٢١ آذار ١٨٠١ فاضطر الى الاستسلام بعدها في الاسكندرية .

(٢) النجابة : السّعة .

(٣) الاودجاق (Odjak) : فرقة خيالية في الجيش الانكشاري العثماني ، يحمل قائدها رتبة عسكرية عالية تسمى «اودجاق» باسم الفرقة نفسها .

نها الامير ان تتكلم بهذا الكلام العظيم ، ولا يمكن ان دولة بنى عثمان تسمح بدخول فرنساوية على بلاد الاسلامية ^(١) ، فدعوا عنكم ذلك المقال وانهضوا نهوض الابطال واستعدوا للحرب والقتال . ثم وفق رأيهم ان يسجنوا القنصل والتجار الموجودين من فرنساوية في مصر القاهرة ، خوفاً من الخون المخامرة ، وسجنوهم جميعاً في قلعة الجليلة . وبعد ذلك اتفق الجميع ، الكبير منهم والوضيع ، الى القتال والصدام . وان مراد بيك يسير في العساكر المصرية لملاقاة فرنساوية عند دمنهور ، ابراهيم بيك الكبير وباكير باشا الوزير مع بقية العساكر والقواد والدساكر يقيمون في المدينة . كان قد هاج اكثر العلماء والاعيان وقالوا : لا بد نقتل بالسيف جميع النصارى قبل ان نخرج الى [^(٢) حرب الكفار . وقال الوزير وشيخ البلد ابراهيم بيك : غير ممكن اننا نسلم الى هذا الغرم الرأى ، لان هولاء رعية مولانا السلطان صاحب النصر والشان . واما النصارى فوقع عليهم وهم ظيم وخوف جسيم ، وبدوا الاسلام ^(٣) يتهددوهم بالقتل والسلب ويقولوا لهم اليوم يومكم . قد لقتلكم ونهبكم وسلبكم . وكانت مدة مهولة مرعبه ، ونار ثائرة ملهبة . ولكن بالمراحم المولى عز انه . اذ انه قد عطف وحنن عليهم قلب الوزير وشيخ البلد ، وكانوا في كل يوم يرسلوا اليهم سليم با ، اغة الانشكارية ، حالاً يطمنوهم على ارواحهم واموالهم ، ويطلق المناداة في كل البلد على حفظ عايا وعدم المعارضة لهم .

فلنرجع الى ما كنا في صده ، وهو ان مراد بيك جمع الفرسان والغز والعربان واهل تلك اطراف ، ما ينوف عن عشرين الف مقاتل من كل فارس وراجل ، وسار في العساكر كالبحور واخر ، نهار الجمعة ، الى ارض الرحانية ، وهى بلاد بالقرب من رشيد . وكان قد ارسل جبخانات والذخاير مع عسكر كريد ^(٤) في بحر النيل ، وكان صحبتهم على باشا الجزام الذى ان مطروداً من جزاير الغرب ^(٥) ومقيماً في مدينة مصر ، وناصيف باشا ابن سعد الدين باشا عظم مطروداً من الدولة . فهولاء كانوا ملتجئين الى مراد بيك في ذلك الوقت ، فارسلهم مع الذخاير الجبخانات ، وسار مراد بيك مع العساكر على شاطئ النيل امامهم . وعندما وصلوا الى اراضى رحانية ، فقابلوا الجيوش فرنساوية قادمين كالسيل القاطر ، وكانت غلايطهم ^(٦) سايرة تجاههم

(١) الاصح = الاسلام .

(٢) وردت في الاصل (لا) فاستبدلناها بـ (الى) استكمالاً للمعنى .

(٣) وبدأ المسلمون ...

(٤) جزيرة كريت .

(٥) أي من الجزائر .

(٦) غلايط : جمع غير صحيح لاسم معرب عن الفرنسية (Gallote) وتعريبه : غلياطة او غليون صغير ، وهو مركب شراعي صغير .

بحراً. وعندما نظروا الغلايط الى تلك المراكب التي بها الذخيرة فتجاروا^(١) اليهم، ووقع الكون^(٢) بينهم، وارموا بعضهم بالمدافع والقنابر^(٣)، فسقطت احدى القنابر على المركب الذي كانت به الجبخانه، فطار البارود واحترق المركب والذي بقربه من المراكب، وكانت الناس تتطاير بالجو كالطيور، ووصلت الى الجبخانه التي على البر فشعلت فيها، وانوعرت^(٤) العساكر لما شاهدت تلك النار، واستفؤلوا^(٥) من الانكسار، وايقنوا بالعدم والدمار. وفي ذلك الوقت دهمتهم العساكر الفرنسية وانزلت بهم البلية، فولت العساكر المصرية مُدبرين، والى النجاة طالبين، ولا زالوا راجعين وفي مسيرهم مُجدّين، الى ان وصلوا الى محلّ يقال له الجسر الاسود، واقاموا هناك في غاية الذلّ والنكد. فهذا ما كان من مراد بيك. وذلك التدبير وما اصابه عسكره من الزلّ^(٦) والتدمير.

وامّا ما كان من باكير باشا وابراهيم بيك الكبير فانهم، بعد مسير مراد بيك، نزلوا الى بولاق ونصبوا الخيام والوطاق، وابتدوا يبنوا المتاريس على شاطئ النيل. وعندما اتتهم الاخبار بما قد حصل بعساكر مراد بيك من الدمار والانكسار من الاعداء الكفار الفرنسية الاشرار، فتقطعت ظهورهم وحاروا في امورهم. ووصلت الاخبار الى مصر فكان يوماً مهولاً، وقامت اهالى البلد بالسلاح والعدد، وتهتدوا النصارى وصاحوا: اليوم قد حلّ قتلکم يا ملاعين، وصرتم غنيمةً للمسلمين. ثم ارسل ابراهيم بيك الى مراد بيك ان يحضر الى إمبابة تجاه بولاق، ويبنوا المتاريس على شاطئ البحر^(٧) ويضعوا المدافع، ويبقى ابراهيم بيك وعسكره في بولاق ومراد بيك وعسكره في إمبابة تجاه بعضها، والبحر بين الجهتين، احتساباً بان الفرنسية اذا اتوا بحراً يتلقاهم ابراهيم بيك: واذا اتوا براً يتلقاهم مراد بيك. وفي نهار الجمعة سادس عشر يوم من شهر صفر^(٨)،

(١) من جرى يجري . اي جرّوا اليه .

(٢) اي القتال او الحرب .

(٣) القنابر : مفرداها قنبرة ، وهي تسمية قديمة للقنبلة (انظر بحثاً عن القنبرة والقنبلة لعبد القادر المغربي في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، عدد ك ٢ وشباط ١٩٤٥ ، مجلد ٢٠ ص ٤٠٧ - ٤١٦) .

(٤) دعرّت .

(٥) نشاءموا .

(٦) الذلّ .

(٧) المفصود : شاطئ النيل ، وكانت تسمية النيل قديماً = بحر النيل ، وتقع إمبابة على الضفة الغربية لنهر النيل ، بينما تقع بولاق في مواجهة الضفة الشرقية ، وبينهما جزيرة الزمالك . وتقع كل من إمبابة وبولاق ضمن مدينة القاهرة حالياً .

(٨) سنة ١٢١٣ هـ ، الموافق ليوم ٣٠ تموز ١٧٩٨ .

صعدت علماء مصر وعامة الناس الى القلعة السلطانية، واحضروا البيراق^(١) النبوي بضجيج عظيم واحتفال جسيم، واتوا به الى مدينة بولاق وهم يمجون كالبحر الدفّاق، وجميع تلك الاقاليم في الوجل العظيم، ويضجون بالدعا المستديم الى الربّ الكريم، وقد صعدوا الى المنابر وفتحوا المصاحف وهم في غاية المخاوف. ونهار السبت سابع عشر صفر^(٢)، اقبلت الجيوش الفرنسية برّاً وبحراً، وتقدّمت العساكر المصرية، واستعدّوا لحرب الفرنسية، وقرعوا طبول الحرب، ووطدوا نفوسهم على الطعن والضرب. وتقدّم الى المحاربة الجبّار العنيد والمعدّة في الحرب بالف صنديد، الجنرال دُبوي^(٣)، فتلاطما العسكران وتصادما الجيشان وتهاجمت الشجعان، وفرّ الجبان وبان القوى من الجبان وجادت العربان، وتقدّموا الى الضرب والطعان، وتجارت الفرسان الى حومة الميدان، وعجّت بالمناداة: اليوم يوم المغازاة. ثم انقضّت السناجق كأنقضاض البواشق، بالسيوف البوارق والرماح الخوارق والخيول السوابق، واطلقوا المدافع كالصواعق. وثار العجاج وزاد الهياج. وقد هجم في ذلك الوقت البطل المغوار والاسد الهذّار ايوب بيك الدفتردار، وقحم بحصانه وسط الغبار، وصاح في الاعداء: ويلكم يا ليثام، ساقكم الغرور لفتح هذه الثغور. اليوم نملي منكم القبور، ونجعله عليكم يوماً مشهور. وفي مثل هذا الاوان، تبان الشجعان، وتبلغ المنازل العالية الفرسان، وتكسب الحمد والثناء، فمن مات مناً احتوى بالجنان، ومن عاش ربح من دون مخران، وكان بدنياه سعيد ومن مات راح بالله شهيد.

ولما طال الحرب واشتدّ البلاء والكرب، ودام الطعن والضرب، فعند ذلك الوقت قرعت الفرنسية الطبول النحاسية، وهجم ذلك البطل الذي ذكره تقدّم، الجنرال دبوي المعظّم، ولا زالوا يلتقون الكلل^(٤) في صدورهم، ويدوسون مجروحهم ومقتولهم، حتّى ملكوا المتاريس وكان ذلك على الغزّ انكيس^(٥). وبدوا يطلقون المدافع على الاسلام ويؤرثوهم مواريث الاعداد. وجادت الافرنج في القتال لما ملك دبوي المتاريس. وكانت الافرنج ثلاثين الف مقاتل ما بين فارس وراجل، وكان كلّ من هولاء الصلدا^(٦) في كلّ دقيقة يطلق الرصاص سبع دفعات.

-
- (١) البيرق، ويذكر الجبرتي انه، في يوم الثلاثاء (وليس الجمعة كما ذكر المؤلف) «صعد السيد عمر افندي نقيب الاشراف الى القلعة فأنزل منها بيرقا كبيرا سمته العامة البيرق النبوي، فنشره بين يديه من القلعة الى بولاق» (الجبرتي، المصدر السابق، ج ٢: ١٨٦).
- (٢) سنة ١٢١٣ هـ، الموافق ليوم ٣١ تموز / يوليو عام ١٧٩٨ م.
- (٣) الجنرال دومينيك ديبوي Dominique Dupuy (١٧٦٧-١٧٩٨) ولد في «تولوز»، وتميز ببطولاته في اثناء حملة بوناپرت على ايطاليا ومصر. عين حاكماً على القاهرة، حيث قتل فيها خلال احد اعمال التمرد الشعبي على الاحتلال الفرنسي.
- (٤) قبائل المدافع.
- (٥) كلمة لم نجد لها تفسيراً، وربما تكون بمعنى: انكس، من الانكسة.
- (٦) الجنود.

فعند ذلك صاحت الغز: الفرار الفرار من حرب هولاء الكفار. وولت العربان وانهزمت الشجعان. واذ ضاق عليهم ذلك السبيل القوا ارواحهم في بحر النيل، فما سلم منهم الا القليل. وكان قد سقط قتيل وداسته الخيل ذلك الجبار والاسد المغوار ايوب بيك الدفتردار، ولم يبان^(١) له علائم ولا اثار، بعد ان قتل جمعاً غفير وثبت قدام تلك الجماهير.

واما مراد بيك [فقد] فر في رجاله وابطاله [و] طالب^(٢) النجاة لنفسه العزيزة ودخل الى الجيزة. وقد احرق مركبه الكبير الذي كان انشاه، خوفاً ليلاً تكسبه اعدائه^(٣)، ثم سار نحو الصعيد.

وكان باكير باشا وابراهيم بيك، [قد]^(٤) انهزموا من بولاق وقلوبهم بنار الاحتراق، ودمعهم ينحدر من الاماق، وقلوبهم مغترمات بالحسرات، وهم يتأسفون على ما فات. ثم اخدوا اعيالهم ورجالهم، وخرجوا من المدينة من باب النصر قاصدين البرية والديار الشامية. وبقيت بقية اهل القاهرة تلك الليلة بمخاوف وافرة.

وعند الصباح اجتمع القاضى والاعيان وقالوا: ان الحكّام ولت واحوالهم اضمحلت، فالتسليم لنا اصلح وحقن دماء الاسلام اوفق واربح. وقد كنّا ذكرنا ان القنصل والتجار الفرنسية تحت اليّسَق^(٥) في قلعة الجبل، فاحضروهم وطلبوا منهم ان يسيروا معهم الى بولاق وياخذوا لهم الامان. ف اشار عليهم القنصل ان يتوجه اثنان من التجار ومحمد كتحدا ابراهيم بيك، وساروا الى بر امبابة، وفي وصولهم تقدّموا الى مقابلة الجنرال دبوى وترحب بهم وسألهم عن احوال [الـ] مدينة وما هو مراد اهلها. فقالوا له: ان الحكّام ولت والرعية ذلت، وقد اتينا من قبل علماء البلد والاعيان نطلب لهم الامان. فاجابهم الجنرال دبوى: من القى سلاحه حُرّم قتاله، فلهم منى الامان ومن امير الجيوش ومن كلّ من في هذا المكان. وانما يلزمكم في هذه الليلة ترسلوا المعادى^(٦) والقوارب لننقل بهم العساكر، لان مرادى في هذه الليلة ادخل البلد. ثم رجعوا محمد كتحدا والتجار واعلموا العلماء بتلك الاخبار، فامرت العلماء والحكّام البلد حالاً بمسير القوارب والمعادى الى بر امبابة، ونزل الجنرال دبوى بمائة وخمسين صلدات الى بولاق حيث

(١) لم يبين: لم يظهر.

(٢) وطلب.

(٣) لئلا تكسبه اعداؤه.

(٤) وردت في الاصل (حبس) واقتضى التصحيح.

(٥) الحراسة او السجن او الحجز.

(٦) المعادي: من (معدية)، وهي معابر من الخشب او سواه تنصب على ضفتي نهر او مجرى ماء لاجتيازها، ولكنها تأتي هنا بمعنى: القوارب.

كانت العلماء بذلك الاتفاق وحين تقابلوا اعطاهم الامان، وساروا قدّامه بالمشاعيل الى ان دخلوا المدينة والمنادية تنادى امامه بالامان على الرعية والاعيان.

وجلس الجنرال دبوى في منزل ابراهيم بيك الصغير، وارسل بعض الصلداة تسلّمت قلعة السلطان. واتّقدت تلك الليلة النار بمنزل مراد بيك، وكان ذلك من الذين ينهبون وهم من اولاد البلد، فنهض الجنرال دبوى واطفا تلك النار. وعند الصباح، في تاسع [عشر]^(١) صفر نهار الاثنين، ابتدأت تنتقل العساكر من برّ الجزيرة وامبابة الى مصر، فعندما قدم امير الجيوش بونابارته، فخرجت العلماء والاعيان والنصارى والاسلام لللتقاء، وكان يترخّب بهم ويلتقيهم بالبشاشة والاكرام، ويوعدهم بالخير والنظام. ثم امر ان يفرشوا له منزل بقرب النيل، ففرشوا له منزل محمد بيك الالفى الكاين على شاطىء بركة اليزبكية، ونزل كبير الاقباط المتسلّمين الاقاليم المصرية، وهو جرجس الجوهري، وياشر بفرش المنزل. وفي يوم الثلاثاء دخل [امير]^(٢) الجيوش ونزل بذلك المنزل، ودخلت جميع تلك العساكر التي ليس لها اول من آخر. وامر امير الجيوش ان جميع اهالى مصر يضعوا على رؤسهم ام صدورهم علامة المشيخة^(٣)، وهذا النشان هو من الحرير الابيض والكحلى والاحمر قدر زهرة الورد. وقد وضعتها جميع الناس من الرجال والنساء، واطلق المناداة ان كلّمن دخل من دون علامة يجب له القصاص. وحين دخلت العساكر الفرنسية كانوا ينهبون من بيوت الغزّ والماليك، فامر امير الجيوش برفع النهب. وكانت الغزّ قد دفنت اموالها تحت الارض ولم يبق سوا الفرش والامتعة، وقد نهبت اهالى المدينة من هم^(٤) شيء كثير. وفي ١٢^(٥) ارتفع النهب واطمأنت الناس في اماكنها فهذا ما كان من دخول الفرنسية.

(١) ورد في الاصل: تاسع صفر نهار الاثنين، الا اننا رجحنا ان يكون التاريخ (تاسع عشر صفر نهار الاثنين) لانه سبق ومرّ معنا انه «في نهار الجمعة سادس عشر يوم من صفر» بدأ اهل القاهرة يستعدون لقتال الفرنسيين، «وبهار السبت سابع عشر صفر» بدأت الحرب بين الفريقين، فيكون دخول بونابرت الى القاهرة، وفقا لذلك، هو «تاسع عشر صفر نهار الاثنين» وليس ٩ منه.

(٢) وردت في الاصل (الامير الجيوش) فاقتضى التصحيح.

(٣) اي علامة الجمهورية الفرنسية، ويقصد المؤلف باللون الكحلى: اللون الازرق، وهي الوان العلم الفرنسي منذ ذلك الحين الى اليوم.

(٤) منهم، ويقصد: منها، اي من الفرش والامتعة.

(٥) ورد رقم ١٢ هكذا في الاصل دون اي نوصيح. ويختلف كل من المؤلف والجبرتي في تحديد دخول بونابرت الى القاهرة، فبينما يذكر الترك ان بونابرت دخلها يوم الاثنين (في ١٩ صفر) يذكر الجبرتي انه دخلها يوم الثلاثاء (الجبرتي، المصدر السابق: ج ٢: ١٩٣) وانه «في يوم الخميس ثالث عشر صفر» ارسل الفرنسيون بطلب «المشايع والوجاقلية» (م. ن. ص ١٩٤). فيكون دخول بونابرت الى القاهرة، وفقا للجبرتي، يوم الثلاثاء في ١١ صفر. وفي هذا اختلاف واضح في الايام وتواريخها بين كل من الترك والجبرتي.

وأما ابراهيم بيك وباكير باشا فانهم ، بعد خروجهم من مصر ، ساروا الى مدينة بلبس وهم في الذلّ والتعكيس . وأما مراد بيك فسار الى اراضى الصعيد . وفارقت الغزّ الكنانة ولبّوا بالذلّ والاهانة . وقد وقعوا بالشتات والخبال ، وانتهت اموالهم وسُبيت اعيالهم ، وناحوا على فراق مصر وتفرّقهم في كلّ قطر . وارموا من رؤوسهم القواوين^(١) الصفراء ، ولم يبق القووق الا صفر في مملكة مصر اثار . وذاقوا من الغربة امرّ كاس وبقوا كعامّة الناس .

وكان امير الجيوش بونابارته ، بعد دخوله الى ارض مصر ، احضر تجّار ديوان البهار المعروف بديوان البنّ الوارد من الاقطار ، وطلب منهم الف وستماية كيس . وطلب من الاقباط المباشرين الدواوين^(٢) الف وستماية كيس . ومن تجّار النصارى ثمان مائة كيس . وتسلم تلك الاربعة الاف كيس في ستة ايام ، واوعدهم بوفائها عندما يروق الحال ويتّسع المجال . وبعد ذلك ابتدأ في النظامات^(٣) في مدينة مصر كما ياتى ذكره ، فاحضر اولاً خمسة انفار من العلماء الكبار وهم : الشيخ عبد الله الشرقاوى والشيخ خليل البكرى والشيخ مصطفى الضاوى والشيخ محمد المهدي والشيخ سليمان الفيومى ، واحضر معهم اثنين من الاوجاقات وواحد من التجّار وهم : على كتخدا باشى ويوسف شاوش باشى والسيد احمد المحروقى ، وافرز الى هولاء محلاً معيّناً ، وعيّن لهم علايف^(٤) شهرية ، واقامهم رؤساء في ديوان خصوصى ، وكانوا في كلّ يوم يجتمعون . واقام معهم رجلاً فرنساوياً مترجماً من اللغة الفرنسية الى اللغة العربية . ثم ان امير الجيوش بونابارته رتب ديواناً ثانياً سبعة انفار من التجّار ، ومعهم رجلاً فرنساوياً مترجماً ، وذلك ليكون ديوان البحر^(٥) ، وافرز لهم محلات معلومة لاستماع دعاوى التجّار والمتسّبين .

واحضر امير الجيوش محمد كتخدا المسلمانى ، فهذا كان اصله ارمنياً واسلم ، وترقى في زمان المماليك الى ان صار كتخدا ابراهيم بيك الصغير الذى غرق في النيل يوم الحرب ، فجعل هذا الرجل اغة الانكشارية . واحضر ايضاً رجلاً من الاوجاقات وجعله على الاحتساب^(٦) . واحضر ايضاً رجلاً يسمّى على اغا وجعله والياً على البلد .

(١) القاووق : من ملابس الرأس : اسطوانى مستدير كالذي يلبسه خوارنة الموارنة ، جمعها : قواويق (وليس قواوين كما وردت عند المؤلف) ، (محيط المحيط : قوق) .

(٢) اي القائمين مباشرة على الدواوين ، وقد ترجمها «اينبه» : الاقباط الذين يقومون بجمع الضرائب (Alné, op. cit. P. 36)

(٣) اي في تنظيم مدينة مصر (وهي القاهرة) .

(٤) رواتب .

(٥) اي الديوان الذي يهتم بالشؤون البحرية .

(٦) الحسبة ، اي الادارة والمحاسبة .

ثم امر امير الجيوش بان تفرز محلات معينة لاجل المطابع التي احضرها معه من رومية ، وهي تطبع بجميع اللغات كما قدّمنا ذكره . وجعل لذلك محلات على شاطئ اليزبكية .

ثم ان امير الجيوش قسم البلد خطوطاً^(١) وجعل لكل خط حاكماً فرنسارياً . وكانت الولاية من الفرنساوية واقفين على باب المدينة ليلاً ونهاراً وخارجاً الى حدود بولاق والى حدود الجزيرة . وانقطعت جنس اللصوص والخطّافين والعربان والسراقين . وكانت حكام الخطوط في كلّ سبة^(٢) يطلقون المنادات على الرعايا بكناسة الطرقات والشوارع ورش الماء لاجل النظافة ونظام الطرقات ، ورسوموا ان على كلّ باب بيت او باب وكالة^(٣) يكون قنديلاً شاعلاً كلّ الليل . وكانت حكام الخطوط تدور في الليل ، فكلّ باب لم يجدوا عليه قنديلاً فكانوا يضربون عليه مسماراً ، وفي الغد يقع على صاحبه القصاص ، وكانت المدينة تضيء في الليل كالنهار .

ثم ان امير الجيوش احضر مصطفى اغا كتحدا باكير باشا وآمنه^(٤) والبسه فرواً ، وجعله امير الحاج^(٥) . وامره ان يباشر لوازم الحاج وما يحتاج اليه . وقال : لماذا الوزير فرّ هارباً مع المماليك ، ألم يعلم اننا متحدّين مع الدولة العثمانية ، ونحن ما حضرنا الى هذه الامصار آلاً بالاذن من السلطان سليم والاختيار^(٦) . ثم امر الي مصطفى اغا ان يحرّر الى باكير باشا ان يرجع الى القلعة كما كان وله الكرامة والامان . ورجع مصطفى اغا من امامه وهو منشرح الصدر مستغرباً هذا الامر .

ثم ان امير الجيوش شغل الضربخانة^(٧) في القلعة كما كانت ، وامر ان يضع^(٨) اسم السلطان سليم حسب العادة . وامر ايضاً امير الجيوش ان يفرزوا محلات للمرضى والمجروحين المعروف بالاسبستار^(٩) وافرزوا لذلك قصر المعنى^(١٠) الذي على شاطئ النيل بين القاهرة ومصر القديمة .

(١) اي مناطق او احباء ، والبلد : القاهرة .

(٢) سبت .

(٣) وكاله (وليس وكالته) ، وهو بناء او مجمع من عدة طوابق ، يكون عادة مربع الشكل او مستطيل ، وفي داخله فناء واسع ومكشوف تحيط به محلات تجارية لمختلف الاصناف ، وتكون الطوابق العليا منه مساكن لعائلات التجار . وللوكالة باب واحد يقفل ليلاً . وقد اندثرت هذه الوكالات في القاهرة .

وكان منها مثلاً : وكالة البلح ، ووكالة الغوري (نسبة إلى السلطان الغوري) .

(٤) أمنه ، اي جعله آمناً .

(٥) الحج .

(٦) اي باختيار منه .

(٧) اي مكان ضرب العملة .

(٨) بوضع .

(٩) وبمعنى : المستشفى (Hospital) .

(١٠) قصر الحبس .

فجعلوا اماكن لاجل صنع الادوية . واقام هناك رؤساً للطباء ورؤساً للجراحية^(١) .

وبعد ذلك امر امير الجيوش بونابارته بتفريق الجنراليات على الاقاليم المصرية . فاقام الجنرال ديزه^(٢) على اقليم بلاد الصعيد ، وكان هذا الجنرال برج مشيد وبطل عنيد . ثم اقام الجنرال مورا^(٣) ، وكان من الابطال الشداد ، وقلده احكام اقليم القلوبية ، وكان شاباً بالسّن بديعاً بالحسن . ثم اقام الجنرال لانوس^(٤) ، الرجل الوديع المانوس ، وكان خبيراً بالحروب ومقدماً على الشدايد والخطوب ، وقلده اقليم المنوفية من الجهة الغربية . ثم احضر الجنرال دُكا^(٥) ، الحسن السورة^(٦) صاحب الوقايع المشهورة ، وقلده احكام المنصورة ، وهى بلد مشهورة ، واقليمها واسع وبرّها شاسع . ثم احضر الجنرال ويال^(٧) وكان حميد الخصال وبطل من الابطال ، وارسله الى مدينة دمياط وصحبته ثلثماية نفر صلدات ، وسار بسرعة ونشاط الى ان دخل البلد ، فالتقوه العلماء والاعيان واعطاهم الامان ، ثم نظم اقليم دمياط احسان^(٨) ممّا كان . اما ذاك البطل العنيد والليث الصنديد ، صاحب العزّ والنصر المشيد ، الذى كان بين تلك الجيوش فريد ، الجنرال دبوى ، فان امير الجيوش اقامه شيخ البلد مكاناً^(٩) ابراهيم بيك ، لان ذاك الانتصار وفتح تلك الامصار كان عن يد هذا الجبّار .

ثم ان امير الجيوش احضر احد الكوميسارية الكبار المسمى بوسلنج^(١٠) ، وقلده مُعاطاة الاقلام

(١) رئيسا للطباء ورئيسا للجراحين .

(٢) الجنرال ديزيه Desaix واسمه Louis Desaix de Veygoux (١٧٦٨ - ١٨٠٠) ، كان قائد المقدمة في حملة مصر ، وقد لقب من قبل المصريين بالسلطان العادل ، أُسر من قبل الانكليز اثناء عودته من مصر ، ثم اطلق سراحه والتحق ببونابرت في ايطاليا حيث قتل في معركة مارنغو .

(٣) الجنرال مورا Murat (١٧٦٧ - ١٨١٥) كان قائدا مهماً في خيالة بونابرت ، (١٨٠٠) واصبح مارشال فرنسا في اوائل العهد الامبراطوري ، حيث نصب دوقا اكبر على برغ Berg ثم ملكا على نابولي (١٨٠٨) باسم يواكيم الاول . وفي عام ١٨١٤ اتفق مع الحلفاء ضد نابوليون للحفاظ على ملكه ، الا انه عاد فانضم اليه قبل واترلو ، وكان من نتيجة ذلك انه طرد من ملكه بعد هذه المعركة ، وقد حاول استرداد ملكه فأسر واعدم في بيتزو Pizzo عام ١٨١٥ .

(٤) الجنرال لانس Jean Lannes (١٧٦٩ - ١٨٠٩) دوق مونتيلو Duc de Montebello ، ومارشال فرنسا . تطوع كجندي في الجيش عام ١٧٩٢ حيث اصبح جنرالاً بعد اربع سنوات (عام ١٧٩٦) . وقد تميز ببطولاته في حملتي ايطاليا ومصر .

(٥) الجنرال ديغا Dugua .

(٦) الصورة .

(٧) الجنرال فيال Vial .

(٨) أحسن .

(٩) مكان .

(١٠) بوسلنج Poussielgues (أو بوسيلنج) .

الميرية وضبط مداخل الاقاليم المصرية ، واقامه في بيت الشيخ البكرى الكاين في بركة اليزبكبة ، وكان المصريون يدعونه الوزير اي وزير المشيخة الفرنساوية . وارتقى هذا الى رتبة عليه ، وكان عالماً بعلم الحسابات كاملاً بجميع الصفات . ولفظة كوميسارية هم الذين لا يتعلقون بامور الحرب بل في مُعاطاة الكتابة والحسابات والصنایع وما مائل ذلك . ثم ان بونابارته اقام خزندار الى المشيخة احد الكوميسارية المدعو استيفو^(١) ، وهو كان عالماً بعلم الحسابات وجميع الامور تصل اليه .

ثم امر امير الجيوش ان العلماء الفرنساويين والفلاسفة يسكنون في البيوت التي الى قاسم بيك وحسن بيك وما حولهم من بيوت الكشاف التي هي في باب الناصرية النافذة الى مصر العتيقة . ثم ان امير الجيوش بونابارته امر ان يفرزوا محلات معينة خارجاً من المدينة بحفظ الكرنتينا ، كذلك في مدينة الاسكندرية ، ثم في مدينة رشيد ، ثم لمدينة مصر تكون الكرنتينا في بولاق ، ثم لمدينة دمياط فتمون الكرنتينا في مدينة القرية . وشرعوا في بنایة المحلات المعلومة وذلك لمنع رايحة الطاعون المسمومة كما جرت العادة في بلادهم .

ثم ان امير الجيوش ، من بعد ما رتب الترتيب المقدم ذكره ، اخذ جانب^(٢) من العساكر وسار بهم قاصد^(٣) مدينة بلبس لمحاربة الوزير باكير باشا وابراهيم بيك وخرج في شهر سفر^(٤) . وحين قارب مدينة بلبس بلغه ان الباشا وابراهيم بيك هربوا الى الصالحية فتبع اثرهم ، وهناك التقت بهم خيالة الافرنج وهجمت عليهم في تلك المرج . وابتدأ الحرب واشتد البلاء والكرب . واذا كانت الفرنساوية على الخيل لا يستطيعون مقاومة الغز المصريين ، فرجعوا عنهم مكسورين ، فمات منهم جملة مقتولين . ولما وصل الخبر الى امير الجيوش فسار في الحال ، وحين بلغ الغز قدومه فولوا منهزمين ، ولم يزالوا سايرين الى ان وصلوا لمدينة غزة ، ورجعت العساكر الفرنساوية الى مصر وهم مايدن بالسعد والنصر . وبعد ذلك ابتدأ ابراهيم بيك يحرر الى الاقاليم المصرية ويحثهم على القيام على الفرنساوية ، ويستخرج لهم البيورلديات^(٥) من الجزار وباكير باشا .

وكان جميع الغز يهيجون العربان والفلاحين على العصاوة والقيام ضد الفرنساوية ، فاحضر امير الجيوش بونابارته امراء الديوان وهم المقدم ذكرهم ، وشرح لهم السبب الداعي الى حضورهم لتلك

(١) استيفو Estève (او استيف) .

(٢) جانباً : اي قسماً .

(٣) قاصداً .

(٤) صفر .

(٥) البيورلدي : منشور الوزير ، تركية ، ومعناها : أمر (بالمجهول) او صدر الامر ، والعامّة تقول : بيوردي او بيلوردي (محيط المحيط) .

الديار- وان ذلك باتّفاق مع الدولة العثمانية. وان الدولة الفرنسية مساعدة الى الدولة العثمانية على قهر الدولة المسكوبية^(١) وصدّها عن مطلوبها المبين، واسترجاع ما تولّوا عليه بالتغلب من بلاد المسلمين. وكتب لهم صورة كتابات ان يطبعوها بالعربية ويرسلوها الى الاقاليم المصرية. ففعلوا ما امرهم به من الأمورية. وهذه صورة كتابات من العلماء مصر والاعيان الى الاقاليم والى البلدان:

نخبركم يا اهل المداين والامصار، وسكان الرياف^(٢) والعربان، كباراً وصغاراً، ان ابراهيم بيك ومراد بيك وبقية دولة الممالك، ارسلوا عدة مكاتبات ومخاطبات الى ساير الاقاليم المصرية، لاجل تحريك الفتن بين المخلوقات. ويدّعون انها من حضرة مولانا السلطان ومن بعض وزرائه. وذلك كله كذب وبهتان. وسبب ذلك انه حصل لهم شدة الغم والكرب والهم، واغتاضوا غيظاً شديداً من علماء مصر ورعاياهم، حيث ما وافقوهم على الخروج معهم وترك اعاليتهم واواطانهم، وارادوا ان يوقعوا الفتن والشر بين الرعية والفرنساوية لاجل خراب البلاد وهلاك كل الرعية والعباد، وذلك لشدة ما حصل لهم من الكرب الزايد بذهاب دولتهم وحرمانهم من مملكة مصر المحمية. ولو كانوا في هذه الاوراق صادقين، وانها من حضرة سلطان السلاطين، لكان ارسلها جهاراً مع اغاوات من طرفه معينين. ونخبركم ان الطائفة الفرنسية، بالخصوص عن بقية الطوائف الافرنجية، دائماً يحبون المسلمين وملتهم، ويبغضون المشركين وطبيعتهم. وهم احباب لمولانا السلطان، قائمين بنصرته، واصدقاء له ملازمين لمودّته ومعونته، ويحبّون من ولاه ويبغضون من عاداه. وكذلك بين الفرنسية والمسكوب غاية العداوة الشديدة، لاجل عداوة المسكوب للاسلام واهل الموحّدين. واعلمهم ان المسكوب يتمنى الاخذ لاسلامبول المحروسة، ويعمل انواع الحيل والدسائس المعكوسة في اخذ ساير الممالك العثمانية الاسلامية، لكنه لا يحصل على ذلك بسبب اتحاد الفرنسية وحبّهم واعانتهم الى الدولة العلية. ويريدون يستولون على اياصوفية وبقية المساجد الاسلامية، ويقلّبوها كنائس للعبادة الفاسدة والديانة القبيحة الردية. والطائفة الفرنسية يُعينون حضرة مولانا السلطان على اخذ بلادهم ان شاء الله، ولا يبقون منهم بقية. وننصحكم يا ايّها سكان الاقاليم المصرية انكم لا تحرّكوا الفتن ولا الشرّ بين البرية. وايساكم [أن] تعارضوا العساكر الفرنسية بشيء من انواع الاذية، فيحصل لكم الضرر والبليّة. فاذاً، لا تسمعوا كلام المفسدين، ولا تطيعوا كلام المصرفين^(٣) بالفساد في الارض الغير مصلحين، فتصبحون على ما فعلتم نادمين. وانما عليكم دفع الخراج المطلوب منكم لكلّ الملتزمين، لتكونوا في اوطانكم سالمين وعلى اعيالكم واموالكم آمنين. لان حضرة السرعسكر الكبير امير الجيوش

(١) الروسية.

(٢) الارياف.

(٣) المصرفين.

بونابارته اتفق معنا انه : لا ينازع احداً على دين الاسلام ، ولا يعارضنا فيما شرع من الاحكام ، ويرفع عن ساير الرعية الظلم ، ويقتصر عن اخذ الخراج ، ويُزيل ما ابدعته الظلمه من المغارم . ولا تعلقوا امالكم بابراهيم ومراد ، وارجعوا الى مالك الممالك وخالق العباد ، فقد قال نبيّه ورسوله الاكرم : الفتنة نائمة لعن الله من ايقظها بين الأمم عليه افضل الصلوة والسلام .

الداعى لكم الفقير	الداعى لكم الفقير
عبد الله الشرقاوى	السيد خليل البكرى نقيب
عفى عنه	الاشراف عفى عنه
الداعى لكم الفقير	الداعى لكم الفقير
محمد المهدي الخفناوى	مصطفى الضاوى
الشافعى عفى عنه	عفى عنه
الداعى لكم الفقير	الداعى لكم الفقير
احمد العريشى	محمد الامير مفتى المالكى
عفى عنه	عفى عنه
الداعى لكم الفقير	الداعى لكم الفقير
محمد الدواخلى الشافعى	سليمان الفيومى المالكى
عفى عنه	عفى عنه
الداعى لكم السيد	الداعى لكم الفقير
مصطفى الدمنهورى	موسى السرسى الشافعى
عفى الله عنه	عفى عنه

ثم ان امير الجيوش ، بعد طرد ابراهيم بيك وباكير باشا في شهر سفر^(١) ، ورجع الى مصر ، احضر القنصل كارلو^(٢) وامره ان يتوجه الى مراد بيك في الصعيد ، ويتكلم معه ان يُقدم الطاعة الى امير الجيوش ، ويكون عضواً من اعضاء المشيخة ، ويتقلد احكام مدينة جرجة^(٣) واعمال الصعيد ، ويكتسب راحته وراحة البلاد والعباد ، ويكون له الامان . فسار القنصل الى مراد بيك بذلك

(١) صفر (١٢١٣ هـ).

(٢) القنصل كارلو (او القنصل شارل Charles) هو القنصل «شارل روزيتي Charles: Rosetti» القنصل العام للنمسا وروسيا ، في ذلك الحين ، وقد لعب دورا سياسيا مهما في تاريخ مصر في تلك الحقبة . (Voir, Aîné. Op.cit P. 45. et P. 273 Note 6)

(٣) جرجا : مدينة في اعلى الصعيد ، جنوب سوهاج ، على النيل ، لا تزال موجودة ، ومنها (الجرجاوي) العالم الشهير .

الخطاب، وفي وصوله ترخّب به مراد بيك غاية الترحيب، وقابله بمقابلة الحبيب، لان كان هذا القنصل له مدّة مستطيلة في مصر، وكان محبوباً من سائر السناجق، ولا سيما من مراد بيك، وكان له عنده مبلغ من المال. ثم ان مراد بيك سأله مستخبراً عن احوال مصر، فاخبره القنصل بكلّما دبره امير الجيوش، ثم قال له: ان بونا برته ارسلني اليك لاجل الاعتماد على اجراء الحبّ والوداد، وان تحقن دماء العباد، وتكتسب راحة البلاد. فقال مراد بيك إلى القنصل: ارجع وقل له يجمع عساكره ويرجع الى الاسكندرية، ويأخذ منا مصروف عسكره عشرة آلاف كيس، ويكسب دماً [ء] اجناده، ويُرِيحنا من كفاحه وجلاده. فرجع القنصل الى مصر، واخبر بونا برته بما سمعه من مراد بيك، فغضب امير الجيوش من ذلك، وفي الحال أمر الجنرال ديزه، المعين على اقليم الصعيد، بان يسير بالعساكر الى حرب مراد بيك، فاخذ الجنرال اربعة الاف مقاتل وسار بها الى الصعيد.

فخرج ان امير الجيوش بونا برته، في ابتداء قدومه، اخرج العساكر من المراكب الى البريّة في ثغر الاسكندرية، وامر الى سرعسكر البحر انه يبقى مقيماً في البوغاظ لحماية الحصون، لانه قد احتسب ان لم يتوقّق له فتوح مصر فيحتاجوا الى العمارّة. واوصاه ان لا يلقي مراسية في الميناء [ء]، بل دائماً يطوف امام اسكندرية وهو مُشرّع القلوع.

ثم، بعد ان امير الجيوش فتح مصر، ارسل الى السرعسكر نجاباً^(١) يامره بالقيام، وقيل ان ذلك النجّاب مات في الطريق. ثم ارسل^(٢) له نجاباً ثانياً فلم يصله من العربان. وكان السرعسكر ارمى مراسيه في منية^(٣) بوقير واطمان، وكانت مراكبه الكبار الحربية ثلاثة وعشرين مركباً، ومنهم مركب عظيم وهو المدعو بنصف الدنيا^(٤). وكان محموله مائة وثمانون مدفعاً وفيه الف من العساكر. وكان فيه اموال جزيلة وذخاير ثمينة اسلبوها^(٥) من تلك الممالك التي تملكوها كما قدّمنا ذكرها.

وعند ما كانت تلك العمارّة رابطة في البوغاظ، وغافلة عن الايقاظ، فدهمتهم مراكب الانكليز على بغتة، وبدوا يطلقون عليهم القنابر والمدافع، واشتدّ عليهم الحرب يوماً وليلاً. فاحترق من تلك العمارّة العظيمة اربع مراكب كبار، ومن هم^(٦) تلك السفينة العظيمة والقلعة

(١) النجّاب: الساعي.

(٢) ارسل.

(٣) ميناء.

(٤) مركب مشهور في اسطول بونا برت، اسمه بالفرنسية «La Moitie du Monde» ويذكر اينيه ان هذا المركب مسلح بمائة وثمانية مدافع (وليس بمائة وثمانين مدفعاً كما اورد المؤلف الترك في كتابه الذي هو بين ايدينا)، ويتألف طاقمه من الف رجل. (Volr Ainé, op. cit. P. 47).

(٥) اسلبوها.

(٦) ومنهم (ويقصد: ومنها).

الجسيمة المسماة بنصف الدنيا. واستمرت تتقد في البحر اربعة ايام. ومات من فيها من العسكر وسر عسكرها الذي بسوء تدبيره قد هلك واهلك معه نفوساً كثيرةً واحتوت الانكليز على اكثر تلك المراكب، واستأسرت من فيها من العساكر، واكثرهم هلكوا من ضرب المدافع والقنابر. ولما وصل ذلك الخبر المريع والخطب الشنيع الى امير الجيوش، فصار كالمدهوش، وصفق بكفه ودب برجليه واحمرت مقلته، وتسخط على ذلك الجنرال لعدم اطاعته والامثال، وقال: جزاء ما حل به من الوبال. وصاحت فرنساوية: يا لها من بلية، لقد خابت الامل وهلك الرجال، وذهب الحال والمال. لقد امتنع عنا الامداد، وحرمت علينا البلاد، وشمت بنا الاعداء والحساد، وطمعت بنا الاسلام وزاد علينا الخصام، وكان ذلك بدو الانكيس^(١) واول التعكيس.

وقد ايقنت فرنساوية بالتهلكة بعد كسب المملكة، لحجز الامداد عنهم ونفور الاسلام منهم. لان فرنساوية قد استعملت احتيالات كثيرة، وسلخوا مسالك غزيرة لاجل الضرورة، كاشتغالهم بالاسلامية ونكرانهم النصرانية، واظهارهم للحرية واقرارهم بالاتحاد مع الدولة العثمانية. وانهم باذنهم دخلوا الديار المصرية، وانهم مع الاسلام على اخلص طوية واصلح نية، ويرغبون راحتهم ويحبون ديانتهم.

وكان فرنساوية مؤانستهم غريبة وطول اناتهم عجيبة. وكانوا احسن سلوكاً من ساير الجنوس. واشهروا^(٢) بالامن وطولة البال وطيبة النفوس، ونشروا العدل وحسن الاحكام. وقد احتوا الشرايع الحقيقية على التمام. ومع كل ذلك قلوب الاسلام غير آمنة والاحقاد في ضمايرهم كامنة. ويشتهون لهم المهالك والوقوع في اضيق المسالك. فهذا ما الجاء امير الجيوش الى المخافة، فبدأ الاحتيايل بحسن الرقة واللطافة، لجذب القلوب وتحصيل المطلوب. وكان هذا الامير المشتهر اسد من الاسود، ونادراً في الوجود. رهط^(٣) من الارهاط العظام، حكياً علياً بمكايد الايام.

ذكر ما صنعه امير الجيوش في جريان النيل

انه، من بعد دخول فرنساوية الى القاهرة بمدة قليلة، جبر^(٤) النيل السعيد، فاحضر امير الجيوش علماء الديوان، وسألهم عن العوايد في جريان النيل والقوانين وحررها عنده. ثم امر

(١) النكسة.

(٢) الاجناس، واشتهروا...

(٣) الرهط، لغة: قوم الرجل وقبيلته، ومن ثلاثة الى سبعة الى عشرة او ما دون العشرة. والعامية تقول: فلان رهط: اي عمدة عظيمة (محيط المحيط)، وهي هنا بهذا المعنى.

(٤) جبر النيل: فاض، وجبر النيل: فضائه.

باخراج العساكر من المدينة الى خارج البلد ، وان يصطفوا صفوفاً في مراتبها . واحضر لديه اعيان المدينة وعلماءها والحكام والتجار من النصارى والاسلام . وركب من منزله الكاين على البركة اليزبكية ، وركبوا جميعهم معه ، وخرجت اهالى مدينة القاهرة من ساير الملل ، وكان موكباً عظيماً ومحفلاً يُذكر جيلاً فجيلاً ، وفرّق مالاً غزيراً^(١) . وضربت في ذلك النهار مدافع كثيرة من ساير الاماكن ومن القلعة الكبيرة . وصنعت الفرنساوية في تلك الليلة حراقات عظيمة لم تكن صارت في المدن القديمة . وكان [الامان] شاملاً^(٢) لكلّ الناس . وتخرج النساء والرجال من دون باس^(٣) . وصنع امير الجيوش وليمةً عظيمةً لساير الاعيان والعلماء ، واهل الديوان والجنرالية والفيشالية ، وحكام الخطوط^(٤) المصرية . وقد اعجبت اهل القاهرة تلك الاحوال الباهرة والامور الصائرة .

ذكر ما صنعه امير الجيوش في مولد النبيّ الواقع في ١٢ ربيع اول سنة ١٢١٣^(٥)

ان امير الجيوش ، بعد تملكه القاهرة ، في اثنى عشر ربيع اول كان مولد النبيّ محمد . فصنع ، في ذلك الاوان ، مولداً عظيماً على بركة اليزبكية كعادة اهل القاهرة . وكانت ليلة عظيمة ، لانه صفّ جميع العساكر الموجودة داخل القاهرة صفوفاً ، بطبولهم والآلات الموسيقية ، وامر بحراقات عظيمة ، وضرب مدافع كثيرة . وكان اخفلاً عظيماً ومولداً فخيماً وحضر في الوليمة بمنزل الشيخ خليل البكرى ، لان هذا المولد مخنص بالسادات البكرية ، وذلك مع كامل الجنرالات والفيشالية والعلماء والاعيان واصحاب الديوان . ثم اولى الشيخ خليل البكرى منصب النقابة عوضاً عن السيد عمر مكرم نقيب الاشراف ، لانه قد كان هرب مع الغزّ الى الشام . وقد كان الشيخ خليل البكرى محباً لجمهور الفرنساوية ، فلاجل ذلك بغضته الاسلام المصرية .

ذكر العيد الذى صنعه امير الجيوش للمشixe في ربيع ثانى سنة ١٢١٣^(٦)

انه ، حين دخل شهر ربيع الثانى ، صنعت الفرنساوية عيداً عظيماً للمشixe في البركه

(١) ربما بقصد المؤلف : وفرّق مال غزير .

(٢) وردت في الاصل (وكان امان شاملاً) فاقتضى التصحيح .

(٣) خوف .

(٤) المناطق .

(٥) الموافق ليوم ٢٤ آب / اغسطس ١٧٩٨ .

(٦) الموافق لشهر ايلول / سبتمبر ١٧٩٨ م .

اليزبكية، وذلك انهم اصطنعوا عاموداً طويلاً مرصعاً وغرسوه في البركة اليزبكية، وصوّروا عليه صورة ،لطانهم وصورة زوجته اللذين قتلوهما في مدينة باريز. ثم جعلوا من العامود الى البر اخشاب مثلثة الالوان، وصوّروا عليها صورة الموقعات^(١) التي حدثت في بر امبابة وفتوح القاهرة، وصورة الاشخاص المحاربين من الفريقين، وصورة ايوب بيك المقتول في هذه المعركة، ومن مات من الغزّ وانهزامهم، وكلما تمّ في هذه المعركة. وكانوا يقولون ان هذه شجرة الحرية. واما اهالى مصر كانوا يقولون ان هذه اشارة الخازوق الذى ادخلوه فينا واستيلاهم على مملكتنا. واستمرّ هذا العامود نحو عشرة اشهر. وحينما رفعوه استبشرت اهل مصر وابتهجت بالفرح. وكانت الفرنساوية تصنع هذا العيد اينما وجدوا بفرح عظيم في كل سنة.

ذكر امير الحجّ لما خرج في الحجّ قبل دخول الفرنساوية

انه في سنة ١٢١٢ خرج الحجّ الشريف من مدينة مصر. وكان صالح بيك امير الحجّ. وبعد رجوعه من الزيارة الشريفة في الطريق، وصلت له الاخبار عن دخول الفرنساوية الى الديار المصرية وخروج الغزّ. فبكى صالح بيك على خراب اوطانه وتفرّق خلّانه، وذهاب ماله وسبى اعياله. وغاص في بحر الافكار وخاف من رجوعه الى تلك الديار. وصار حائراً من تلك المصائب وفرقة الحبايب. وقطع رجاءه والامل ولم يعرف كيف العمل. واخذ بالمشورة مع اصحابه وخلّانه. فثبت رأيه ان يتوجّه الى القدس الشريف صحبته المحمل المنيف. ولم يزل سائراً بعزم ضعيف الى ان وصل الى القدس الشريف. فحينما شاهدوه اهالى المدينة بدوا يشتمون ويقولون: لعنكم الله يا ملاعين، ويا اظلم الظالمين، سلّمتم مدينة الاسلام الى الفرنساوية اللئام، وهربتم من وجه الكفار، وابتديتم تخربوا هذه الديار. فلما سمع صالح بك تلك الشتائم المغمة والالفاظ المسمة، فاتقدت بقلبه النيران وغاص في البحران. ونزل في منزله وهو مثل النشوان، ومرض جملة ايام من قهره ثم توارى في قبره. وهكذا جرا الى ابراهيم بيك ولمن معه لما حضروا الى اراضى الشام، فكانوا يسمعون من الناس غليظ الكلام. وقد ذاقوا المشقة والاعتاب وقضوا الالهانة والعذاب، في البرارى والقفار من الذلّ والاضرار. وكانوا اهالى الشام يعيرونهم في الكلام، ويلومونهم وهم لا يستحقّون الملام. وما كانوا يدرون ما قاست الغزّ في الحرب والصدام من الكفرة اللئام. وكانوا يظنّون ان الغزّ هربت من تلك البلدان من دون حرب ولا طعان، ولم يدروا ما جرى عليهم من اوليك الشجعان. فهذا ما كان من الغزّ بارض الشام.

(١) الوقعات، المعارك.

واما ما كان من امير الجيوش فان^(١) ، بعد قيام الفرنساوية بمدة طويلة في مصر ، عدوا ان عدواتهم في سراير الاسلام مستكنة . فلذلك لم تكن قلوبهم مطمئنة^(٢) . وكانوا يخشون تسليم كتاباتهم للسعاة من اهل تلك البلاد . فامر امير الجيوش بابطال السعاة من مصر الى البنادر^(٣) ، وكانوا يرسلون المكاتيب في المراكب . وكانوا يضعون فيها عدة من الصلداة ، لان المراكب كانت لاهل تلك البلاد ، والنوتية منهم . ومن كون ان اهل تلك البلاد عازمين على ضرر الفرنساوية ، ومهمّين^(٤) على تلك النية ، فكانوا يضعون كثيراً من الصلداة مع الذين يسافرون الى البنادر . فالتزم امير الجيوش ان يبطل ذلك ، ورجع السعاة من اهل البلاد كالمعتاد .

وقد كنّا ذكرنا ان امير الجيوش ، حينما تسلّم مدينة الاسكندرية ، قلّد السيد محمد كريم لتدبير امور البلد كعادة^(٥) في ايام مراد بيك . ففي ذلك الزمان وقع منه مكاتبة الى مراد بيك يحثّه على الحضور الى الاسكندرية لكي يسلمه البلد . فلما وصلت تلك المكاتيب الى امير الجيوش ففستهم وفهم ما فيهم . وفي الحال ارسل الى الجنرال الحاكم في الاسكندرية بان يقبض على السيد محمد كريم ويرسله له . وحين حضر السيد محمد كريم قدام امير الجيوش سأله عن تلك الكتابات فانكر ذلك ، فاخرج له ايتاهم وحين نظر كتاباته صار مذهولاً ولم يعلم ماذا يقول . فامر امير الجيوش بارسله^(٦) الى شيخ البلد . وقد اتت العلماء والاعيان يترجّونه باطلاقه ، فاجابهم ان قد عرض امره على الشريعة^(٧) وحكمت عليه بالموت . ودفعوا عنه خمسين كيس فلم يقبل ذلك ، وقال لهم : « ان شريعتنا لا تقبل الرشوة ، ولا يقدر احد ان ينقذه من الموت ، حتّى ولا امير الجيوش . لان الشريعة اذا حكمت على احد بالموت فلا بدّ له من ذلك » . ثم اعرض^(٨) عليهم تلك الكتابات ، واحضر السيد محمد كريم وقال له : هذا خطك [٩] قال : نعم . ثم رجّعه الى السجن الى ان انصرفت العلماء ، وامر بان يمضوا بالسيد محمد كريم الى ساحة الرملة ويطلقوا عليه الرصاص . وكان [أي محمد كريم] وهو ساير ينادى : يا امة محمد اليوم بى وغدا بكم . وحين قتل كان حزن عظيم عند المصريين ، ومن ذلك الوقت تنافرت قلوبهم بالزيادة .

(١) فانه .

(٢) مطمئنة .

(٣) جمع بندر ، وهو : المرسى والميناء والمدن البحرية ، ومقر التجار من المدن . اسم فارسي معرّب (محيط المحيط) .

(٤) مهمّون ، عازمون .

(٥) كعادته .

(٦) بارساله .

(٧) المحكّمة .

(٨) عرض .

وقد كانت الانكليز ، بعد تملكهم عمارة فرنساوية ، قد ربطت عليهم البواغيط ^(١) ، وحاصرتهم في الديار المصرية . فارسل سرعسكرهم واعلم ملكهم بذلك الاقتدار ، فهاجت المملكة ^(٢) واستبشرت بالانتصار ، وهيجوا معهم الدول الفرنجية ، واستنهضوا لمحاربة فرنساوية . ومن حيث ان الجمهور فرنساوي قد قهر ساير الممالك الفرنجية ، وظفر بهم وسلب اموالهم ، وتملك منهم مدناً وقلاعاً حصينة ، وذلك يبطش مقدمهم وناشر اعلامهم ، الفرد الظاهر والليث الظافر ، امير جيوشهم بونا برته . وقد ترك في ساير الاقاليم الفرنجية مخافة قلبية ، سيما بعد اطلاعهم على التملك في الديار المصرية . ولكن حين بلغهم ما فعلت بهم الانكليز ، وان قد ربطت عليهم البواغيط ، فقويت قلوبهم واملوا بنيل مطلوبهم . فصتموا النية على طرد العساكر فرنساوية التي قد كان تركها في الاقاليم الفرنجية . واشهر الحرب ملك النمسا ، واستنهض معه ملك بروسيا ، ونهضت ممالك ايطاليا مع رومية الكبرى .

هذا ما كان وسياتي الكلام عنه في غير مكان . وقد ذكرنا ان فرنساوية ، حين تملكوا مالطة ، ابقوا بها ستة الاف من العسكر واصحبوا عوضها . وفي هذا الايام توجهت الانكليز الى تلك البواغيط ، وحاصرت مدينة مالطة اشد حصار ، الى ان اضر بهم الجوع وايقنوا بالفجوع ^(٣) ، فتسلّموا الانكليز المدينة بالامان ، وقويت شوكة الانكليز ، فاشتدّ باسهم في تملك مالطة ، لانها بالقرب من الاسكندرية .

ذكر ما تم في ممالك الدولة العثمانية

انه عندما شاعت الاخبار بان فرنساوية تملك الديار المصرية ، هاجت جميع ممالك الاسلام لمحاربة فرنساوية الليثام ، وصاحوا يا غير الدين وحماية المؤمنين . واستنهضت الدولة العلية والسدة المملوكية لاستخلاص الديار المصرية . وبرزت الاوامر والاحكام وسائر الباشاوات والحكام تستنهضهم للمغازاة ^(٤) عن دين الاسلام . وقد حضرت الاوامر الشريفة الى احد باشا الجزائر ^(٥) بالمغازاة على هولاء الكفار ويكون سردار العسكر ^(٦) .

وكان امير الجيوش بونا برته ، حين بلغه استنهاض الاسلام الى تلك الديار ، فاستدرك الامر

(١) جمع بوغاز (المضايق)

(٢) اي المملكة الانكليزية .

(٣) بالفجيعة .

(٤) بمعنى الجهاد والقتال .

(٥) والي عكا يومذاك .

(٦) قائده .

بكتابات الى الجزّار ، واستدعا باحد الكوميسارية ^(١) وارسله الى دميّاط لكى يسير في مركب الى عكّا ، وكتب كتاباً الى الجزّار على هذه الصورة بعد الترجمة :

انه من المعلوم عندكم اتّحاد الدولة الفرنساوية مع الدولة العثمانية بالحب والصدوقية ^(٢) مُنذ اعوام عديدة . ثم لاخفاكم عداوتنا مع دولة الانكليز ، وسطاها ^(٣) على بلداننا التي في اراضى الهند . فاضطرنا إلى الحضور الى هذه الاقطار المصرية ، وذلك باذن الدولة العثمانية وبارادتها الكليّة ، أوّلاً : لقطع شجرة الممالك العصاة على الدولة العلية . ثانياً : لكى ، بعد قطع هؤلاء الظالمين وتمهيد المملكة وخلاصها من يد القوم الفاجرين ، فنسير الى الاقطار الهندية لتخليص بلادنا وارضنا من الدولة الانكليزية . وها نحن مباشرين في قرض ^(٤) الممالك العصاة على السلطان . وما اتينا الا اننا نحامى عن المسلمين ونرفع شرايع الدين ، ونسيّر محمد الحجّ الشريف الى المقام المنيف ، ونبقي السكّة ^(٥) والخطبة باسم حضرة محبّنا السلطان سليم دام بالعزّ والتنعيم . فبنّا [ء] على ذلك اصدّرنا لكم هذا الكتاب ، لتعلموا منا حقيقة السبب الداعى لهذا الاياب ، وتكونوا من قبلنا في حيّز الامان وغاية الاطمئن ، وتفتحوا البنادر وتسيّروا المتاجر لعمار البلاد وراحة العباد ، والسلام .

ثم توجه ذلك الكوميسارية المدعو باظان ^(٦) من مصر الى دميّاط ، ومن هناك توجه في مركب احمد باشا الجزّار الذى كان رابطاً في الميناء ، واصحب معه ترجماناً واثنين من التجار . ولما وصل الى اسكلة ^(٧) عكّا ، فكتب ^(٨) الكوميسارية باظان الى الجزّار يعلمه عن قدومه من طرف امير الجيوش بونايرته . ونزل القبطان الى عكّا ، وحينما دخل امام الجزّار فسأله عن مصر وعن احوالها ، وعن سبب خلاصه من مدينة دميّاط ، فاجابه القبطان : ان الفرنساوية اطلقوا سبيلى ،

(١) استدعى احد الكوميسارية = اي احد المفوضين (Commissaire) .

(٢) الصداقة .

(٣) وسطوها .

(٤) المعنى : مباشرين في محاربتهم حتى ينقرضوا ، اي : ينتهوا .

(٥) السكّة : حديدة منقوشة يضرب عليها الدراهم ، والمعنى هنا ان تبقى الدراهم مسكوكة باسم السلطان العثماني سليم .

(٦) بوفوازان Beauvoisin ، وقد وردت في النسخة المطبوعة من تاريخ الامير حيدر الشهابي : « ثم ان توجه ذلك الجنّار [الجنرال] الفيسالي المدعو باظان » ، (الشهابي ، لبنان في عهد الامراء الشهابيين ، القسم الثاني ، ص ٢٤٠) .

(٧) ميناء .

(٨) الملاحظ ان المؤلف غالباً ما يدخل (فاء) زائدة على الفعل الماضي ، وهي في هذه الحالة ليست بذات معنى ، الا اننا لم نحاول تغيير صيغة اسلوب المؤلف في الكتابة .

وحضر معى كوميسارية من طرف سرعسكرهم بكتابة ، وهو الان معى فى المركب ، ثم اعطاه كتاب الكوميسارية باظان . فلما فهم الجزار ذلك الخطاب اشتد به الغيظ والغضب ، وقال للقبطان : وجه هذا الكافر ودعه يسافر . وان لم يرجع فى الحال من هذه الديار احرقته بالنار . ثم سأل من الذى اتى معه ، فقال له القبطان : ليس معى سوى ترجمانه واثنين من التجار ، وهم نصارى من ابناء العرب . فقال الجزار : اخرج التجار بارزاقهم الى البلد ، ودع الكافر حالاً يسافر . ورجع القبطان الى المركب واعلم الكوميسارية بما سمع من الجزار . وفى الحال احضر له مركباً صغيراً ورجع الى دمياط من غير تأخير ، وقبض الجزار على تلك التجار .

وكان بين الجزار وبين الفرنساوية عداوة قديمة وبغضة جسيمة من طرد قناصلهم من بلاده ، فلهذا السبب ما كان يودّ منهم اماناً . ثم ان الجزار ابتدا يحرر الى ساير الاقاليم المصرية ، ويستنهضهم على القيام على الفرنساوية . وكانوا الغز الذين حضروا الى بر الشام تهيج الفلاحين والعربان لذلك المرام ، ويكتبوا لهم على النهوض والقيام . وقد تظاهرت المصريون فى العصاوة والاسية على الطايفة الفرنساوية ^(١) . وقامت الاربع اقاليم المصرية القبلية والبحرية والغربية والشرقية . وكان فى كل وقت يقع الخصام بينهم وبين الجنرالية من الاربع الجهات المصرية ، وتُحرق البلاد وتهلك العباد ، الى ان هلك عربان كثيرة العدد ومن فلاحين البلد . واما ذلك الكوميسارية الذى رجع من عند الجزار ، فانه وصل الى دمياط ، وفى الغد سار الى مصر واخبر امير الجيوش بما تم له من الجزار ، فاشتد بالغضب من ذلك السبب ، وبدأ من ذلك الحين يباشر بتجهيز السفر وما يحتاج اليه من الاستحضار .

وقد كنا ذكرنا ان فى المنصورة اقام من الفرنساوية ما ينيف عن مائة وثلاثين صلداً ، وفى ذلك الوقت بدت ^(٢) اهالى البلد يتشاورون على قتلهم ، واذا كانت هذه البلدة بعيدة عن مدينة مصر ، وبرها متسع وعربانها كثيرة . وقد كان فى كل جمعة ^(٣) ، نهار الخميس ، يصير السوق ، ويجتمع فيه كثير من الناس لاجل البيع والشرا [ء] ففي احد الايام قامت اهالى المدينة وكبسوا اوليك الصلداً الفرنساوية ، وانتشب الحرب بينهم . واذا تضايقت الفرنساوية وكاد يخلص ما عندهم من البارود ، فخرجوا الى البر ونزلوا فى احدى المراكب ، فتكاثرت عليهم اوليك العوالم المجتمعة فى يوم الخميس ، وقد كان ذلك الوقت ايام جير النيل فلم تسير معهم المراكب ، والتزموا

(١) اي : تظاهر المصريون فى عصيان الفرنسيين ، والاسية : من الاسى والمواساة ، الا انها تأتي هنا بمعنى معاكس تماماً ، اي بمعنى القسوة والشدة ، وهى من الفاظ العامة .

(٢) بدأ اهالى البلدة .

(٣) اي اسبوع .

بالرجوع الى البرّ. وقصدوا يسيروا برّاً الى مصر فلم تمكنهم اوليك الامم، واورثوهم مواريث العدم. ولم يزالوا يكافحون وعن ارواحهم يدافعون الى ان قُتلوا عن آخرهم، ولم يبق بقيّة من اوليك الصلداة الفرنساوية. وحين وصلت الاخبار فاشتدّ بامير الجيوش الغيظ والغضب وامر الجنرال دوكا^(١) بان يتوجّه الى المنصورة ويحرقها ويقتل كلّ من بها. فسار الجنرال بثلاثة الاف صلداة، وحينما بلغ اهالى المنصورة قدومه فهربوا منه ولم يبق الا القليل. وحين وصوله رأى البلد خراباً، وتقدّم اليه اوليك الباقون وابتدوا يعتذرون له بقولهم: ان اهالى المدينة ليس لهم ذنب بذلك الصنيع، وانما صدر ذلك من الفلاحين والعربان لكثرتهم في ذلك الميعاد من كلّ البلاد. وان اهل المدينة، حيث تحقّقوا ان ليس لهم اقتدار عن منع اوليك الاقذار، فرّوا هاربين خوفاً من الفرنسيين. فلما سمع الجنرال ذلك الكلام، قبل اعتذارهم وعفى عن خراب ديارهم. وامرهم في الرجوع والطاعة والخضوع. ثم ان الجنرال دوكا صنع ديواناً^(٢) وقال لهم: انني مامور من امير الجيوش بان أحرق هذه المدينة واقتل كلّ من وُجد بها، ولكنني قد قبلت عذرکم وصفحّت عن ذنبکم. ولكن من حيث ان قبل ما تقع هذه الشرور ما اعرضتم عنّا^(٣) انتم مُطلّعين عليه من حقايق الامور، مع انکم تعرفون رداوة^(٤) اهل البلاد وما هي عليه من العناد، فيلزمکم ان تدفعوا جريمة قصاصکم اربعة آلاف كيس فداً^(٥) دماکم. فقبلت الرعيّة ذلك المقال، وفي مدّة قليلة اوردوه المال. وبعد ذلك ارسل الجنرال دوكا وعرض^(٦) على امير الجيوش ما تدبّر، فرجع له الجواب بان يامر اهل تلك الاقاليم ان يرفعوا بيراك الفرنسيّة على رؤس المؤاذن^(٧). وكلّ بلد لا ترفع ذلك السنجاك حالاً تحرق.

وقد كنّا ذكرنا انه، حين دخل امير الجيوش الى القاهرة ورّتب امورها، وقلّد الجنرالية الاحكام في الديار المصرية، وارسل الجنرال فيال^(٨) الى مدينة دمياط. فهذا الجنرال كان ذا مكر واحتيال، وبطل من الابطال. فلما استقرّ في مدينة دمياط، احضر اليه سبعة انفار من التجار الكبار، واقامهم لتدبير البلد وتلك الديار. ثم رّتب اغا انكشارية، واقام والياً للبلد ومحتسباً للديوان، ورّتب الترتيب القديم. واحضر شيخ قرية الشعرا وهى بالقرب من مدينة دمياط، والبسه

(١) الجنرال ديغا Dugua وقد مرّ ذكره.

(٢) اي جمع الاهالي.

(٣) اعرضتم عنّا: ابتعدتم عما.

(٤) رداوة.

(٥) فدية.

(٦) عرض.

(٧) ان يرفعوا العلم الفرنسي على رؤوس المآذن.

(٨) الجنرال فيال Vial وقد مرّ ذكره.

فروا وقلده سيفاً ، واحضر لديه شيخ اقليم المنزلة المعروف بالشيخ حسن طوبال ، وقلده سيفاً مذهباً . وهذا الشيخ المذكور كانت اهالى تلك الاقاليم تمتثل رأيه وتقتدى به . وبعد ما تقلد ذلك الالتزام ، اتت اليه الكتابات من احمد باشا الجزار ومن ابراهيم بيك ، وبها يحثوه ان لا يقبل الفرنساويين في ارضهم ، وان يستنهض اهالى الاقاليم ضدهم ، ويكون مجاهداً في حربهم . وكانوا في كتاباتهم له يوعدوه بسرعة وصولهم اليه بالعساكر الوافرة . ومن ذلك السبب تشاهر ^(١) هذا الشيخ المذكور في خبث النية ضد الفرنساوية ، وقد استنهض اهل تلك القرايا الذين حوله . وعمدوا رأيهم ^(٢) ان يجتمعوا في قرية الشعرا ، بالقرب من دمياط ، يكبسوا الفرنساوية ليلاً . واوصلوا العلم مع اهالى دمياط ، واتفقوا جميعاً على ذلك الرباط . وفي شهر ربيع الثانى ^(٣) كبست الرجال البلد ليلاً ، وقد كان مسكن الفرنساوية فى الوكايل ^(٤) التى على البحر . وهجموا بضجيج عظيم وعجيج جسيم ، وهم ينادون : اليوم يوم المغازاة من هولاء الكفار ومن يتبعهم من النصارى . اليوم ننصر الدين ونقتل هؤلاء الملاعين . فانتبعت الفرنساوية من المنام ، واستعدتوا للحرب والصدام . والتقوا في تلك الامم ، واورثوهم مورث العدم . واصطفوا صفوف وضربوهم بالرصاص والسيوف ، ومنعوهم عن الدخول . وكانت ليلة مرعبة ونار ملهبة . فله درهم من الرجال ، ما اشدتهم بالحرب والقتال . لان كانت تلك الامم قدرهم اضعاف ، فكسروهم بلا خلاف واوردوهم موارد التلاف . وقبل ان يطلع النهار اخرجوهم من البلد قوة واقتداراً الى البر والقفار . ورجعوا الى قرية الشعرا خاسرين وفي امورهم حائرين .

وكان قد وصلت الاخبار عند طلوع الشمس الى اهالى [العزبة] ^(٥) وهى القرية صغيرة عند بوغاز البحر المالح ^(٦) ، ان المسلمين كبست دمياط وقتلوا اوليك الكفار ، ولم يبقوا منهم اثار . وقتلوا جميع نصارى البلد ولم يبقوا منهم احد . وكان في قرية [العزبة] خمسة انفار من الافرنج ، فهجموا عليهم وقتلوهم وقدم مركب فيه ثلاثة انفار فقتلوهم . ثم هجموا على قلعة [العزبة] وكان بها عشرين من الفرنساويين ، فاغلقوا الابواب وارموهم بالرصاص فرجعوا عنهم خاسرين . وعند نصف النهار ، تحققت الاخبار بان الرجال المسلمين رجعوا منكسرين ، والفرنساوية في دمياط مقيمين . فندم اهل [العزبة] على تلك الفعال وخافوا على الحرم والعيال . وفى ساعة الحال جمعوا

(١) أشهر ، أعلن ، تظاهر .

(٢) اعتمدوا رأيهم .

(٣) سنة ١٢١٣ هـ الموافق لشهر ايلول / سبتمبر ١٧٩٨ م .

(٤) جمع وكالة ، وفد مرّ تعريفها .

(٥) وردت في الاصل (الغربة) والصحيح (العزبة) وهكذا وردت في نسخة الشهابي (قسم ٢ : ٢٤٣) .

(٦) البحر الانض المتوسط ، ودمياط على ساحله .

اموالهم واخذوا عيالهم وانحدروا في المراكب هارين. والى نواحي عكا قاصدين. ووصل الخبر الى دمياط بما صار في العزبة من الاختباط^(١)، فركب الجنرال ويال الى العزبة فلم يجد بها احداً، فنهبوا ما وجدوه واحرقوها بالنار، ورجع الى دمياط، وابتدأت الافرنج تبني في العزبة حصوناً للعساكر.

ثم، بعد رجوع الجنرال ويال الى دمياط، بلغه ان لم تزل اهل تلك البلاد مجتمعين، وفي قرية الشعرا مقيمين. فعزم الجنرال ويال Vial على المسير اليهم والقُدوم عليهم، وامر بان المجاريح والمرضى من الافرنج ينزلوا الى المراكب خوفاً من مسلمين البلد وتما يتجدد. وحين شاهدت النصارى ان الفرنساوية عازمين على تخليه البندر، فساروا الى ذلك السرعسكر وقالوا له: ما يحل لك ايها الجنرال ان تذهب وتلقينا بايدي هؤلاء الاشرار، لاننا قد سمعنا منهم امراراً قايلين: اقتلوا النصارى قبل الفرنساوية لانهم متحدين معهم سوية. فلما نظر الجنرال ويال ما حل بالنصارى من الخوف والوبال، انثنى عزمه عن القتال، وكتب الى الجنرال دوكا حاكم مدينة المنصورة يطلب منه الاسعاف، فوجه له مائة وخمسين صلدات. وحين حضروا سار بهم الى قرية الشعرا بعد ما ترك اجناده في دمياط. وحين وصل الى الشعرا انهزمت منه تلك الجموع، فاحرق البلد، وقتل من وجد بها ورجع الى دمياط بقوة ونشاط. وصنع شنك^(٢) عظيم، ونشر البيارق علامة الانتصار، ونكس البيارق العثماني الذي كان ناشره سابقاً، حيث كان قد امر امير الجيوش ان في كل مكان توجد الفرنساوية فلينشروا سنجاق الدولة العثمانية. وبعد ايام يسيرة حضر الجنرال دوكا الى دمياط، وعقد المشورة مع الجنرال ويال على اخذ الجيزة وبلد المنزلة. ثم رجع الجنرال دوكا الى المنصورة، ومن هناك سار بالعساكر الى البحر الصغير^(٣) قاصداً اقليم المنزلة، فخرجت له عربان ذلك البر في محلة يقال لها الجملة. والتقى في جماعة وفيه وفرسان قوية، فصادمهم هذا الشجاع والقرم^(٤) المتاع، وشتت عسكرهم وافنى اكثرهم، واحرق تلك البلدة، ثم سار الى المنزلة. فحين بلغ الشيخ حسن طوبال قدوم ذلك الاسد المغوار، فارتج رجّة عظيمة وطلب الهزيمة، وفر من ساعته الى الاقطار الشامية. وعندما وصل الجنرال دوكا الى بلدة المنزلة، التقته اهلها وقدموا له الطاعة، واخبروه بانهم زام الشيخ حسن طوبال، فاعطاهم الامان، واحضر اخا الشيخ حسن طوبال،

(١) الاضطراب.

(٢) شَنَكْ او شَنَكْ: فرح عظيم يتم فيه اطلاق النار ابتهاجاً، (وصنع شنكاً عظيماً: اي صنع فرحاً عظيماً). وقد وردت «شَنَكاً» في نسخة الشهابي (المصدر السابق، ص ٢٤٣).

(٣) البحر الصغير: تسمية يطلقها المصريون على بحيرة «المنزلة» الواقعة شرق دمياط.

(٤) الفحل.

واقامه شيخاً على تلك الديار ، وضبط القوارب التي كانوا يسرون بها من المنزلة الى دمياط في البحيرة المالحة^(١) ، وارسل تلك القوارب الى دمياط ، وكانت كثيرة في العدد تنوف عن خمسة الاف . وقد امنت الافرنج في دمياط من نواحي اقليم المنزلة ، لان قد كان حسن طوبال منتظراً قدوم عساكر الجزائر ليركب بتلك القوارب ويأتي بها الى مدينة دمياط . وبعد ايام يسيرة ، رجع الجنرال دوكا الى المنصورة ، من بعد ما حارب في طريقه عرباناً كثيرة ، الذين كانوا يقصدون حربه ويقفون في دربه ، واستمر اقليم المنزلة وبر دمياط طائعاً للفرنساوية ، والعداوة في ضمايرهم مخفية .

وقدّمنا الشرح في تحكّم الجنرالات الفرنسية في الاقليم المصرية ، فكان الجنرال ميراد^(٢) قد قلّده امير الجيوش احكام اقليم القليوبية ، وكان هذا الجنرال ذا شجاعة في القتال قوى البطش في الحرب والجدال . وحين سار في العساكر القوية الى اقليم القليوبية ، وكان هذا [الـ] اقليم اصعب الاقليم ، لكثرة عربانه العتاة وقومه العصاة ، وبراريه الواسعة ووديانه الشاسعة . فهذا البطل الشجاع اطاعته آل تلك البقاع والاصقاع ، من بعد ما اذاقهم حروب شديدة واحرق بلدان واهلك عربان . وبحروب كثيرة افنى قبائل غزيرة . وكان شيخ هذا الاقليم يدعى الشيخ الشواربي ، وكان يجمع خلقاً وافراً وبلده كان بعيداً [أ] يوماً عن القاهرة . وكان من القوم الجبابرة وعربان اقليمه فاجرة . فالتزم ان ينكس هاماً ويطيع قهراً وارغاماً . ثم ان هذا الجنرال ، من بعد ما تملك هذا الاقليم ، جمع الاموال الميرية والترتيبات السلطانية ، ورجع الى مدينة مصر بكلّ عزّ ونصر .

وامّا الجنرال لانوس^(٣) حاكم الاقليم المنوفية والجهات الغربية ، فهذا الجنرال سار الى مدينة منوف^(٤) ومكث بها ، وجمع الاموال منها ومن القرى والجبال ، وفرّق عساكره على بلداتها ، واطاعته جميع سكانها . وهذا الاقليم كان بين الاقليم واهونها ، واجملها واحسنها . ولم يحتاج هذا الجنرال النبيل الاّ لحرب قليل . لان كان اغلب اهالى الارض المصرية هابت شجاعة الفرنسية ، ورجفت^(٥) قلوبهم من شدة حروبهم . لان الفرنسية ، من بعد دخولهم الى الديار المصرية ، وحرق عمارتهم على بوغاز الاسكندرية ، انقطع امالهم من الامداد ، مع ما شاهدوه من الكره من اهالى البلاد ، وما لهم في قلوبهم من البغض والاحقاد . فكانوا يتنفسون الصعداء من

(١) البحيرة المالحة : بحيرة المنزلة ، والبحر المالح : البحر الابيض المتوسط .

(٢) الجنرال مورا Murat ، وقد مرّ ذكره .

(٣) الجنرال لانس Lannes وقد مرّ ذكره .

(٤) المنوفية .

(٥) وردت في الاصل (ورجعت) فاقتضى التصحيح .

صميم الفواد ، ويهجمون ولا يهابون كثرة العدد ، ويحاربون بامور حكمية وفنون علمية وقلوب صخرية ، غير هاييين الموت ولا خاشيين الفوت ^(١) . ومكث هذا الجنرال في اقليم المنوفية مدة وفية ، وجمع الاموال الميرية ، ومهد البلاد وطمّن العباد ، ورجع الى مدينة مصر بعز ونصر . وقد ترك في مدينة منوف وكيلاً عوضاً عنه .

وقد ذكرنا ايضاً ان الجنرال ديزه ^(٢) تقلّد من امير الجيوش بونا برته اقليم الصعيد ، وقد تعيّن بالعساكر لحرب مراد بيك . وبعد ما فر مراد بيك الى الصعيد ، وقد ذكرنا عن توجه القنصل لعنده من امير الجيوش في الخطاب ، وما كان من الجواب . فامر امير الجيوش الجنرال ديزه بالمسير بالعساكر اليه ، وكانت اربعة الاف مقاتل . وكان مراد بيك قد تجمّع عنده الجيوش من الهوارا ^(٣) والفلاحين والعربان الى المنية ، وكانت مسافة ثلاثة ايام عن القاهرة . واجتمع اليه ما ينيف عن عشرين الفا . وكان في برّ الصعيد عدة من المماليك الهاربين ، فحضروا لعنده . وحضر ايضاً : حسن بيك الجرداوى وعثمان بيك ممالك على بيك الكبير ، وهؤلاء كانوا مطرودين من الغز . وعندما تقابلوا مع مراد بيك تصافحوا ، واخلصوا الوداد وتركوا الاحقاد ، وغفروا السيئات وصفحوا عما فات ، وقرأوا الفواتح ^(٤) على المغازاة في سبيل الله ، وصاحوا : يا غيرة الدين ونصرة المسلمين . الله اكبر على هؤلاء الكفارين . واستعدّوا غاية الاستعداد لملاقاة الاعداء والاضداد . وكانت الغز افرس الفرسان في ركوب الخيل والحرب والطعان . وكان الجنرال ديزه ساير اليهم في العساكر وهو غير فاكّر ، الى ان وصل اليهم وكشف عليهم ، فوجدهم جيوش كثيرة وطموش ^(٥) غزيرة . فصفّ عسكره صفوف بالترتيب الموصوف ، وقرع الطبول النحاسية ، وتقدّم بالعساكر الفرنساوية ، واطلق مدفعاً واحداً للتنبيه ، ثم امر باطلاق ثانية ، فنهضت الغز والعربان نهوض الاسود والشجعان ، بالسيوف الهندية والرماح السمهرية ، على ظهور الخيل العربية . وانقضّت انقضاض الغربان الى حومة الميدان ، وصرخوا : اليوم يوم المغازاة وترك النفوس والمعادة . وحملت العربان والغز والفرسان ، واندفقت على الفرنساوية اندفاق البحور العرممية ، وتساقطت من الجبال سقوط الصواعق العلوية ، حتّى خيل للناظرين ان الجبال تزعزعت ، والتلال تمزقت . وانتشب الحرب والقتال ، وابتدا ذلك الجنرال يروغ روغ المحتال ، حتّى تملك في

(١) الخسارة ، الهزيمة .

(٢) الجنرال ديرييه Desaix وقد مرّ ذكره .

(٣) الهوارة : جماعات من العساكر المرتزقة غير المنظمة ، كانت منتشرة في بلاد المشرق ، واغلب الظن انها قبيلة وفدت من الغرب الى الشرق .

(٤) جمع فاتحة .

(٥) الطموش : مفرداها (طمش) ، والطمش : الناس .

المجال، ودهمهم بالقنابر والكل والرصاص الغير المحتمل، وبدأ يريهم فنون الحرب [الغربية]^(١) وأنواع الالهوال العجيبة، التي لم تدركها العربان، ولا تعرفها الغز والفرسان. وصاح بهم صيحة الاسد الغضبان في تلك الجبال والوديان، حتى لم يعودوا يقدرُوا على الثبوت تجاه ذلك البهموت^(٢). وزحمتهم اوليك الاسود حتى ملكوا متاريسهم، واشهروا تنكيسهم^(٣) وشتاتهم في الجبال والتلال، بشدة الحرب والقتال، وملكوا مدافعهم واعلامهم ومضاربهم وخيامهم، وكسروا تلك الجماهير بقوة العزيز القدير. وذهب مراد بيك مع عزوته^(٤) الى اعلا الصعيد، وهو متحير من صلابة هولاء الصناديد، وقوة قلبهم الشديد، وفنونهم العجيبة وشجاعتهم الغربية. ودخل الجنرال ديزه الى مدينة المنية، واقام بها وحصن قلاعها وابراجها، وبدأ يسير ورا[ء] مراد^(٥) بيك مرحلة بعد مرحلة، الى محرق يقال له الاهون، وهناك حدثت بينهم وقعة عظيمة. وكان قد تجمع مع مراد بيك جموع كثيرة وطموش غزيرة، فشتتهم ذلك الجنرال في البرارى والقفار. ولم يزل ذلك الجنرال يقاتل في اقليم الصعيد، حتى اطاعه الشيخ والوليد، وهابته الاسياد والعبيد. وهرب منه مراد بيك الى مدينة اصوان، ثم الى بريم. ومن هناك رجع الجنرال ديزه الى الصعيد، ودبر الاقليم المذكور برأيه السديد، وأمر في بنيان الحصون الرفيعة في جميع تلك المدن المنية. ثم انه جبي الاموال الميرية والمعالم^(٦) السلطانية. ورتب الصعيد ومهد ذلك الاقليم غاية التمهيد. وكل^(٧) مراد بيك من حروب الفرنساويين، من بعد حروب عديدة واهوال شديدة.

وكان حينما بلغ اهالى الحجاز دخول الفرنساوية الى الديار المصرية، فارتجت سكان تلك الارض وماجت، واضطربت وهاجت، فتحرك من الاشراف السيد محمد الجيلانى، وقد جمع سبعة الاف اماجيد، وحضر بهم الى الصعيد، واجتمع اليه العربان من اهل تلك البلدان، عشرة الاف من غير خلاف، وظهر امره واشتهر خبره. فبلغ الجنرال ديزه قدوم ذلك العسكر، فما هابه ولا تفكر، بل انه كبس عليهم بالليل بكل قوة وشدة وحيل، فما سلم منهم غير القليل، والذي سلم تشتت في البرارى والقفار، ولبىوا بالذل والدمار. ومات في تلك الوقعة السيد محمد الجيلانى، اذ

(١) وردت في الاصل (الغربية) فاقتضى التصحيح، وقد وردت (الغربية) في نسخة الشهابي (ص ٢٤٦).

(٢) البهموت: من اسماء الشيطان، ورجل بهموت: اي واسع الحيلة والدهاء والخبرة (محيط المحيط).

(٣) واعلنوا هزيمتهم.

(٤) عزوته: جماعته وانصاره.

(٥) يسير وراءه = بمعنى يطارده.

(٦) المعالم: مفردا معلوم، وهي، عند المولدين، ما يعطيه الكاهن من اجرة معينة (محيط المحيط)، وتأتي هنا بمعنى الاموال التي تجبى للسلطة الحاكمة.

(٧) كل = تعب.

كان هو على نفسه جاني، لانه كان يزعم انه يحذف الرمال والغبار في وجوه الكفار، ويُعمى منهم الابصار، ويقبض عليهم باليد، فخاب منه الكد والجدة. ثم بعد مدة تجمع الذين سلموا ورجعوا يُفسدون في البلاد ويستنهضون بالعباد، فارسل عليهم الجنرال ديزه شزيمة من العسكر، فهزموهم في البرّ الاقفر. وبعد ذلك راق الصعيد من محاربين فرنساوية، واطمأن حال الرعية واحبوا الجنرال ديزه محبة عظيمة، لاجل سلوكه واحكامه المستقيمة. وكان يحبّ العمائر^(١) الملاح، كريم بالعطاء والسماح. وكان رهطاً^(٢) من الارهاط العظام، ونظم اقليم الصعيد احسن نظام.

وقد كان عنده من الاقباط المباشرين: يعقوب الصعيدى وهو رجل شديد البطش، مشهوراً بالفروسية والهمة القوية، وهو الذى عند سليمان بيك. وكان الذين خدموا من النصارى اولهم الرجل السافرلى المدعو باترو، وهذا الذى كان يدعونه اهل مصر فريد الزمان، لما عنده من العلوم والفصاحة والقوة والشجاعة. وكان يعرف في جميع اللغات، وفاق بالحسن عن حدة الصفات. وكان قد خدم عند فرنساوية، وانتقاد اليه جماعة من الغزّ الممالك واحتموا به. ثم الرجل الرومى المدعو نقولا قبودان، فهذا المذكور كان خادماً عند مراد بيك، ومتروساً على عدة عساكر ومراكب في بلدة الجيزة، وكان شاباً موصوفاً بالشجاعة. وهذا المذكور كان متسلم المتاريس في عسكر الاروام حين دخلت فرنساوية الى برّ امبابة وامتلكوا القاهرة. ولما امتلكت الافرنج المتاريس القى نفسه في بحر النيل وطلع الى مصر، ثم خدم المشيخة^(٣) واما الذين خدموا فرنساوية من الاسلام فهم كثيرون في العدد كالمقدمين والقواصة والمترجمين.

ذكر ما حدث بمصر [معركة القاهرة]

انه، من بعد ان مكثت فرنساوية في المملكة المصرية مقدار ثلاثة اشهر، فكان المسلمون يظنون ان تورد لهم الاوامر من الدولة العثمانية بتقريرهم على المملكة، حسبما كانوا يشيرون انهم حضروا الى مصر بارادة السلطان سليم، وكانوا يوعدونهم في وزير الى القلعة السلطانية من طرف الدولة العثمانية. وقد كان يخبر امير الجيوش بقدم عبدالله باشا العظم من الشام الى مصر، واعد له منزلاً لينزل به، وامر بتدبيره وفرشه. واذ مضت المدة المعينة ولم يحضر احد، فتسبب من قبل ذلك

(١) هكذا وردت في نسخة الشهابي (ص ٢٤٧)، وترجمها اينيه Aine إلى الفرنسية (عمارات جميلة beaux monuments). وربما تكون (عمائل ملاح، اي: اعمال حسنة)، ونحن نرجح ذلك، استكمالا لمعنى العبارة، حيث يمكن القول: «وكان يحب العمائل الملاح، كريما بالعطاء والسماح».

(٢) رهطاً: بالمعنى العامي للكلمة، اي عمدة عظيمة، وقد مرّ شرحها.

(٣) أي الجمهورية (الفرنسية).

اسباب كثيرة للنفور وابداع الفتن والشرور ، من قتل السيد محمد كريم لانه كان احد الاشراف ، ومن ورود المكاتب من الامراء المصريين بالاستنهاض الى اهل تلك الاقاليم ، وكتابات احمد باشا الجزار الى البلدان المصرية . واستنهاضهم على الفرنسية ، وان قادم عليهم العساكر العثمانية . ثم قيام اهالى بر دمياط والحوادث التي بدتها العرب والفلاحين^(١) ، وعفو الفرنسية عنهم وعدم القصاص لهم وقد كان الفرنسية يُخرجون النساء والبنات المسلمات مكشوفات الوجوه في الطرقات . ثم اشتهار شرب الخمر وبيعه الى العسكر . ثم هدم جوامع ومنازل في بركة اليزبكية لاجل توسيع الطرقات لمشي العربانات . وكان المسلمون يتنفسون الصعداء من صميم القلوب ويستعظمون هذه الخطوب ، وصاحوا : لقد آن اوان القيام على هولاء الليام ، فهذا وقت الانتصار الى الاسلام . فشعر امير الجيوش بما في ضمائرهم وما اکتموه في سرايرهم ، فبرز امراً لسائر حكام الخطوط^(٢) بان كلاً منهم يامر بخلع الابواب المركبة في الشوارع . وفي يوم واحد خلعت تلك الابواب العظام ، وبعضها أُحرقت بالنيران . فركب امير الجيوش واخذ معه المهندسين ، ومنهم الجنرال كفزال الملقب ابو خشبة^(٣) ، لان كانت رجله الواحدة مقطوعة من ساقه ومصطنع له رجل من خشب ، فهذا الجنرال كان اعظم المهندسين في مملكة الفرنسية . وبدأ امير الجيوش يجول بهذا الجنرال على سائر الاماكن التي حول دايرة مصر ، وغرس على راس كل مكان بيقاً اشارة لبناية القلع^(٤) . [فاذ]^(٥) شاهدت الاسلام هذا الاهتمام تحركت للقيام ، وبدوا ينادون متبادرين^(٦) الى الجامع الاكبر المعروف بجامع الأزهر . وهناك عقدوا المشورة^(٧) وابرزوا ما بالضمائر المضمرة ، وارسلوا احد الفقهاء في شوارع مصر ينبه المسلمين بالمبادرة الى الجامع الازهر حيث اجتمع العسكر . وبدأ ذلك الشيخ المذكور يدور وينادي بالجمهور : كل من كان موثقاً ياتى لجامع الازهر ، لان اليوم المغازاة بالكفار ، ونزيل عنا هذا العار ، وناخذ منهم الثار . فبادر المسلمون ، واقفلت الحوانيت والوكايل لما سمعت صوت القايل .

ووصلت الاخبار الى دبوي^(٨) الجنرال بان قامت اهالى البلد من الشيخ الى الولد . وكان ذلك

(١) الحوادث التي بداها العرب والفلاحون .

(٢) حكام المناطق .

(٣) الجنرال كافاريلي Maxmilian Cafarelli du Fulga (١٧٥٦ - ١٧٩٩) اشتهر بشجاعته ونزاهته ، وقد رافق بونايرت في حملته الى حصار عكا حيث جرح في هذا الحصار وتوفي متأثراً بجراحه .

(٤) اي ان بونايرت جال حول القاهرة مع المهندسين ووضع اشارات على اماكن مرتفعة بقصد بناء قلاع في هذه الاماكن .

(٥) وردت في الاصل (فاذا) وقد حذفنا (الالف) الزائدة ، فاصبحت = فاذ ، بمعنى : عندما .

(٦) مبادرين .

(٧) المشورة .

(٨) الجنرال دبوي Dupuy وقد مر ذكره .

في عشرة جماد الاول نهار الاحد (١). فنهض الجنرال المومى اليه والشرار تتطايير من عينيه ، طائناً ان هذا القيام عليه ، وان هذا القتال لاجل ما طلب منهم من المال . وسار بشانية انفار ليطمئن اهل تلك الديار ، ويفرق تلك الجماهير ، ويسكن روع الكبير والصغير . ولم يعرف ان ليس ذلك علة المال فقط ، بل هي علل كثيرة الشطط وغزيرة النمط ، واحقاد كامنة في جوارح القلوب ، وعداوة لا يدركها سوى رب الغيوب . وفيما هو سائر في سوق النحاسين فبرز اليه احد الاتراك وضربه بخشبة على خصرته ، فسقط عن ظهر جواده مغشياً ، فحملوه اصحابه ورجعوا به الى جنينة الافرنج القديمة ، وفي وصوله مات هناك ، وشرب كاس الهلاك . وكانت العساكر الفرنسية متفرقين في المدينة ، ولعدم معرفتهم باللغة العربية ، ما يكونوا يدرون ما هي الحادثة في المدينة . فهجمت عليهم تلك الجماهير من كل ناحية ، وكانوا يقتلون كل من وجدوه في طريقهم من الافرنج الفرنسية والملة النصرانية ، من المعلمين والرعية . وكان يوماً مهولاً عظيماً وخطباً جسيماً . ثم هجمت جماهير الاسلام على طور سينا (٢) فقتلوا البعض من الرجال ، ونهبوا بيوت النصارى ، واخذوا ما احتبوا من الحاجات ، وضعوا النساء والبنات ، واحتموا بقوة الرجال داخل دير الطور . وكان يوماً مشهوراً [أ] ، وكان اوليك الامم هايجين هيجات وحشية ، فتهاربت الفرنسية الى البركة اليزبكية .

وكان في ذلك الوقت امير الجيوش في مدينة الجيزة ، فحضر لما بلغه تلك الهيجة . وفي دخوله التقى مع ذلك الجمهور فولوا من امامه ، ووصل الى بركة اليزبكية وفرق العساكر حول البلد ، وامر ان تضرب من القلعة المدافع والقناير . وكانت جماهير الاسلام في باب النصر والنحاسية وخان الخليل وخط الازهر والغورية والفتحامين خط المغاربة ، وهذه المحلات داخل البلد . وكانت الاسلام قد بنت متاريس في تلك الاماكن المذكورة ، فسقط خوف عظيم على الفرنسية وذعرهم هذا القيام ، وداخلتهم الاوهام لمعرفتهم بكثرة الخلايق التي في مصر لانها كانت تجمع مليوناً من الناس ، ولا لكثرتهم قياس . وضربت الفرنسية اوليك الجيوش الكثار بالقناير والمدافع الكبار ، فتضايقت الاسلام من كثرة الكلل والقناير والرصاص المتكاثر . واستقام (٣) الحرب ثلاثة ايام ، وفي اليوم الرابع كبست الفرنسية على جامع الازهر ، فهربت الاسلام بالذل والتعكيس ، وامتلكوا منهم المتاريس ، وابلوهم بالضرر وملكوا منهم الجامع الازهر ، وسلبوا ما كان فيه من الودائع والذخاير . وابتدوا بعد ذلك يمتلكون مكاناً بعد مكان ، الى ان تملكوا اكثر المدينة . واختفت الاسلام في المنازل

(١) سنة ١٢١٣ هـ . الموافق ليوم ٢٠ تشرين الأول ١٧٩٨ م . الا ان هذا اليوم يوافق ، وفقاً لتقويم التواريخ الهجرية (للواء محمد مختار باشا) ، يوم السبت ، وليس يوم الاحد ، اما إذا كانت الحادثة قد جرت يوم الاحد ، كما ذكر المؤلف ، فيكون تاريخها ١١ جمادى الاولى الموافق لـ ٢١ تشرين الاول .

(٢) كنيسة ، أو دير ، للروم ، في الحي الاوروبي بالقاهرة .

(٣) استمرت .

والجدران، والقوا سلاحهم وصاحوا الامان. وكانت الفرنساوية كل من يرونها بلا سلاح لا يعارضوه، والذي يكون متسلحاً يقتلوه.

وحينما نظرت علماء الاسلام ان جيوشهم انكسرت والفرنساوية انتصرت، فساروا الى امير الجيوش بعقل مدهوش وقلب مرعوش، واخذوا يتراموا^(١) عليه بقيام العسكر من الجامع ورفع الحرب من كل مكان والمواضع. فبكتهم^(٢) امير الجيوش بذلك الفعل الذمى والخطب العظيم، وكانوا يقسمون له بالله ان ليس عندهم من ذلك اثار، ولا علم ولا اخبار. بل علة الحال طلب المال، وما قام إلا اوباش الرجال. فابى امير الجيوش تصديقهم وانكرا تحقيقهم، ولم يسمح لهم بتخلية الجامع من العساكر، واحرف وجهه عنهم وهو متعكر الخاطر. فانصرفوا من امامه وهم باكين وعلى احوالهم نايمين^(٣)، وتأسفوا على جامع الكنانة وخراب الديانة. ثم في ذلك النهار ارسلوا له الشيخ محمد الجوهري، وكان في كل حياته ما كان يقابل احداً من الحكام، ولا يعترض الى امور العوام^(٤). وفي دخوله قال له: ما قابلت حاكماً عادلاً كان ام ظالماً، والان قد اتيت متوسلاً اليك ان تامر باخراج العسكر من الجامع الازهر، وتغفر ذنب هؤلاء القوم الفجر^(٥)، واتخذ في مدا العمر داعياً لك ناشراً فضلك. فانشرح امير الجيوش من ذلك الخطاب وانعطف و[أ]جاب، قائلاً: إنني عفوت وصفححت عن احبابك لاجل خطابك. ثم امر امير الجيوش برفع العسكر من الجوامع، واطلق المناداة في المدينة بالامان. وعقد الفحص^(٦) عن الذين كانوا مجتمعين في المشورة على قيام تلك الامور المفكرة، فقبض على شيخ العميان الشيخ سعيد، والشيخ الذي نادى في المدينة بجمع ذلك الجيش العديد، وعدة فقهاء واناس فلتيه^(٧). واخذوهم الى القلعة واذاقوهم كأوس^(٨) المنية، وقد كان مات بهذه الوقعة الفين صلدات، ومن اهالى المدينة ما ينيف عن خمسة الاف. وقد خسرت الاسلام ولم تربح، بهذا القيام، سوا الذل والاهانة وافتضاح جامع الديانة. وكان عندما استعدت اهالى مصر على القيام ضد الفرنساوية، كتبوا الى الشيخ الشواربى شيخ الصعيد يستنجدوه الى اعانتهم، وعينوا له زماناً ليحضر به بعشائر العربان. وقد اتى في الميعاد، اذ كانت الفرنساوية محيطة بالقاهرة. وحين نظروا العربان مقبلة خربوهم بالمدافع والرصاص، فولّوا منهزمين، لان

(١) يترامون عليه: يرجونه ويتضرعون اليه.

(٢) اي انبهم ووبخهم.

(٣) نائحون: اي باكون (من النواح = البكاء).

(٤) اي انه لم يكن ليتعرض للشؤون العامة.

(٥) الفجر، وهكذا وردت في نسخة الشهابي (ص ٢٥٠).

(٦) عقد العزم على البحث.

(٧) من الفلتان، بمعنى التشرذ والضياع.

(٨) كؤوس.

الفلاحين والعربان لم يكونوا يستطيعوا على مقابلة النيران وحرب اوليك الشجعان ، ورجعوا بالذل والخسران . وحين سكنت تلك الفتن سار الجنرال ميراد [Murat] الى بلدة قلوب^(١) وقبض على ذلك الشيخ ، وحرق البلد ، ثم ارسله الى امير الجيوش فقتله وولى اخاه مكانه .

ثم اننا قد ذكرنا عن الجنرال المهندس لاجل بناء القلع^(٢) ، وبعد ما سكنت تلك المفاصد من اهل مصر ، امر امير الجيوش في بناء اربع قلعات بالقاهرة على اربع جهات : فالواحدة في كوم العقارب فوق الناصرية ، وواحدة في كوم الليمون فوق اليزبكية ، وواحدة في كوم الغريب فوق خط الازهر ، وواحدة فوق جامع ابي برص خارجاً من باب النصر . وفي ايام قليلة تمت الاربع قلع ، ونقل اليها جبخانة والمدافع والقناير ، وحصنها بالعساكر . وبنى في القلعة الكبيرة ابراجاً ، ونقل اليها مدافع كثيرة . وارسل اليها الزيت والمشاقة^(٣) ليرى اهالى مصر ان اذا نهضوا مرة ثانية يُتلف المدينة بالحراقة . وهكذا خبر علماءهم ان يُخبروا الرعية . ثم عيّن ، في بلد الجزيرة من فرنساوية ، اصحاب الحرف والذين يسكبون المدافع والكلل ، وابنى^(٤) في امبابة افراناً لاجل البقسماط ، وعمر طواحين في الهوا في الجزيرة وفوق كوم الليمون ، وكانوا يطحنون ما يكفيهم كل يوم . وامر بعمل البارود في مصر ، مع ان قد كان معه الجبخانة تكفيهم عشر سنوات اذا كانوا يحاربون كل يوم .

ثم ان ، بعد نهاية تلك الحركات التي قد حدثت وقتل الجنرال دبوى شيخ البلد ، احضر امير الجيوش الجنرال دوسطين^(٥) وولاه شيخ البلد على مصر مكان الجنرال دبوى . وكان هذا عاقلاً فاضلاً . وفرحت اهل البلد بموت الجنرال دبوى ، لانه كان صعب الاخلاق وبطل لا يُطاق . وكان حينما قامت الاسلام على فرنساوية ، فهرب محمد اغة الانشكارية . وكان ذلك الرجل جبناً ، وهذه الرتبة لا يوافقها ذلك ، لانه يلزم ان يكون اغة الانشكارية بطلاً شديداً في الحرب والقراع ، صاحب مكر وخداع ، لان عليه ضبط البلد الليل والنهار ، ولا يسأل عما يفعل . وبعد هذه الفتنة امر امير الجيوش بعزلة ، واقام عوضه مصطفى اغا جرجى ، وهو من ممالك عبد الرحمان اغا الذى كان قديماً اغة الانكشارية في زمان على بيك^(٦) . وحين دخل مصطفى اغا على امير الجيوش ، لبسه فرواً فاخراً

(١) قلوب ، مدينة شمال القاهرة ، وهي عاصمة محافظة القليوبية .

(٢) الجنرال كافاريلي .

(٣) المشافة : الثياب الرثة ، البالية ، او قطع القطن . وربما يفصد بها ما يوضع من خرق بالية تبلل بالزيت وتكوّر ثم توضع النار فيها وترمي من القلاع بالمدافع .

(٤) وبنى .

(٥) الجنرال دستنغ Destaing .

(٦) اي علي بك الكبير الذي حكم مصر خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، وتحالف مع الشيخ ضاهر العمر في فلسطين (عام ١٧٧٠م) ، الا ان قائد جيشه محمد بك ابو الذهب انقلب عليه وطرده

وقلده سيفاً ، وولاه منصب الاغاوية على الانكشارية ، وقال له : قد بلغنى عن سيدك انه كان رئيساً في الاحكام ، خبيراً بالاياام ، متدبراً بالنظام ، ومُتقناً وظيفته على التمام ، فاودّ ان تكون مثله وتقتفى اثره . فقبل يده وانصرف من قدّامه مسروراً . وبالحقيقة ان هذا المذكور اخلف سيّده في احواله وافعاله ، وكان صادقاً في خدمته شديداً في همّته ، وقيل انه قتل ممالك كثيرة كما كان يفعل سيّده في حكمه . وكان ذلك الرجل ^(١) يكره الممالك وزمرتهم كونهم قتلوا سيّده . وكان حينها ^(٢) وجد مملوكاً مستخفياً في المدينة يقتله سرّاً ، لانه كثيرا [ما] كانت تدخل الممالك الى مصر مستخفين . وبعد تلك الحوادث استكنت ^(٣) مصر وكّلت ^(٤) أهلها من الحروب مع الفرنساوية ، وطاعتهم الطاعة الرغمية ، لما كابدوا من شدة باسهم وقوة مراسهم . وقد كان الفرنسيون قد جذبوا اكثر الناس بحسن احكامهم العادلة ، وعدم ميلهم للمشاكلة ، وحسن سياستهم وعدم خيانتهم ، وحبهم المفرط للمسلمين ورفع المظالم عن الفلاحين ، وضبط عساكرهم وتواضع اكابرهم ، وصدق كلامهم حسن زمامهم ، وانطلاق الحرية لسائر الرعية ، واعطا [ء] الامان في كل مكان ، والتفاتهم العجيب لنظم البلاد ، وودّهم الغريب لراحة العباد . وقد قطعوا اثار اللصوص والنهابين والعربان الخطّافين ، واتقنوا الاحكام باحسن نظام ، وتظاهروا بالكرم السخا [ء] ورخص القوت والرخا [ء] ^(٥)

[ذكر الحملة على بلاد الشام]

وبدأ امير الجيوش يجهز الركبة ^(٦) على الاقطار الشامية ، وارسل القومانية ^(٧) والمدافع

= من مصر فجاء الى فلسطين لاجئاً عند حليفه الشيخ ضاهر (عام ١٧٧٢) ومعه نحو ثمانماية مملوك من انصاره ، الا ان انصاره في مصر كانوا قد انحازوا ، بعد فراره ، الى خصمه ابي الذهب الذي استطاع استحداثهم كوسيلة لاغرائه واستدراجه للعودة الى مصر واسترداد الحكم بالقوة ، على ان ينضموا اليه عند بدء القتال . فغادر علي بك عزة في ٢٢ نيسان / ابريل عام ١٧٧٣ بعد ان جمع نحو ثلاثة الاف مقاتل تولى عنه معظمهم وهو في طريقه لملاقاة خصمه ، ومع ذلك فقد خاض صد ابي الذهب معركة ، بالقرب من القاهرة ، وبتاريخ ٣٠ نيسان ، أملا ان ينضم اليه ، خلالها ، انصاره القدامى ، الا ان هؤلاء كانوا قد غدروا به ، فهزم ثم اسر وبقي في الاسر ، وقبل انه مات مسموما (الشهابي ، لبنان في عهد الامراء الشهابيين ، قسم ١ : ١٠٨ - ١١٠ و

(Ismail, Adel, Documents diplomatiques et consulaires, T 2 P. 315).

- (١) اي مصطفى آغا جربحي .
- (٢) يقصد = كلما .
- (٣) استكانت .
- (٤) كل أهلها : تعبوا .
- (٥) يظهر بوضوح ، من المقطع السابق ، ومن مقاطع غيرها ، مدى اعجاب المؤلف بالفرنسيين وحماسه لهم ونعلقه بهم .
- (٦) الحملة .
- (٧) لم نجد تفسيراً لكلمة (القومانية) ، واغلب الظن انه ما يصطحبه الجيش معه من تجهيزات .

والجبهات الى مدينة بلبس والصالحية، وتبه على العساكر بتحضير ما يحتاجون من الات الاسفار. وقد شاعت الاخبار بقدم ذلك الجيش الجرّار الى اراضي عكا وتلك الديار. فاسرع احمد باشا الجزائر بتدبير ما يحتاج اليه في الحصار، خشية من هجوم الكفار واستيلائهم على تلك الاقطار. وحصّن مدينة عكا بالابرجة والاسوار، ووضع عليها القنابر والمدافع الكبار. وحصّن ايضاً مدينة حيفا، وارسل الى يافا العساكر وحصنها بالمدافع والقنابر. وامتدّ الى مدينة غزة بعساكره وعشايره، ووصلت جيوشه الى قلعة العريش واقاموا بها. واتّصل الايراد الى ساير البلاد. وتنبّهت الغزّ للجهاد. وفي شهر شعبان سنة ١٢١٣^(١) خرجت العساكر الفرنسية الى مدينة بلبس والصالحية، وكتب الى الجنرال كليبر [Kléber] ان يتوجّه من دمياط في البرّ على طريق قطية، ويكون قائد العساكر الفرنسية.

ثم ان امير الجيوش بونابارته، من بعد ما ستر العساكر، احضر علماء الديوان، ومصطفى كتحدا الذي جعله امير الحجّ، والاغا والوالى والمحتسب، وقال لهم: ان الغزّ الممالك، الهاربين من سيفى في الاقطار قد التجوا الى احمد باشا الجزائر، المتولّي بتلك الديار. فجمع لهم العساكر، وحضروا الى العريش، وعازمين على الحضور الى الديار المصرية، لاجل خراب البلاد وقتل العباد وهلاك الرعية. فلذلك اخذتنى الغيرة، واستخرت الله وهو نعم الخيرة. وعزمت انسى اسير اليهم بالعساكر، واخرجهم من قلعة العريش بقوة سيفى الباتر. وابذرهم بتلك البرارى والقفار، واجعلهم عبرة للناظر واقطع اثارهم من تلك الديار، بعون الواحد القهار، واريح منهم مصر وتلك الديار. وها قد وليت نايباً عنى وقايمقام في المدينة الجنرال دوكا [Dugua]، فكونوا له طايعين، والى كلامه سامعين وشيخ البلد عليكم الجنرال ضوصطين [Destaing]، فعليكم ايها الحكام والأعيان والتجار، ان تنبهوا على اهل هذه الديار برفع الاذية والاضرار. وان تكون الرعايا مطمأنين وفي منازلهم آمنين. وان كان يبدأ^(٢)، في غيابنا، ادنى حركة من الحركات ضدّ العساكر والصلدات، فقد امرت القايمقام وشيخ البلد وحاكم القلعة ان يهدموا البلد بالمدافع والقنايل، ويقتلوا اهلها بحدّ السيف الباتر، فكونوا على حذر من القضاء والقدر. فاجابوه اننا ضامنين وكافلين هددوا الجمهور^(٣) وعدم حدوث امر من الأمور. ثم امر الى مصطفى كتحدا وعلماء الديوان ان يأخذوا الأهبة للمسير معه إلى العريش، فاجابوه بالسمع الطاعة.

(١) يبدء شهر شعبان عام ١٢١٣هـ. بتاريخ ٨ كانون الثاني / يناير ١٧٩٩.

(٢) الاصح: ييدر.

(٣) اي: اننا ضامنون وكافلون هددوا الشعب.

وفي خامس يوم من شهر رمضان^(١)، ركب امير الجيوش بونابارته في العساكر، وصحبته مصطفى كتحدا والعلماء، قاصداً مدينة بلبس بالابطال الجبابرة والعساكر الوافرة. وحين وصل الى الصالحية، هرب امير الحاج محمد كتحدا الذي كان سابقاً الى مدينة غزة. ومن هناك سار الى عكا. وحين دخل على الجزار قال له: انت الذي كنت اغة الانكشارية [؟] قال: نعم، ولكنني هربت منهم واتيت اليك. فقال له الجزار: ما انت الا جاسوس. ثم امر بقلته. وكان العلماء بعد، وصولهم الى الصالحية، اعرضوا^(٢) الى امير الجيوش انهم لا يقدرّون على الاسفار في البراري والقفار، فاذن لهم بالرجوع، وسار امير الجيوش بتلك الجموع.

وكان قد امر امير الجيوش كبار الديوان، الشيخ عبد الله الشرقاوي والشيخ محمد المهدي، الباقين في مدينة مصر، ان يرسلوا مكاتيب لساير الاقاليم، ويعرفوهم عن مسيره الى الديار الشامية. فكتبوا كما امرهم، وطبعوها في المطبعة، ووزعوها على ساير الاقاليم وهذه هي صورتها:

صورة الكتابة

من محفل ديوان مصر الخصوصي، الى جميع الاقاليم المصرية: نخبركم ان امس، تاريخه خامس شهر رمضان المعظم، توجه حضرة الدستور المكرم سرعسكر الكبير بونابارته، امير الجيوش الفرنساوية، مسافراً يغيب مقدار ثلثين يوماً، لاجل محاربة ابراهيم بيك الكبير^(٣) وبقية المماليك المصرية، حتى يحصل الراحة الكلية للاقاليم المصرية من هولاء الاعداء [ء] الظالمين، الذين لا راحة فيهم ولا رحة في دولتهم على احد من رعيتهم. وقد وصل الان مقدمة الجيوش الفرنساوية الى العريش. وعن قريب ياتيكم خبر قطيعة ابراهيم بيك ومن معه من المماليك، نظير ما وقع قطيعة اخيه مراد بيك ومن معه في اقليم الصعيد. فيقطع دابرهم من بر الشام كما انقطع دابرهم من اقليم الصعيد بالتام. ويبطل القيل والقال، وتذهب الكاذبة^(٤) التي تسمعونها من اوباش الرجال.

(١) عام ١٢١٣هـ. الموافق لليوم العاشر من شباط / فبراير، عام ١٧٩٩م.
(يبدأ شهر رمصان ١٢١٣هـ. بتاريخ ٦ شباط / فبراير ١٧٩٩م).

(٢) اي: عرضوا على امير الجيوش.

(٣) سبق وذكرنا ان ابراهيم بك الكبير كان قد ولي حكم مصر، بالاشتراك مع مراد بك، بعد وفاة محمد بك ابو الذهب عام ١٧٧٥، وظلا يحكما مصر معا حتى دخول بونابرت اليها، حيث قاتلاه معا، وهزما امامه. الا ان ابراهيم بك عاد الى حكم مصر بعد خروج بونابرت منها وحتى عام ١٨٠٥ حيث طرده محمد علي باشا من الحكم، ولكنه بقي في مصر الى ان جرت مجزرة المماليك على يد محمد علي في فلعة القاهرة عام ١٨١١، فنجا نفسه ودفن من مصر الى بلاد النوبة.

(٤) الكذبة.

ونخبركم ان حضرة السرعسكر المشار اليه يتجدد له كل يوم نية الخير والرحمة ، ويحدث ^(١) في تصميم الشفقة والرافة . هذه هي نيته لكم في كل الأقطار] ^(٢) المصرية . ويحصل لهم النجاح والصلاح ، ويكمل في ساير اقطارها السرور والاصلاح . وتفرح اقاليمها على يد سلطانها بونابارته ، بمشية الله الذي مكّنه فيها ، ونصره على من ظلم فيها من المماليك المفسدين . ولا يتم خلاصهم بالكلية وتظهر من دولة المماليك الردية ، الا ببذل همته ورأيه السديد في تكميل نظامها بغنائهم لسيوفه ^(٣) الباتره ، وتكمل زروعها الفاخرة وانواع تجارتها الباهرة . ويحدث فيها برأيه وحسن تدبيره التحف من انواع الحرف والصنایع النفیسة . ويجدد فيها ما اندثر من صنایع الحكماء الاولين . ويرتاح في دولته كل الفقراء والمساكين . فالتزموا يا اهل الارياف والفلاحين بحسن المعاملة والادب ، واجتنبوا في غيبته انواع الكذب والقبايح ، حتى يراكم ، حين يقرب بعد هذا الشهر ، قد احسنتم المعاملة ومشيتم على الاستقامة . وينشرح صدره منكم ويرضى عليكم ، وينظر اليكم بعين الشفقة . وان حصل منكم في غيابه ادنى خلل ومخالفة ، حل بكم الوبال والدمار ، ولا ينفعكم الندم ، ولا يقرّ لكم قرار . واعلموا ان اذهاب ^(٤) دولة المماليك بقضاء الله وقدرته . ونصرة سلطانكم امير الجيوش عليهم بتقدير الله وامره . والعاقل يمتثل الى احكام الله ويرضى بمن ولاه . والله يوتى بملكه ^(٥) من يشاء . والسلام عليكم ورحمة الله .

الداعي لكم الفقير السيد محمد
المهدى الحنفاوى كاتب السر
وباش كاتب الديوان
عفى الله عنه

الداعي لكم الفقير عبد الله
الشرقاوى ريس الديوان
الخصوصى
عفى الله عنه

[ذكر حصار قلعة العريش واحتلالها]

وقد كنّا ذكرنا ان امير الجيوش ارسل الى الجنرال كليبر انه يسير بالعسكر الذى عنده في دمياط . ولما وصله ذلك الامر سار من مدينة دمياط على طريق قطية . ومن هناك صار ^(٦) طالباً قلعة العريش ، فتاه في الطريق وسار ثلاثة ايام من غير زاد . والجاهم الجوع حتى اكلوا لحم الخيل والجمال . ثم اهتموا على الطريق . وعند وصولهم للعريش كانت بعض عساكر الجزار واردين

-
- (١) ويحدث .
(٢) وردت في الاصل (آل) رائدة فرأينا حذفها .
(٣) المرجح ان تكون العبارة : بغنائهم بسيوفه الباترة (اي ان النظام يكتمل في مصر بفناء المماليك بسيوف بونابرت الباترة) ، وقد حذفت هذه العبارة من نسخة الشهابي (ص ٢٥٤) .
(٤) ذهاب .
(٥) الصواب = ملكه .
(٦) سار .

بقومانية وذخيرة الى القلعة فعندما نظروا الفرنساوية مقبلين تركوا القومانية وهربوا. ووصلت الفرنساوية وقد فرحت بتلك الذخيرة واكتفوا بها ثلاثة ايام.

ثم حضر امير الجيوش وباقي العساكر ونصب الوطاق^(١) امام القلعة. وكان في قلعة العريش ثمانية مقاتل، وكان بينهم احمد كاشف الكبير تابع عثمان بيك الاشقر، وابراهيم بيك كاشف الحبشى. وفي تانى الايام، ارسل اليهم امير الجيوش ان يسلموا القلعة، فلم يرضوا بذلك. فامر بضرب المدافع. وبقي الحصار على القلعة ثمانية ايام. ثم فرغت مونتهم^(٢) وبارودهم، فارسلوا يطلبون الامان. فاعطاهم الامان، وان يخرجوا من القلعة بغير سلاح، ويحصل الصلاح ويفوزوا بالنجاح، فلم يرضوا بذلك. وبعد يومين حضر قاسم بيك المسكوبى بجملة عسكر وجبخانه، وبقي بعيد [أ] عن القلعة. وكان قصده ان في الليل يدخل بغتة فبلغ امير الجيوش وصوله، وربطوا عليه الطريق، وكبسوه ليلاً وذبحوا عساكره، ولم يسلم منهم غير القليل. وقتل قاسم بيك وعدة من الكشاف والماليك. واخذوا كل ما كان معهم. وحينما بلغ ذلك الذين في القلعة حاروا في امرهم، وارسلوا يطلبون الامان بحيث يخرجون بسلاحهم. فامر لهم امير الجيوش بذلك، وخرجوا الى قدامه فاطلق سبيلهم، وكل واحد منهم ذهب الى بلاده. واحمد كاشف وابراهيم كاشف وجاعتهما طلبوا من امير الجيوش التوجه الى مصر الى منازلهم واعيالهم فاذن لهم بذلك، وارسلهم مع بعض من الصلداك لاجل حمايتهم في الطريق. وساروا الى القاهرة وادخلوهم على قائمقام الجنرال دو كا [Dugua] وشاعت اخبارهم في مصر، وحضرت خلايق كثيرة لاجل الفرجة عليهم. ودخلوا الى دار الكنانة بكل ذلّ واهانة، راكبين الحمير بملابس رثة. ومن بعد مقابلة القايمقام وشيخ البلد توجهوا الى بيوتهم. وبعد ثلاثة ايام مات احمد كاشف من قهره وتوارى في قبره.

واما امير الجيوش، بعد تسلمه قلعة العريش، وضع بها جانب^(٣) من العسكر. وقد ارسلوا الى علماء الديوان بان يوزعوا الكتابات كما جرت لهم العادة.

صورة كتابة علماء الديوان للديار المصرية

لا اله الا الله المالك الحق المبين، ومحمد رسول الله الصادق الواعد واليقين. نعرف آل مصر وسائر الاقاليم ان توجهت الفرنساوية الى الديار الشامية، وحاصروا قلعة العريش من عشرة في رمضان الى سبع عشر^(٤)، ووقعت مقاتلة عظيمة خارج القلعة وكان في القلعة نحو الف وخمسمائة

(١) كلمة نركبه تعني: الخيمة، وجمعها: وطافات.

(٢) مؤونتهم.

(٣) جانباً من العسكر = اي فسمما منه.

(٤) سنة ١٢١٣ هـ. اي من ١٥ الى ٢٢ سباط / فبراير ١٧٩٩ م.

نفر غير من قتل خارجها. فلما طال عليهم الحصار، وتهدمت اسوار القلعة من ضرب الفرنسيين بالمدافع عليها وتيقنوا بالهلاك، طلبوا الامان من حضرة السرعسكر الكبير، فاعطاهم الامان الكافي. وسافر منهم نحو ثمانماية من ناحية الشول^(١) الى بغداد. وانعم عليهم حضرة السرعسكر بالحياة بعد ان تيقنوا بالهلاك. وهكذا اصحاب المروآت هولاء اعتقهم واطلق سبيلهم. وبعض الكشاف والماليك الذين كانوا في القلعة، نحو ستة وثلاثين جندياً، طلبوا من حضرة السرعسكر ان ينعم عليهم برجوعهم الى مصر الى اعيالهم وبيوتهم، فاحسن اليهم وارسلهم اليها والى وكيله، ودخلوا عليه يوم الاحد في ستة وعشرين رمضان معزوزين مكرومين^(٢) وارسل السرعسكر ان يوتي باكرامهم ان داموا على عهدهم الذي حلفوا به بالعريش. وان خانوا وهانوا فيحصل لهم من يده الانتقام. وامر في الفرمان ان الجنرال دوكا يامر التجار بالقوافل الى بر الشام، لينتفعوا بالمكاسب اصحاب التجارة، وينتمعوا سكان بر الشام ببضائع مصر حسب العادة السابقة، ليحصل الامان بحلوله في تلك الاراضي. وكتب الى حضرة وزيره الجنرال اسكندر برتية^(٣) فرمان^(٤) يختبرنا ويختبر حضرة الوكيل بالحالة التي وقعت الى عساكر ابراهيم بيك وبعض من عسكر الجزار المساعدين له. وان الفرنسيين وجدوا في قلعة العريش مخازن رز وبقساط وشعير، وثلاثية رأس من الخيل الجياد، وحمير كثيرة، وجمال غزيرة اكتسبته جميعه الفرنسيين. ومع ذلك عندهم الصفح عن اخلاصهم عند قدرتهم عليهم. وهذا من صفات اصحاب المرواة من الرجال الابطال. فيا اخواننا لا تعارضوا الملك المتعال. واتركوا انفسكم من القيل والقال. واشتغلوا في اصلاح دينكم والسعى في معاش دنياكم. وارجعوا الى الله الذي خلقكم وسواكم. والسلام عليكم ختام.

(١) الشول: الصحراء المقفرة.

(٢) معززين مكرومين.

(٣) المارشال لويس الكسندر برتية Louis Alexandu Berthier (١٧٥٣ - ١٨١٥)، ولد في فرساي، وتطوع في الجيش الملكي، وحصل على رتبة عقيد خلال الثورة الاميركية، ثم اصبح جنرالاً وعين قائدا للحرس الوطني، حيث امن حماية العائلة المالكة في فرساي عام ١٧٨٩. وبعدها انضم الى بوناپرت واصبح رئيسا لهيئة اركان جيش ايطاليا عام ١٧٩٦، ثم وزيرا للحربية الفرنسية (١٨٠٠ - ١٨٠٧) فمساعداً لقائد الجيش الكبير (La G de Armee) الامبراطور نابوليون الأول (١٨٠٥ - ١٨١٤). حصل على لقب مارشال فرنسا عام ١٨٠٤. وقد وقع على وثيقة استسلام نابوليون (عام ١٨١٤) وبعدها مباشرة انضم الى لويس الثامن عشر. وبعد عودة الامبراطور من منفاه (عودة المئة يوم - آذار ١٨١٥)، لجأ هو الى مدينة بامبرغ (Bamberg) في بافاريا حيث توفي، في العام نفسه، وفي ظروف غامضة.

(٤) فرماناً. والفرمان Firman: كلمة فارسية عربت، ونعني: الامر، وقد استعملها الانراك. والفرمان هو كتاب السلطان يعطى للولاة ووكلاء الدول ليعلن تنصيبهم ومأموريتهم.

الفقير محمد المهدي
كاتم سرّ الديوان حالياً
عفى الله عنه

الفقير عبدالله الشرقاوي
ريس الديوان حالياً
عفى الله عنه

الفقير السيد خليل البكري
نقيب السادات الاشراف
عفى الله عنه

[ذكر الحرب بين بونابرت والجزار واحتلال غزة ويافا]

واما امير الجيوش في تسعة عشر رمضان^(١) نهض بالعساكر من قلعة العريش الى خان يونس .
وفي الغد صارت^(٢) مقدمات العساكر على مدينة غزة بنفوس معتزة . واوتهم الجنرال كليبر
سر عسكر الجيش ، والجنرال ميراد . وكانت عساكر الجزار وعساكر الغز في مدينة غزة . فعندما
شاهدوا عساكر الفرنساوية مقبلين ولّوا منهزمين . فدهمهم الجنرال ميراد بالرجال الشداد على
الخيول الجياد . واطلق عليهم الرصاص . فما مكثوا امامه برهة يسيرة حتى ولّوا منهزمين ، والى
النجاة طالبين . ولما كان الجنرال ميراد يحاربهم ، دخل الجنرال كليبر الى البلد من غير قتال . وبات
تلك الليلة في غزة . وفي الغد سّير العساكر على مدينة يافا . وكانوا وجدوا في غزة حواصل^(٣)
ذخيرة من بقسماط وشعير ، واربعماية قنطار بارود ، واثنى عشر مدفعاً ، وحاصلاً كبيراً من الخيام ،
وكلل وقنابر عظام ، فحازوا على الجميع . ولم يزالوا سايرين حتى وصلوا الى يافا ، وبنوا المتاريس
امام البلد ووضعوا المدافع عليها . ومن بعد اربعة ايام من وصولهم ، وصل امير الجيوش واستخبر :
كم في البلد من العساكر [؟] ، فقالوا له : نحو ثمانية الاف . فكتب لهم وزيره اسكندر ينصحهم ان
يسلموا البلد لسلامة انفسهم فلم يرضوا بالتسليم ، بل قبضوا على الرسول فتركوه مقتول . فبلغ امير
الجيوش ذلك فاغتاظ غيظاً شديداً ، وامر بضرب المدافع والقنابر على المدينة . وابتدا الحرب من
اول النهار الى الساعة التاسعة ، من ناحية حارة النصارى . ثم امر امير الجيوش بان يهجموا على البلد
هجمة واحدة ، ويشنوا الغارة الجامدة ، ويظهر ما عندهم من المكافحة والمجالدة . فغارت اوليك

(١) الموافق ليوم ٢٤ شباط / فبراير ١٧٩٩ .

(٢) سارت .

(٣) مفردها : حاصل ، اي مخزن .

الشجعان ، وكان ليلة عيد رمضان ، فيا لها من ساعة كانت من ساعات القيامة ، وتبأ لها من ليلة لم يكن بها سلامة . وهجمت فرنساوية هجم الاسود ، واذا شاهدتهم عساكر الاسلام ايقنوا بالموت والعدم والخلود ، وبقوا نادمين وفي امرهم حيرين . واذا لم يجدوا لهم سبيلاً للانهزام ولا منقذاً ينقذهم الى برّ السلام ، فسلموا الى قضاء الله والاحكام ، وطرحوا سلاحهم وسلموا ارواحهم . فبدت فرنساوية يزجرونهم زجر الغنم . ولم يزل هول الحرب في امداد ، والكرب في اشتداد ، وتتناثر الرؤس وتهلك النفوس ، وتنهتك الاحرار وتنكشف الاسرار والاستار ، وتقتل الرجال والنساء والاطفال . وفاق صوت البكاء والعويل على صوت البارود والجزيل . وكنت تنظر واحد [أ] يقتل [و] واحد [أ] جذيل ^(١) ، واخر دمه يسيل ، والاخر بالأسر ذليل ، ولا من يقيّل ولا من يزيل . ولم يزل الجيش فرنساوي في قتل وقتك وسبي وهتك ، ورنّ سلاح وهزّ صفاح واخذ ارواح ، من اول الليل الى اخر الصباح . وكان يوماً اليماً وحرباً عظيماً . وسلبوا كلما في المدينة من المال والامتعة الغوال . ولم يزل يعمل الصارم البتار الى اخر النهار . وكان ذلك نهار العيد والخلق في حزن شديد . وحلّ الانكيس ^(٢) في نهار ذلك الخميس . وفي ذلك الحين مات من العساكر ما ينيف عن الخمسة الاف ، ومن اهالى البلد الفين وقد هجمت فرنساوية على المراكب التي في المينا ، واخذوا منها بضاعة ثمينة . واصبحت مدينة يافا لم يجد بها أحداً معافاً ^(٣) ولا بها مستتر . وهي عبرة لمن اعتبر .

وفي ثانی الايام ، احضر امير الجيوش الاسارى ، واطلق سبيل من كان من الاقطار الشامية . وميّز المصريين واکرمهم غاية الاكرام . وكان منهم السيد عمر مكرم نقيب الاشراف الذى كان هارباً واعطاه الامان ، وامره ان يرجع الى الاوطان . واما الهوارا والارناوط امر بقتلهم جميعاً ، لان كان البعض منهم في قلعة العريش ، وحين اطلقهم امرهم ان يذهبوا الى بلادهم سالمين ، فاتوا الى مدينة يافا وحاصروا بها . فقتلهم جميعاً من دون بعض انفار من الاغاوات الكبار ، وارسلهم اسرى مع هجانة ^(٤) الى قايمقام يعرفه بالاخبار عن هذا الانتصار . وان يوزّع من الديوان الكتابات كما جرت لهم عادات . ويخبر ^(٥) [المصريين في انتصار فرنساويين على مدينة يافا .

(١) جديلاً: اي مجندلاً صريعاً . وقد وردت في نسخة الشهابي (ص ٢٥٧) «وكنث تنظر واحد [قتيل] وواحد جديلاً» .

(٢) النكسة ، الهزيمة .

(٣) لا يوجد بها احد معافى .

(٤) ورد في نسخة الشهابي (ص ٢٥٨): «ارسلهم اسارا مع هجانة الى مدينة القاهرة» . وكان بونايرت قد انشأ في مصر فرقة من الهجانة .

(٥) وردت (الى) زائدة ، أثرتنا حذفها .

صورة الكتابات من علماء الديوان بمصر يعلموا^(١) الاقاليم بأخذ يافا

بسم الله الرحمن الرحيم . سبحان مالك الملك يفعل في ملكه ما يريد . سبحان الحاكم العادل
الفاعل المختار ذو البطش الشديد . هذه صورة تمليك الله سبحانه وتعالى لجمهور فرنساوية لبندر
يافا من الاقطار الشامية .

نعرف اهالى مصر واقاليمها من ساير البرية ، ان العساكر فرنساوية انتقلوا من غزة ثالث
وعشرين شهر رمضان ، ووصلوا الى الرملة في خامس وعشرين^(٢) منه في امان واطمئنان . فشاهدوا
عسكر باشا الجزار هارين بسرعة قايلين : الفرار الفرار . ثم ان فرنساوية وجدوا في الرملة ومدينة
اللدة مقدار [أ] كبير [أ] من مخازن البقسماط والشعير ، ورأوا فيها الف وخمماية قربة^(٣) مجهزة ،
قد جهزها الجزار ليسير بها الى اقليم مصر مسكن الفقراك والمساكين ، ومراده يتوجه اليها باشرار
العربان من سفح الجبل . ولكن تقادير الله تفسد الحيل^(٤) قاصداً سفك دماء الناس مثل عوايده
السابقة . وتجبره وظلمه مشهور ، لانه من تربية الممالك الظلمة^(٥) المصرية . ولم يعلم ، من خسافة^(٦)
عقله وسوء تدبيره ان الامر لله وكل شئ بقضايه وتديره .

وفي سادس وعشرين من شهر رمضان ، وصلت مقدمات فرنساوية الى بندر يافا من الاراضي
الشامية ، واحاطوا بها وحاصروها من الجهة الشرقية والغربية . وارسلوا الى حاكمها وكيل الجزار ان
يسلمهم القلعة ، قبل ان يحل بهم وبعسكرهم الدمار . فمن خساسة رأيه وسوء تدبيره سعى في هلاكه
وتدميره ، ولم يرد لهم جواب ، وخالف قانون الحرب والصواب ، وقتل الرسول النجيب^(٧) .

وفي آخر ذلك اليوم السادس والعشرين ، تكاملت العساكر فرنساوية على محاصرة يافا ،
وصاروا كلهم مجتمعين . وانقسموا ثلاثة طوابير : لطابور الاول توجه على طريق عكا بعيد [أ] عن يافا

(٣) المقصود = يعلموا ، اي بخبروا .

(٤) سنة ١٢١٣هـ . الموافق للاول من آذار عام ١٧٩٩ . (باعتبار ان شهر شباط ٢٩ يوما ، وان بدء رمضان
هو في ٦ شباط) .

(١) رأوا = بمعنى وحدوا . اي وجدوا فيها الفا وخمماية قربة . والقربة : وعاء ، من الجلد او سواه ، يوضع
بد اللبن او الماء ، للسقاية .

(٢) الحيل ، جمع حيلة .

(٣) الظالمة .

(٤) قلة .

(٥) الساعي .

اربع ساعات . وفى السابع والعشرين من الشهر المذكور امر حضرة السرعسكر الكبير بحفر خنادق حول السور ، لاجل ان يعملوا متاريس امينة وحصارات مُتَقَنَّة حصينة . لانه وجد سور يافا ملاناً بالمدافع الكبيرة ، ومشحونة بعساكر الجزار الغزيرة . وفى تاسع وعشرين من الشهر المذكور ، لما قرب حفر الخندق الى السور مقدار مائة وخمسين خطوة ، امر حضرة السرعسكر المشار اليه ان تنصب المدافع على المتاريس ، وان يضعوا الهاون الكبير باحكام وتأسيس . وامر بنصب مدفع صيانة لعساكره الصاعدين والمشتغلين بخرق السور . وامر بنصب مدفع آخر بجانب البحر لمنع الخارجين اليهم من مراكب المينا ، لانه وجد في المينا بعض مراكب اعدوهم^(١) عساكر الجزار الى الهروب . ولا ينفع الهرب من المقدّر الكتب . ولما رأت عساكر الجزار الكاينين بالقلعة ان عساكر الفرنساوية قلائل ، فُيرأ^(٢) الفين للناظرين لسبب اختفاء الفرنساوية في الخنادق وخلف المتاريس . فغرّهم الطمع وفتحوا مجاهم^(٣) من القلعة مسرعين مهرولين ، وظنوا انهم يغلبوا الفرنساوية . فهجمت عليهم الفرنساوية وقتلوا منهم جملة كثيرة في الواقعة . والزموهم والجوهم^(٤) للدخول تانياً الى القلعة . وفى يوم الخميس غاية شهر رمضان ، حصلت عند السرعسكر شفقة قلبية على الرعية ، وخاف على اهل يافا من عسكره اذا دخلوها بالقهر والاكره ، فارسل اليهم مكتوباً مع رسول مضمونه :

لا الله الا الله وحده لا شريك له

بسم الله الرحمن الرحيم

من حضرة سرعسكر اسكندر كتحدا العسكر الفرنساوى ، الى حضرة حاكم يافا . نخبرك ان حضرة سرعسكر الكبير بونابارته امرنا نعرفك ، في هذا الكتاب ، ان سبب حضوره الى هذا الطرف اخراج عسكر الجزار فقط من هذه البلد . لانه تعدى بارسال عسكره للعريش ومرابطته فيها . والحال انها من اقليم مصر التى انعم الله بها علينا . فلا يناسبه بالاقامة بالعريش لانها ليست من اراضيه . فقد تعدى على ملك غيره . ونعرفكم يا اهل يافا ان بندركم حاصرناه من جميع اطرافه وجهاته ، وربطناه بانواع الحرب [والالات]^(٥) والمدافع الكثيرة والكلل والقنابر الغزيرة وفي مقدار ساعتين [يقلب]^(٦) سوركم وتبطل الاتكم وحروبكم . ثم نخبركم ان حضرة السرعسكر المشار اليه بونابارته ، لمزيد رحته وغزير شففته خصوصاً بالضعفاء من الرعية ، خاف عليكم من سطوة عسكره

(١) أعدّها .

(٢) فُيرى .

(٣) وردت في نسخة الشهابي (ص ٢٥٩) : « غرّهم الطمع [فخرجوا] لهم من القلعة » .

(٤) والجأؤهم .

(٥) وردت في الاصل : والات ، فاقتضى التصحيح .

(٦) وردت في الاصل : ليقلب ، فاقتضى التصحيح .

المحاربين. واذا دخلوا اليكم بالقهر فاهلكوكم اجمعين. فامرنا ان نرسل اليكم هذا الخطاب اماناً كافياً لاهل البلد والاغراب، ولجل ذلك اخر ضرب المدافع والقناير ساعة واحدة. واننى لكم من الناصحين القلبية، والحال انهم جعلوا الجواب قتل الرسول مخالفين للقوانين الحربية والشرعية المطهرة المحمدية.

وحالاً، في الوقت والساعة، هاج السرعسكر واشتد غضبه على الجماعة، وامر بابتداء ضرب المدافع والقناير الموجبة التدمير. وبعد مضي زمان يسير، تعطلت مدافع يافا المقابلة لمدافع المتاريس، وانقلب عسكر الجزار في وبال وتنكيس. وفي الظهر من هذا اليوم، انخرق سور يافا وارتج له القوم. ونقب من الجهة التي ضرب فيها المدافع من شدة النار، ولا مرد لقضاء الله ولا مدافع. وفي الحال امر حضرة السرعسكر بالهجوم عليهم، وفي اقل من ساعة ملكت الفرنساوية البندر والابراج، ودار السيف في المحاربين، واشتد بحر الحرب وهاج. وحصل النهب فيها تلك الليلة.

وفي ثانی يوم الجمعة غرة^(١) شوال، وقع الصفح الجميل من حضرة السرعسكر الجليل، ورق قلبه على اهل مصر من غنى وفقير ومتجبر وحقير، الذين كانوا في يافا، واعطاهم الامان، وامرهم بالرجوع الى الاوطان مكرومين^(٢). وكذلك امر اهل دمشق برجوعهم الى اوطانهم سالمين، لاجل [ان]^(٣) يعرفوا مقدار شفقتهم ومزيد رافته ورحمته، ويعفو عند المقدرة ويصفح وقت المعذرة، لكثرة تمكنه ومزيد اتقانه وتحصنه.

وقتل اكثر من اربعة الاف من عسكر الجزار في السيف والبندق، لما وقع منهم من الانحراف. واما الفرنساوية لم يقتل منهم الا القليل، والمجاريح منهم ليس بكثير. وسبب ذلك سلوكهم للقلعة من طريق امينة خافية عن العيون. واخذوا ذخاير كثيرة واموال غزيرة. ومسكوا المراكب التي في المينا. واكتسبوا امتعة غالية ثمينة. ووجدوا في القلعة اكثر من ثمانين مدفع. ولم يعلموا [انه]، مع مقادير الله، آلة الحرب لا تنفع^(٤). فاستقيموا يا عباد الله وارضوا بقضاء الله. ولا تتعارضوا على احكام الله. وعليكم بتقوى الله. واعلموا ان الملك لله يوتيه لمن يشاء^(٥) والسلام عليكم ورحمة الله.

الفقير عبد الله الشرقاوى
رئيس الديوان بمصر حالاً
عفى الله عنه

الفقير السيد خليل البكرى
نقيب الاشراف بمصر حالاً
عفى الله عنه

(١) سنة ١٢١٣ هـ. الموافق ليوم ٨ آذار / مارس ١٧٩٩ م.

(٢) مكرومين.

(٣) وردت (ما) فاستبدلناها بـ (أن).

(٤) وردت في نسخة الشهابي (ص ٢٦٠): «ولم يعلموا مع مقادير الله ان آلة الحرب لا تنفع».

(٥) الصواب: يؤنيه من يشاء.

الفقير محمد المهدي
كاتم سرّ الديوان بمصر حالاً

عفى الله عنه
طبع في مطبعة الفرنساوية العربية^(١) بمصر المحروسة^(٢).

[ذكر حصار عكا]

ثم أن أمير الجيوش سار بالعسكر قاصداً مدينة عكا على طريق الجبال. ولما وصلوا إلى أراضي قاقون، فكانت عساكر الجزائر والنوابلية مكنين في الوادي الذي هناك. وحينما بلغهم قدوم الفرنسيات اخرجوا منهم من فم الوادي خمسية مقاتل، وبدوا يرمحون تجاه العسكر. وكان قصدهم ان يجروهم الى ذلك الوادي. فلما علم امير الجيوش مرادهم، قسم عساكره ثلثة اقسام: فالقسم الاول سيرة الى فم الوادي. والقسمان اطلعا الى الجبل. وحين اقتربوا الى الوادي ضربوا المدافع واطلقوا الرصاص، فالتحدرت اليهم الفرنسيات من اعلى الجبال، وانتشبت بينهم القتال، وكثر القيل والقال. وقد قتل من عسكر الاسلام اربعمائة قتيل على التام. وولّوا^(٣) الباكون منهزمين، والى النجاة طالبين. ومن هناك صارت الفرنسيات مطمانين^(٤) في تلك الديار، وباتوا تلك الليلة على العيون الصغار. وفي الغد ساروا إلى أن وصلوا الى وادي الملك. وقد كان بلغ الجزائر قدوم^(٥) وقرب الفرنسيات الى تلك الديار، فأرسل الى حيفا احضر الجبخانه والعسكر. وعندما وصلت الفرنسيات الى تجاه مدينة حيفا، خرجت اهالى البلد الى مقابلتهم، وسلموا امير الجيوش مفاتيح البلد والقلعة، فاكرمهم واعطاهم الامان. ودخلت الفرنسيات مدينة حيفا، فوجدوا بها قارباً صغيراً فيه جماعة من مراكب الانكليز فاخذوهم اسارى^(٦).

وبعد ذلك امير الجيوش انتقل بالعساكر الى تجاه مدينة عكا، ونصبوا المضارب والخيام في محلّ يقال له ابو عتبة. وبنو المتاريس الحصينة، ووضعوا فوقها المدافع المتينة. وشاعت الاخبار في تلك

-
- (١) المعروف ان بونابرت حمل الى مصر مطابع بالعربية كان يطبع عليها جميع مطبوعاته بهذه اللغة.
(٢) يذكر اينيه Aine، في ترجمته الفرنسية للكتاب (Op. Cit. P. 281) انه، في مخطوطة الكتاب الني اسنارها من «كوسان دي برسيغال، Coussin de Perceval»، وبعد كلمة (المحروسة) كتبت قصيدة مديح لبونابرت مطلعها «لله عصر قدرها. فلك السعادة فيه دار». كما كتبت هذه القصيدة نفسها في آخر المخطوطة الموجودة في المكتبة الملكية، وفي آخر نسخة الشهابي. وقد اثبتناها بدورنا في آخر الكتاب.
(٣) وولّى.
(٤) صار الفرنسيون مطمئنين.
(٥) وردت في نسخة الشهابي (ص ٢٦١): «وكان قد بلغ الجزائر قرب الفرنسيات الى تلك الديار».
(٦) المعنى: «فوجدوا بها قارباً صغيراً من مراكب الانكليز فيه جماعة فأخذوهم اسارى».

الاقطار بقدم البطل المغوار ، في ذلك العسكر الجرّار الذي هو كالبحر الزخّار . فخافت تلك الديار ، وعزموا جميعهم بالتصميم على الطاعة والتسليم لذلك البطل العظيم ، لما بلغهم من عظم سطوته وعلو همّته وشدة صولته . وبقوا ينتظرون بما ^(١) يحلّ باحد باشا الجزائر ، بعد ذلك الضيق والحصار ، من الهلاك والبوار . وقالت المسلمين اجمعين : اننا لله واننا اليه راجعين ^(٢) من شرّ هولاء الملاعين . وكان امير الجيوش كتب الى ساير مشايخ البلد ليحضروا الى مقابله ، ويحصلوا على امانه ورحمته . وبدأت ^(٣) تاتي اليه اهل تلك البلاد ويأخذون منه الامان . وسار الجنرال كليبر والجنرال منوا [Menou] الى مدينة الناصرة ، وارسل قومندا [ن] ^(٤) حاكما على شفا عمرو ومن بعد اتمام بناية المتاريس ابتدا في الحرب على عكا خامس يوم من شهر شوال سنة ١٢١٣ ^(٥) . وقام الحرب اربعة ^(٦) وعشرين ساعة . وكان حرباً شديداً مهولاً لم يكن مثله قطّ لان كانت الفرنسية تضرب المدافع والقناير . وفي المدينة كذلك ، المدافع والقناير من الابراج والقلاع والحصون والاسوار . وكانت المراكب العثمانية والمراكب الانكليزية تضرب كذلك المدافع والقناير . حتّى خيل للناظرين والسامعين ان مدينة عكا لم يبق منها حجر على حجر واقفين . وارتجّ الجزائر من ذلك رجّة عظيمة ، وكاد أن يخلو ^(٧) المدينة . واحضر مراكبه للسفر والركوب ، وهيا نفسه للذهاب والهروب . فمنعه الجنرال سرعسكر الانكليز ^(٨) الذي كان مقيماً في عساكره على البواغيط ^(٩) ، وطمّنه قايلاً : انني قد قطعت عزم اعدائك الفرنسية ، اذ قد اسرت منهم ثلاثة مراكب جخانية ومدافع قوية ، فشجع فؤادك على محاربتهم ، لانني قد اضعفت قوتهم .

وكان الامر كما ذكر ، لان امير الجيوش ، اذ كان لم يقدر على نقل الجبخانه والمدافع الكبار في البرّ ، فامر ان يوسقوهم في ثلاثة مراكب ويرسلوها من دمياط . وحينما خرجت المراكب المذكورة

-
- (١) ما .
(٢) وقال المسلمون اجمعين : انّا لله وانا اليه راجعون ...
(٣) وبدأت .
(٤) المقصود : قومندان ، اي ضابط كبير ، وقد ترجمها اينيه (Op. Cit. P. 107) كما يلي : « وأرسل ضابط (Officier) حاكما على شفا عمرو » .
(٥) الموافق ليوم ١٢ آذار / مارس ١٧٩٩ .
(٦) اربعا وعشرين ساعة (اما الحرب ، فهي مؤنثة ، وقد تذكر كما قال المبرّد) .
(٧) يخلو .
(٨) هو الاميرال البريطاني السير وليم سيدني سميث Sir William S. Smith (١٧٦٤ - ١٨٤٠) لعب دورا هاما في الدفاع عن عكا عام ١٧٩٩ ضد بونابرت والى جانب الجزائر ، وقد كان قائدا للبحرية البريطانية في شرق البحر الابيض المتوسط في ذلك الحين . فأحبط الحصار الفرنسي لعكا وذلك بأن استولى على مدفعية الحصار الفرنسية في عرض البحر وساند الجزائر وقدم اليه المشورة .
(٩) جمع بوغاز ، اي المضيق او الترفة ، ويذكر اينيه في ترجمته الفرنسية (op. cit. P. 108) ان سميث كان مرابطا باسطوله عند مصاب النيل (وهي دمياط ورشيد) .

اصطادتها مراكب الانكليزا، وكان سرعسكر الانكليز المسقى سند [سدي] سميت لم يزل يطوف في مراكبه على البواغيط ليمنع الامداد على فرنساوية. وحين وقع الحصار على مدينة عكا، حضر بمراكبه واخرج منهم طبجية^(١) الى القلع والاسوار. ثم، من بعد ذلك الحرب الشديد، قلت جبخانه^(٢) فرنساوية، وبلغ امير الجيوش ان الانكليز استاسروا الثلاث مراكب التي اتت من دمياط في الجبخانه. فاشتعل فيه الغضب، وارسل احضر ما كان في يافا من الجبخانه. ثم حضر الجزار مركبين من اسلامبول بهم الجبخانه، ولما اقبلوا إلى أسكلة [ميناء] يافا وشاهدوهم فرنساوية الذين كانوا باقين هناك، رفعوا لهم البيراق العثماني، ودخلوا الى الميناء بكل امان، ناشرين الاعلام لظنهم ان المدينة بيد الاسلام. وبعد ما القوا المراسي، نزلت القباطين^(٣) الى البلد، فقبضوا عليهم فرنساوية، وضبطوا المراكب بكل ما فيها من المدافع والقنابر والجبخانه. وكان ست وثلاثين الف دينار مرسلة اسعافاً للجزار فصار ذلك اسعافاً للفرنساوية.

[ذكر معارك بونابرت في بلاد الشام]

وكنّا قد ذكرنا ان امير الجيوش، بعد حضوره الى تجاه عكا، ارسل كتب الى مشايخ البلد الذين بالقرب منه، فحضر اليه الشيخ عباس ابن ضاهر العمر، واعرض^(٤) لديه احواله. فترحب به واعطاه السلاح والكسوة وعشرة اكياس، وكتب له ان يكون متولياً بلاد ابيه. وحضر ايضاً مشايخ بني متوال^(٥) فاعطاهم حكم بلادهم. وصاروا من عند امير الجيوش الى مدينة صور وقدموا له الذخير من البلاد وتسلموا القلعة التي كانت لابائهم. ثم حضر ايضاً رجل من جبل شيخا^(٦) اسمه مصطفى بشير، فاكرمه امير الجيوش، وامره ان يجمع عسكر [آ] من اهل تلك البلاد ويتوجه الى مدينة صفد. فتوجه المذكور بخمسين نفراً. ولما بلغ اهل البلد قدومه، طردوا عسكر الجزار وسلموه البلد، وكان ذلك الرجل اصله من صفد.

وقد ذكرنا عن توجه الجزال كليبر والجزال منو الى الناصرة، وكان قد اجتمع من الشام عساكر الاسلام، من مغاربة وهوارا وعربان، والغز الذين حضروا مع ابراهيم بيك، الى ان بلغ جمعهم ثلثين الف مقاتل ما بين راكب وراجل. وخرجت هذه العساكر العديدة بقوة شديدة، ووصلت الى مرج ابن عامر. فبلغ كليبر قدوم ذلك العسكر، فسار اليهم بالف وخساية مقاتل. وحينما وصلوا وشاهدتهم تلك

(١) من (طوب top)، وهي كلمة تركية معناها: المدفع. والطوبجية Topdji هم سنده المدفع والعاملون عليه.

(٢) الجبخانه: كلمة فارسية، وهي ما يلزم الحرب من البارود والكل ونحوها.

(٣) جمع غير صحيح للقبطان، اي قائد السفينة والمركب.

(٤) وعرض عليه.

(٥) اي مشايخ جبل عامل.

(٦) وردت (جبل شيخا) في نسخة الشهابي (ص ٢٦٣). وقد ورد في (معجم البلدان) اسم (جبل شيخان) وهو جبل مشرف على جميع الجبال التي حول القدس. واغلب الظن انه هو الجبل المعني.

الجموع، انهزموا من قدامهم مكيدةً منهم. ولم يزل الفرنسيون في اثرهم الى ان وصلوا الى اطراف المرج. ومن هناك احاطوا في الفرنسيون من كل جانب. ولما نظرهم الجنرال كليبر قد احاطوا بالعسكر، فقسم رجاله اربعة اقسام، مع كل قسمة منهم مدفع. واتصل الحرب بينهم. فعندما شاهدت اهالى الناصرة كثرة جيوش الشام، وان الفرنسيين قليلين جداً، فبادروا حالاً واخبروا امير الجيوش، فاحضر حالاً الجنرال تركو^(١) وامره بتحضير ثلاثة الاف صلدات. ومن بعد ساعة واحدة جهّز العسكر المذكور، واخذوا معهم اربعة مدافع. وامر الجنرال بونابارته ان يسيروا على وادي عبلين^(٢). ومن بعد مسيرهم بثلاث ساعات، ركب امير الجيوش وسارورا [ء] هم طالباً اثرهم. وفي نصف الليل وصل بالعساكر الى بير البدوية، وارسل الى بلدة قريبة منهم اسمها سافورا^(٣)، وطلب ما احتاجه من الذخيرة^(٤) تلك الليلة.

وعند الصباح سار بالعسكر الى ان نفذ الى مرج ابن عامر، وصعد الى تلّ عال فكشف ارض المرج. ونظر الى الجنرال كليبر في وسط البيدا [ء]، وعساكر الاسلام محتاطة به، والهجمة من كل ناحية، وليس لهم عليه استطاعة. ثم نظر الى جبل بعيد وعليه المضارب والخيام، وكان هذا اوردى^(٥) الغز. فنزل امير الجيوش وافرز خمسمية مقاتل وامرهم ان يسيروا على الجبل ويكبسوا على الاوردى. وقسم العسكر الذى بقى معه ثلاثة اقسام: قسمان منهم الف، والقسم الثالث خمسمية. فاخذ منهم قسماً واحداً ومدفعاً واحداً وتوجه بذاته، والقسم الثانى تبعه من بعيد، والقسم الثالث الخمسمية، ومعهم مدفعين، امرهم ان يسيروا الى الحرب من الطرف الثانى، الى ان تصير العساكر المحاربين في وسطهم محتاطين^(٦) بهم. وحينما وصل امير الجيوش الى عندهم ضرب مدفعاً واحداً، ثم ضرب القسم الثانى ثم الثالث، وحينما سمعوا العساكر المحاربين^(٧) المدافع، ونظروا^(٨) قدوم النجدة وعلموا انهم صاروا في وسطهم قولوا منهزمين وللنجاة طالبين، وصاروا يتراكمضون في الجبال وكانت الفرنسيون يضحكون عليهم. وعندما انقطع اثرهم اتى امير الجيوش الى عند الجنرال كليبر وتصافحوا

(١) الجنرال لونيرك Leture.

(٢) وادي عبلين: واد يقع شمال بلدة «شفاعمرو» في فلسطين، وتقوم بمحاذاة بلدة تسمى باسمه (انظر خارطة فلسطين).

(٣) صفورية، وهي بلدة في فلسطين تقع جنوب شرقي شفاعمرو، على الطريق بين الناصرة وعكا (انظر خارطة فلسطين).

(٤) المؤونة.

(٥) اوردى: وردت (عرضي) في نسخة الشهابي (ص ٢٦٣)، وترجمها اينيه (معسكراً). (Ainé, Op.cit. P. ١١١) واغلب الظن انها كلمة تركية تعني: معسكر الاورطة (فرقة من الجند)، كما سيتبين لنا فيما بعد.

(٦) محيطين.

(٧) وحينما سمع العساكر المحاربون.

(٨) وانتظروا.

مع بعضها بعض، وتعانقا وفرحا بانتهاء الاعداء. وحينا كانا واقفين، واد،
بالخمسماية صلدات الذين صاروا الى الجبل راجعة بالغنائم الوافرة، لانهم كبسوا على
اوردى الغز، وكان فيه مقدار مائة مملوك فقط. واما باقى الغز فكانت تحارب فى ارض المرج
بعيد [أ] عن اوردتهم مقدار ساعتين. فعندما نظرت الممالك ان الفرنساوية مقبلين عليهم، تركوا
الاوردى وولوا منهزمين. فكبسوا عليه الخمسماية صلدات واغتمموه. وكان فيه خيرات كثيرة.
واخذوا الخيل والجمال والخيام والامتعة والاسلحة والملبوس. وبات امير الجيوش تلك الليلة فى
ارض المرج، وحينا اصبح الصباح، ارسل خمسماية صلدات الى قرية جنينين^(١) وامرهم ان ينهبوها
ويحرقوها، ففعلوا كما امرهم. ثم ان امير الجيوش احرق تلك القرايا التى فى جبل نابلس، لانهم ما
طلبوا منه الامان. ثم رجع الى الناصرة، وبعده حضر بالعسكر الى تجاه عكا.

وقد كنا ذكرنا ان امير الجيوش كان قد ارسل مصطفى بشير الصفدى الى صفد وملك
قلعتها، وصاروا^(٢) الذين كانوا من قبل الجزار الى الشام. وجمع ابن عقيل عسكراً وحضر الى صفد
فنهبوها وحاصروا القلعة. ولعلمهم بقلّة الرجال بها هجموا بقوة شديدة. وكانوا الذين فى القلعة
يضربوا عليهم بالرصاص، فهلك منهم عدّة رجال. ثم ان رجل^(٣) من القلعة سقط من شباك وهجم
ورا [ء] عسكر الشام وضرب البيرقدار^(٤) برصاص فقتله، واخذ البيرق ورجع الى القلعة. وحين بلغ
امير الجيوش قدوم عسكر الشام الى صفد، امر الجنرال ميراد ان يسير بخمسماية راكب. ولما بلغ عسكر
الشام قدومه رحلوا الى جسر بنات يعقوب. وحين دخل الجنرال ميراد صفد بلغه هروب عسكر الشام
فتبعهم، ولما وصل الى الجسر فما وجد واحداً واعلموه انهم ساروا الى الشام. واما مصطفى
بشير حضر الى عند امير الجيوش فترحب به واكرمه، وقد اخبروه عن فعل ذلك الرجل فاعطاه
مائة وخمسين غرش. وامر مصطفى بشير ان يعين عسكر [أ] من الفلاحين، ولكل انسان ثلثين فضة
كل يوم. فتوجه المذكور وعين جماعة وسار بهم الى جسر بنات يعقوب لعند الجنرال ميراد، فتركهم
الجنرال على الجسر محافظين ورجع الى عكا. واما الجنرال منو كان لم يزل مع الجنرال كليبر فى
الناصره، فبلغه ان فى مدينة طبرية عسكر الجزار، فاخذ ثلثماية راكب من الفرنساوية، والشيخ

(١) وردت فى نسخة الشهابي (ص ٢٦٤) جانين، والصواب: جنين.

(٢) وسار.

(٣) رجلا.

(٤) اي حامل البيرق.

صالح والشيخ عباس اولاد ضاهر العمر^(١)، ولما قربوا من طبرية خرج عسكر الجزار الى ملاقاتهم، وكانوا نحو الفين مقاتل. وحين تقابلا العسكران وانتشبت بينهما الحرب، انكسر عسكر الجزار وولّوا منهزمين وللنّجاة طالبين. ولحق هذا الشجاع رجل^(٢) من العسكر وضربه بجسامه وارماه شطرين، وقتل منهم اوفر من مائتين. ورجع الجزال ميراد الى طبرية، فوجد بها حواصل^(٣) حنطة وشعير ودرّاً^(٤) ما ينوف عن الفين غرارة^(٥). فارسل اعلم بها امير الجيوش، فرجع الجواب ان يطحنهم ويرسلهم الى العسكر. وفي شهر شوال الموافق لشهر آذار^(٦)، تباين الطاعون في العساكر الفرنسية، وكانت عليهم اعظم بلية، ومات منهم خلق وافر.

وكانت الحروب قائمة الا، مدينة عكا الليل والنهار، وهم يهجمون على الاسوار، والكلل والقنابر عليهم مثل سيل الامطار. وراهملكوا من العساكر الاسلامية والانكليزية خلقاً لا يُحصى، لما كانوا يخرجون الى محاربتهم. وقد هدموا ابراج واسوار عكا من ضرب المدافع والقنابر وهيجان العسكر. ولما نظر الجزار هدم البروج والاسوار، فبدأ يقيم حيطانها من الازقة والشوارع، وخرق البيوت والمنازل الى بعضها بعض وجعل لها منافذ خوفاً من هجوم الفرنسية، لما شاهد من جسارتهم القويّة. وكانت الفرنسية لم تكلّ عن الهجمات على الاسوار والوصول الى الجدار، ولم يبالوا بذلك العمار، ولا يخشوا قصر الاعمار وهلاكهم في هذه الديار. بل هاتين الى العز والانتصار، وقهر احمد باشا الجزار، وتملكهم على هذه الاقطار. واذ كان اعداءهم الانكليز، الذين قد اهلكوا عمارتهم على البواغيط، واسعف عليهم ذلك العزيز، والقاهم في تيار التغلب والتعجيز. فلذلك اظهرت الفرنسية انواع العجايب، في هذه المعامع والمواقع، التي تُذكر جيلاً بعد جيل، اذ لم يكن لها مثيل. وقد مات في هذه المواقع الجزال كفريـل^(٧) المهندس الكبير والعالم الخبير والشهم الشهير،

(١) تسلم الشيخ ضاهر العمر ولاية عكا طيلة ربع قرن (١٧٥٠ - ١٧٧٥)، وكان قد بدأ طموحه السياسي بجيش صغير من الصفديين (اهالي صعد التي حكمها في بدء حياته السياسية خلفا لوالده الشيخ عمر الزيداني)، ثم صار جيشه بكبر ورقة حكمة تنتسح شيئا فشيئا، فأخذ طبريا (عام ١٧٣٧)، ثم ضم اليه عكا (عام ١٧٥٠) حيث اصبح والبا عليها، وتحالف مع علي بك الكبير حاكم مصر ومع العاملين، وحارب العثمانيين في صيدا (عام ١٧٧١)، وظل حاكما لولاية عكا حتى وفاته ١٧٧٥، حيث خلفه عليها احمد باشا الجزار الذي اضطهد اولاد ضاهر العمر بعد وفاة والدهم، فتحالفوا مع بونابرت ضده.

(٢) رجلا.

(٣) مخازن.

(٤) الذرة.

(٥) الغرارة: الجوالق، وهو عدل كبير منسوج من صوف او شعر يوضع فيه التبى وبحوه، والغرارة، في المكيلات، اثنا عشر كيلا، والكيل: ستة أمداد (محيط المحيط)، فتكون الغرارة اثنتين وسبعين مدا.

(٦) شوال ١٢١٣ هـ. الموافق لشهر آذار ١٧٩٩ م. وتباين: ظهر.

(٧) الجنرال كافاريلي Cafarelli وقد مرّ ذكره.

لان هذا البطل المهور قد تقرّر عنه القول انه كان برجل واحدة، والاخرى كان ملتبسها خشب . وكانت اهل مصر تدعيه^(١) الجنرال ابو خشبة . فهذا المذكور اصابته كلة في كتفه، واخذت الجراحية يداونه^(٢)، فسألهم: هل الجرح يطول ليبراً؟ فاجابوه: انه يحتاج الى مدة طويلة، واما إذا قُطعت اليد من الكتف فبروءه قريب . فاجابهم: اقطعوا يدي ودعوني انهض الى تكميل خدمة المشيخة^(٣)، ثم قطعوا يده من كتفه . واذا كان هذا الجنرال لا يمكنه الكنون^(٤) والسكون حتى يختم جرحه، طفق يدور على المتاريس ليدبر الطبجية، ويدلّهم على الاماكن التي تضرب عليها المدافع والقنابر . فمن الشمس والهوا ورم عليه جرحه ومات وعدمت المشيخة مهندساً عظيماً ومدبراً عليمًا . وفي هذه المواقع مات الجنرال بون^(٥)، فهذا البطل تعلّق على السور وحذف^(٦) البرنيطة الى داخل البلد، وكان من الشجعان الشداد . وقد ارتعشت عساكر عكا ذلك النهار من فعل ذلك البطل المغوار، وبقوا يضعون اللحف بالزيت والقطران ويجدفوها على الاسوار بعد ما يشعلوه بالنار، ويضربوهم بالقنابر والمدافع الكبار، وهم لا ينكفوا^(٧) عن طلوع الاسوار والرصاص عليهم مثل سيل الامطار، ويرموهم ايضاً من الاسطحة بالحجار الكبار . وهذا الجنرال اصابته حجر في راسه وهو متعلّق على السور، فسقط وحلوه العسكر ومات، وشرب شراب الافات .

[ذكر تخلي بونابرت عن حصار عكا وعودته إلى مصر]

ثم بعد هجمات كثيرة وحروب خطيرة، وتعب شديد وهول مكيد، عزم امير الجيوش على القيام عن مدينة عكا العسيرة، لعلّة خطيرة واسباب كثيرة، وهو انه: اولاً ان ورد مركب صغير من بلاد خراسان^(٨) الى الاسكندرية، وفيه رجل من مدينة باريس، ومعه مكاتيب الى بونابرته من بعض رؤساء المشيخة المحبين له، يخبروه ان رؤساء المشيخة ارفاقه^(٩) الكبار مخامرين^(١٠) عليه، وقد

(١) تسمية، تدعوه .

(٢) واخذ الجراحون يداونه .

(٣) الجمهورية .

(٤) الاستكانة .

(٥) الجنرال بون bon .

(٦) رمى .

(٧) لا يكفوا .

(٨) يذهب اينيد، في ترجمته، الى ان (خرسان) هي جزيرة (كورسبكا) (Aine, op cit. PP. 284 - 285) . ونحن

ندهب مدعبه، حيث اغلب الظن ان حامل البريد قد اتى من باريس الى كورسيكا فالاسكندرية، خاصة

وانه لا علاقة (لخراسان) بموضوع البحث اطلاقاً .

(٩) رفاقه .

(١٠) متأمرون .

منعوا عنه الامداد ليهلك فى هذه البلاد . وايضاً ان الانكليز قد اخذت منهم كلّمَا اكتسبوه من الاقاليم ، وهيّجّوا ملوك الافرنج عليهم . وان لم يحضر اليهم سريع ^(١) والآ يذهب تعبهم ويضيع . فهذه المكاتب التى حضرت من بعض رؤساء المشيخة . وايضاً اتتهم الاخبار ان العمارة ^(٢) العثمانية العظيمة قد تجهّزت ، وقريباً تصل الى الديار المصرية ، وسرعسكرها مصطفى باشا كوسا . وايضاً اتتهم الاخبار ان العمارة المسكوبية ^(٣) حاصرت جزيرة كورفو ^(٤) من اعمال البندقية ، وقد أخرجت منها الفرنساوية . ولما علم امير الجيوش بتلك الاخبار ، وان العالم كلّهُ نهض ضده ، وانه صار مضطراً ان يحارب جميع المسكونة بهذا الجيش القليل . وقلب ذلك البطل الشديد اقوى من الحديد . فما اراعتة الاهوال ولا اعتراه الانذهال ، ولا تغيّرت منه الاحوال ، ولا التوى عنانه ولا تزعزع جنانه . بل اخفى الكمد وظهر الجلد ، ثم ارسل احضر الجنرال كليبر من الناصرة ، وامره ان يهجم الهجمة الاخيرة . فعند ذلك نهض هذا البطل المذكور ، وظهر حربه المشهور ، وقرع طبول الحرب ، وتقدم الى الكون والضرب . وكان يوماً اعظم الايام ، وحرب ^(٥) يشيب منه رأس العلام . وهاج ذلك الجنرال هيجان الاسد الاذرع ^(٦) ، الذى لا يهاب الموت ولا منه يفرّج . واندفعت عليهم الكلل والقنابر ، برّاً وبحراً على هولاء العساكر ، اندفاق البحور الزواخر . واتّقدت عليهم النيران ، واظلم الجو من الدخان . واستدّت المسامع من صوت المدافع ، واشتدّت المعامع . وقفزت الفرنساوية الاسوار ودخلوا الى الجامع . وكانت ساعة من ساعات القيامة وحرباً لم يكن فيه سلامة ، ويوم ^(٧) غريب الاحوال شديد الاهوال عظيم الوبال ، تشيب من هوله الاطفال ، وترتعب من ذكره صناديد الرجال . وتبادرت ^(٨) العساكر الذين فى المدينة ، والمراكب التى فى الميناء ، بالحراقة والنيران ، بالزيت والقطران ، وجادوا بالكلل والرصاص والقنابر والقواص ^(٩) ، وبالضجيج العظيم والصراخ الذميم . وارتدّت الفرنساوية بحمية عن ذلك الشرّ والنكد ، بعد ما كانوا دخلوا البلد المحمية ، وخطفوا طاسات النحاس الاصفر فى سبيل ^(١٠) الجامع المشتهر . وخرجوا من المدينة كاسبين ،

(١) سريعاً .

(٢) الاسطول .

(٣) الاسطول الروسي .

(٤) جزيرة كورفو Corfu وقد مرّ ذكرها .

(٥) وحرباً .

(٦) الأذرع ، لغة : الافصح ، والاسرع ، وتأتى هنا بمعنى : الاشجع .

(٧) ويوماً .

(٨) تبادر ، اي بادر كل منهم بالضرب تجاه الآخر .

(٩) اطلاق النار .

(١٠) السبيل : ماء جارية فى باحة الجامع أو أي مكان آخر يشرب منها المارة وابناء السبيل .

وبقى منهم فى الجامع مائة وعشرين . وكانوا قد انشغلوا فى القتال الى ان حالت ^(١) عليهم الرجال ، وبد [أ]وا يحاربون وعن ارواحهم يدافعون . فتراكمت عليهم العساكر كالبحور الزواجر ، وقد ايقنوا بالموت والاقتناص ، وفرغ بارودهم والرصاص . وعند ذلك بادر اليهم الكومنضا ^(٢) سميت سارى عسكر الانكليز ، وطفق يكلمهم بالفرنساوية كلام حريز ، وان المشيخة ما ارسلوا رئيسكم الى هذه الممالك الا ليرموه فى بحر الممالك ، وها نحن رابطين عليكم البواغيظ ، ولا ندع ان يجيكم لا كثير ولا وجيز ^(٣) . وقد بقيتم مسجونين فى هذه البلاد ، وانقطع عنكم الاسعاف والامداد . وجميع الممالك ضدكم ، مجاهدين على عدمكم ^(٤) . فكفاكم تهلكون نفوسهم ، وتطيعون هوى رئيسكم . فاطلبوا الاقالة من هذه الحروب ، والخلاص من هذه المصايب والخطوب . ونحن نضمن لكم الوصول بالسلام والامان الى ارضكم والاطمان . ولما سمعوا ذلك الكلام سلّموا له واخذهم بامان ^(٥) . بامان .

واما امير الجيوش حين نظر ان ليس فى ذلك الحرب محصول ، والدخول الى عكا بعيد الوصول . وقد فهم ان الصلوات صاروا ينفرون من الهجوم والمصادرة ، ويطلبون الرجوع الى القاهرة . وان قد مات ثلاثة الاف وخمسة صلدات على اسوار عكا . ومات فى الطاعون وعلى الطرقات ما ينيف ^(٦) عن الف صلدات . ومع ذلك ^(٧) المخاوف التى قضوها والبلايا التى ذاقوها . وهم لم يزالوا فى طاعة غريبة ومحبة عجيبية الى امير الجيوش . اذا كان عندهم كالا ^(٨) يخضعون الى امره ، ويصبرون على مرّه وحرّه . ملازمين على حمده وشكره .

وفى احد عشر يوم من ذى الحجة سنة ١٢١٣ ^(٩) امر امير الجيوش بالقيام بجميع المضارب والخيام ، وانتقل الى مدينة حيفا ، وكان فيها عدة حواصل قطن الجزار ، فامر بحرق الجميع . ومن هناك ساروا الى مدينة يافا ، فاخذوا ما كان لهم من الامتعة والمدافع الكبار ودفنوها فى

(١) تحولت .

(٢) القومندان سمبث .

(٣) اي لا ندعكم تنالون الكثير او القليل من هذه البلاد .

(٤) اي ساعون لافنائكم .

(٥) الاصح = وأخذهم الامان .

(٦) ينوف : يزيّد .

(٧) اضافة الى ذلك .

(٨) كاله .

(٩) الموافق ليوم ١٦ ايار / ١٧٩٩ (بدء شهر ذى الحجة عام ١٢١٣ هـ . هو يوم ٦ ايار / مايو ١٧٩٩) .

الارمال^(١). وقد كانوا اخذين من العساكر العثمانية اربعة الاف بندقية، فارموها فى البحر واحرقوا المراكب التى كانوا اخذوها من الاسلام. واخذوا الذين فيها اسارى، وكانوا نحو ثلثماية نفر. فامر امير الجيوش ان يصنعوا اخشاباً كالنعوش، ويضعوا عليها المجرّحين والمشوشين^(٢). وكل اربع انفار من هولاء الماسورين يحملوا على اكتافهم خشبة ويمشوا امام العسكر. وقبضوا على السيد يحيى مفتى مدينة يافا، واربعة انفار من التجار، واخذهم صحبته. ونهض من مدينة يافا الى غزة، وكان الجبرال القايم بها قبض على خمسة انفار من التجار فى البلد، وطلب منهم جانب^(٣) من المال. ثم سار امير الجيوش الى قلعة العريش، وهناك وضع المشوشين والمجرّحين. وامر الجنرال كليبر ان يسرى على قطية بعساكره الى مدينة دمياط. وسار امير الجيوش بباقي العسكر الى مدينة القاهرة، وامامه اوليك الاسرى ماشيين. ووصل الى العادلة بالقرب من مدينة بلبس^(٤)، وارسل اخبر القيمقام الجنرال دوكا بقدومه، فخرج المشار اليه مع شيخ البلد وسائر الجزالية، والعساكر وعلماء البلد والحكام والاعيان وارباب الديوان والاولجاكات، واقبلوا عليه وهنّوه بقدومه. وبعد الجلوس قال لهم: لقد بلغنى ان بعض المفسدين والاعداء الكاذبين قد اشاعوا عنى الاخبار اننى قد مت فى تلك الديار، فامعنوا النظر بى لتتحققوا الخبر. وانظروا هل ان بونا برته مات ام بعده فى الحياة، وقولوا للمفسدين [أن] لا يتأملوا بهذا الامل. [فإن] بونا برته قد جاء سالماً غانماً باذن المالك العزيز، ولم يمت حتى يدوس جميع الممالك. فاجابوه: لا باس على امير الجيوش. لقد كذب كل من قال [ذلك] اطل الله لنا بقاءك، ولا شمت بك اعداءك، وجعلنا من الدنيا فداك. وبالحقيقة كانت شاعت عنه تلك الاخبار، وفرحت اهل تلك الديار. ثم دخل مصر بموكب شهير، وراه الكبير والصغير. ومشت امامه جميع العساكر الفرنسية، وحكام واعيان وعلماء واغاوات مدينة مصر المحمية. ودخل من باب النصر، بالعزّ والنصر، نهار الجمعة عاشر يوم من شهر محرم الحرام افتتاح سنة ١٢١٤^(٥). وكان يوما عظيماً، وموكباً جسيماً. وحينما ولج بمنزله الكاين على بركة اليزبكية، كتب فرماناً باللغة الفرنسية، وارسله الى ديوان العلماء، وامرهم ان يترجموه الى اللغة العربية، خطاباً من علماء الديوان الى سائر الاقاليم المصرية. ويطبّعوه فى اللغة العربية، ويعلّقوه على شوارع القاهرة، ويفرقّوه على جميع الاقاليم العامرة.

(١) الرمال.

(٢) ربما يعنى: المشوهين.

(٣) جانباً = بعضاً.

(٤) بلبس، بكسر الباءين، وهي مدينة مصرية قديمة كانت تقع على بعد عشرة فراسخ عن فسطاط مصر على طريق الشام.

(٥) الموافق ليوم ١٤ حزيران / يونيو ١٧٩٩.

وهذه هي صورة ذلك الفرمان

من محفل الديوان الخصوصي بمصر المحروسة، خطاباً الى اقاليم مصر الشرقية والغربية والمنوفية والقليوبية والجيزة والبحرية. النصيحة من الايمان، قال الله تعالى في مُحْكَم القرآن. فلا تتبعوا خطوات الشيطان. وقال تعالى: لا تطيعوا امر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون. فعلى العاقل ان يدبر الامور قبل وقوع المحذور. نخبركم، يا معشر المؤمنين، انكم لا تسمعون كلام الكذابين، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين. وقد حضر الى محروسة مصر المحمية، امير الجيوش الفرنساوية، حضرة بونايرته محب الملة المحمدية. ونزل بعسكر في العادلية، سليماً من العطب والاسقام، شاكراً لله موحداً للملك العلام. ودخل الى مصر، من باب النصر، يوم الجمعة عاشر محرم سنة ١٢١٤ من هجرته عليه السلام، في موكب كبير عظيم، بشنك^(١) جليل فخيم، وعسكر كثير جسيم، وصحبته العلماء الازهرية، والسادات البكرية والعنانية، والدامورشية والخضوية والاحدية والرفاعية والقادرية، والاولجاقات السبعية السلطانية^(٢)، وارباب الاقلام الديوانية، واعيان التجار المصرية. وكان يوماً مشهوراً عظيماً لم يقع نظيره في المواكب السابقة قديماً. وخرجت سكان مصر جميعاً لملاقاته، فوجدوه هو الامير الاول بونايرته بذاته وصفاته. وظهر لهم ان الناس يكذبون عليه. وشرح الله صدره للاسلام ونظر الله بعين لطفه اليه. والذين اشاعوا عنه هذه الاخبار الكاذبة، العربان الفاجرة والغز الهاربة، ومرادهم بهذه الاشاعة هلاك الرعية، وتدمير اهل الملة الاسلامية، وتعطيل الاموال الديوانية، ولا يجتوبون راحة العباد. قد ازال الله دولتهم من شدة ظلمهم.

وقد بلغنا ان الالفى توجه الى الشرقية مع بعض المجرمين من العربان والقبائل الفجرة المفسدين، يسعون في الارض بالفساد وينهبون اموال المسلمين، ان ربك بالمرصاد. ويزورون على الفلاحين مكاتيب كاذبة. ويدعون ان عساكر السلطان حاضرة. والحال ليس لها تحضير، فلا اصل لهذا الخبر، ولا صحة له ولا اثر. وانما مرادهم وقوع الناس في الهلاك والضرر. مثلما كان يفعل ابراهيم بيك في غزة، حين كان يرسل فرمانات بالكذب والبهتان، ويدعى انها من طرف السلطان. ويصدقوه اهل الارياض خُساء^(٣) العقول، ولا يعتبرون بالعواقب فيقعون في المصايب. واهل الصعيد طردوا الغز من بلادهم خوفاً على انفسهم وهلاك اعيالهم واولادهم. فان المجرم يوخذ من الجيران. وقد غضب الله على الظلمة ونعوذ بالله عن غضب الديان. فكانوا اهل الصعيد

(١) شَنَك: من العامية، وهي الدفعات المتتالية من اطلاق النار، ابتهاجا. مصدرها تركي: شَنَك وتعني:

الفرح العام. وقد مرّ شرحها.

(٢) الودجاقات السبعة السلطانية، وقد مرّ ذكرها.

(٣) سخفاء.

احسن عقولاً من اهل البحرى ، بسبب هذا الرأى السديد . ونخبركم ان احمد باشا الجزار سمّوه الاسم لكثرة قتله الانفس ، ولا يفرق بين الاخيار والاشرار . وقد جمع طموش^(١) كثيرة من عساكر العثمانية ، ومن الغزّ والعرب واسافل العريش . وكان مراده الاستيلاء على مصر وأقليمها ، واحتبوا اجتماعهم عليه لآخذ اموالها وهتك حريمها . لكن لم تساعده الاقدار ، والله يفعل ما يشاء ويختار . وألطفه خفية والكلام على صفو النية . وقد كان ارسل بعض هذه العساكر الى قلعة العريش ، ومراده يصل الى قطية . فتوجه سارى عسكر امير الجيوش الفرنساوية بونايرته ، وكسر عساكر الجزار الذين كانوا فى العريش ، ونادوا الفرار الفرار ، بعد ما حلّ باكثرهم القتل والدمار . وكانوا نحو ثلاثين الف^(٢) . وملك قلعة العريش ، واخذوا ما فيها من ذخاير الجزار بلا خلاف . ثم توجه السرعسكر الى غزة فهرب من كان فيها من عسكر الجزار ، وفرّوا منه كما يفرّ من الهرة العصفور . ولما دخل قلعة غزة نادى فى رعيّتها بالامان ، وامر باقامة العشائر الاسلامية ، واكرام العلماء والسجّار والاعيان . ثم انتقل الى الرملة ، واخذ ما فيها من ذخاير الجزار من بقسماط ورزّ وشعير وقرب ، اكثر من الفين قرية عظام كبار ، كان جهزها الجزار لذهابه الى مصر ولكن لم تساعده الاقدار . ثم توجه الى يافا وحاصرها ثلثة ايام ، ثم اخذها واخذ ما فيها من ذخاير الجزار بالتام . ولنحوسة^(٣) اهلها انهم لم يرضوا بامانه ، ولم يدخلوا تحت طاعته وسلطانه وشمول احسانه . فذور فيهم ضرب السيف من شدة غيظه وقوة سلطانه ، وقتل منهم نحو اربعة الاف ويزيد . بعد ما هدم سورها بفعل الله الذى يقول للشئ كن فيكون . واكرم من كان فيها من اهالى مصر واطعمتهم وكساهم ، وانزلهم فى المراكب ، وغفرهم^(٤) بعساكر خوفاً من العربان . واجزل عطاياه . وكان فى يافا نحو خمسة الاف من عسكر الجزار فهلكوا جميعاً وبعضهم ما غاطاهم^(٥) الا الفرار .

ثم توجه من يافا الى جبل نابلس ، فكسر من كان فيه من العساكر بمكان يقال له قاقون^(٦) ، وحرّق خمس قرايا من بلادها ، وما قدره سبحانه فيكون . ثم اخرب سور عكا ، وهدم قلعة الجزار التى كانت حصينة ، ولم يبق فيها حجر على حجر . حتى انه كان قد بنا^(٧) حصاراتها وشيد اسوارها

(١) طموش = معردها طمش ، اي الناس ، وجمع طموشاً = اي جمع اناسا (وقد مرّ معنا ذلك) .

(٢) نحو ثلاثين الفا .

(٣) نحس اهلها وسوء حظهم .

(٤) اي جعل غلبهم خفراء (حراسا) بحرسونهم من غارات العربان .

(٥) كلمة لم نجد لها تفسيراً ، وربما تكون « غطاهم » اي حماهم أو أنقذهم .

(٦) حصن بفلسطين قرب الرملة ، وقد مرّ ذكره .

(٧) بنى .

فى نحو عشرين سنة ، وظلم فى بنايها ^(١) عباد الله ، وكذا عاقبة الظالمين . ولما توجهت اليه اهل بلاد الجزائر من كل ناحية ، كسرهم كسرة شنيعة ، فهل ترى لهم من باقية . ونزل عليهم صاعقة من السماء ، فان قال اهل الشام كما قلنا ^(٢) .

ثم توجه راجعاً الى مصر المحروسة لاجل سبيين : الاول : انه اوعدنا برجوعه الينا باربعة اشهر والوعد عند الحر دين . والسبب الثانى : انه بلغه ان بعض المفسدين من الغز والعربان يحركون فى غيابة الفتن والشرور فى بعض الاقاليم والبلدان ، فلما حضر سكنت الفتنة وزالت الشرور مثل زوال الغيم عند شروق الشمس وسط النهار . فان همته العلية واخلاقه المرضية متوجهة ، فى البكرة والعشية ، لا زالت ^(٣) الفجور والشرور من الرعية . [أ] وجد لمصر واقليمها شيء عجيب ^(٤) ، ورغبته فى الخير لاهلها ونيلها بفكره وتدبيره العجيب . يجب الخير لاهل الخير والطاعة ، ويرغب ان يجعل فيها احسن التحف والصناعة . ولما حضر من الشام احضر معه جملة اسارى من خاص وعام ، وجملة مدافع وبيارق اغتنمها فى الحروب من الاعداء الاخصام . فالويل ثم الويل لمن عاداه ، والخير ثم الخير لمن والاه . فسلموا يا عباد الله لقضاء الله ، وارضوا بتقدير الله ، فان الارض لله . واقتبلوا احكام الله فان الملك لله يوتيه ^(٥) لمن يشاء من عباده . هذا هو الايمان بالله . ولا تسعوا فى سفك دماكم وهتك اعيالكم ، ولا تسبوا فى قتل اولادكم ونهب اموالكم . ولا تقولوا ان الفتنة اعلا [ء] كلمة حاشا الله لم يكن فيها الا الخذلان وقتل النفس وذلة امه النبى عليه السلام . والغز والعربان يطغونكم ويغروكم لاجل ان ينهبوكم ، اذا كانوا فى بلد وقدمت عليها الفرنساوية ففروا هاربين منهم كأنهم جنود ابليس .

ولما حضر السارى عسكر الى مصر ، أخبر اهل الديوان من خاص وعام انه يجب دين الاسلام ، ويعظم النبى عليه السلام ، ويحترم القرآن ويقرأ به كل يوم باتقان . وامر باقامة شعائر المساجد الاسلامية ، واجراء خيرات الاوقاف السلطانية ، وسلم عوايد ^(٦) الاوجاقية ، وسعى فى حصول اقوات الرعية . فانظروا هذه اللطاف والمزية ، ببركة نبينا اشرف البراية . واوعدنا بامرین عظیمین فى الاسلام : انه يبنى لنا مسجداً عظيماً بمصر لا نظير له فى الاقطار ، وانه يدخل فى دين النبى المختار

(١) بنائها .

(٢) جملة غير واصحة ، وهي تعني ان عسكر الجزائر توجه نحو بونايرت من كل ناحية ، فكسرهم كسرة شنيعة ، ولم تبق لهم باقية ، كأنما نزلت عليهم صاعقة من السماء ، ويؤكد اهل الشام قولنا هذا .

(٣) لازالة .

(٤) اوجد لمصر واقليمها شيئاً عجيباً .

(٥) يؤتیه من يشاء .

(٦) عوايد = عادات وتقاليد ، اي انه حافظ على عادات الودحاقات الانكشارية وتقاليدها .

عليه افضل الصلوة والسلام ختام .

ثم وضعوا امضاهم كما مذكور قبل وهم العلماء المصرية والاغاوات والاعيان الالوجاقية .

وقد طبع هذا الفرمان ووزعه على الاقاليم المصرية . وكان ما ذكر في هذا الفرمان عنه قصده لتهديب اخلاقهم ، وتليين اعناقهم ، وترقيد الفتن والمشاجرات وعدم المناكرات . اذ كان عارفاً ما يورد عليهم من الحادثات . وانه مضطراً الى الرحيل لما قد بلغه عن قيام الممالك . وانه سترك الفرنساوية بمصر بكل ضيق وحصر . فلذلك كان يودّ المسلمين ويظهر لهم الحب اليقين ، ويشهد لهم بحسن الدين ، وانه واثمهم على الحق المبين . وهم كانوا لهذا الكلام غير محققين . وان كل ذلك خداع ونفاق وابتداع ، فكانوا غير مطمئنين . هذه وهو غير فاطر عن مسألتهم ، وجذب قلوبهم ومؤانستهم . وكان يباحثهم بامور الدين ، ويريههم انهم على الحق اليقين . وكان مملوءاً من الحكمة والعلوم . وقيل انه كان يعلم بامور القلم الفلكي ، اذ انه كان يتفوه بامور تحدث في ميقاتها قبل اوقاتها . ويقول هو المنصوص على ظهوره فلا ينتظروا احداً بعده . وهو الذي يملأ الارض عدلاً . وقد حدّق كثيرون منهم انه هو المهدي . ولم تتغير عليهم سوى الملابس الالفرنجية ، فلو جاء بالفرجية لا منت به الرعية .

وقد كنّا ذكرنا كلما جرى للفرنساوية في ابتداء دخول^(١) الى الديار المصرية في نصف شهر محرم افتتاح سنة ١٢١٤ ، وما قضاوا من المكافحات والجهاد والشرور والفساد . وقد مات منهم جمع غفير ، وكابدوا تعباً كثيراً . واعداهم الانكليز رابطين عليهم البواغيط . ونفور البلاد العربية وعدم ميلهم عليهم ، ووصول الاذية اليهم . لان اهالى البلاد قتلوا منهم اناساً كثيرين بالانفراد ، وكانوا يدخلونهم الى منازلهم بالامان ويقتلونهم ويخفونهم . وكانت الفرنساوية قلوبهم مطمئنة^(٢) من قبل الاسلام ، ولا ينقلون السلاح الا في وقت الحرب والكفاح . وكانت نساء مصر وخوارجها^(٣) كثيرة ، فكانوا ياخذون الفرنساوية الى منازلهم الزاماً ، ويقتلونهم ويرمونهم في الابيار ، ويخفون منهم الاثار . وقد فقد منهم كثيرون بهذه الوسائط والانكاد^(٤) ، ووقع كثير منهم في علة الجذام^(٥)

(١) دخولهم .

(٢) مطمئنة .

(٣) النساء الخوارج : النساء الناشزات .

(٤) من النكد = اى الشدة والعسر ، والانكاد هنا بمعنى المكائد .

(٥) الجذام . علة رديئة تنتشر في البدن كله فتفسد مزاج الاعضاء وهيئتها ، وعالبا ما تحدث عَجْراً (تورماً وتصخماً) في الوجه وتمرطاً في شعر الاجفان ، وتنتهي الى تآكل الاعضاء وسقوطها من شدة النقرح . ويقال لهذا العلة : داء الاسد ، لهجومها على صاحبها هجوم الاسد على فريسته (محيط المحيط) . والبرص من مقدماته .

من ذلك الفساد . وذلك المرض وجوده كثير في تلك البلاد . وقد مات من الفرنساوية ، من ابتداء [ء] دخولهم الى الديار المصرية ، الى حين رجوعهم من الديار الشامية ، ما ينوف عن خمسة عشر ألفاً . وقلّ عددهم ولكن لم يضعف جلدتهم . وكانوا ، مع كلّ تلك الاحوال والبلاء والنكال^(١) ، ما ازدادوا إلاّ قوة وبأس وصعوبة ومراس^(٢) ، وحسن الشيم والعطا والكرم . وكثر في زمانهم ، في تلك الاقاليم ، الرخص والخير العميم ، وعدم الظلم والعدوان ، واظهار العدل والايمان .

وكان ، بعد رجوع امير الجيوش الى مصر ، قد هرب القاضي وترك اعياله^(٣) في البلد ، فامر ان يرفعوا ولده الى القلعة ، ويختتموا على جميع ارزاقه . فاجتمعت العلماء وارباب الديوان ، وكتبوا عرض حال يترجّوا امير الجيوش بذلك الحال ، وطلق^(٤) ولده من القلعة ، ورفع الضبط عن المال والعيال ، فقبل سؤلهم وارثي لحاهم ، واطلق الولد بشرط ان لا يقيم في البلد ، وصرفه في ماله واعياله . ثم انه احضر شيخ العريش ، والبسه فرواً فاخراً ثميناً ، واقامه قاضياً اميناً .

وفي شهر محرم الحرام افتتاح سنة ١٢١٤^(٥) ، ظهر في اراضى البحيرة ، عند دمنهور ، رجل مغربي ، وقيل انه سلطان الغرب^(٦) فجمع من المغاربة والهاوارة والعربان والفلاحين جمعاً عزيزاً^(٧) ، وقطع الطرقات . فبلغ خبره الى حاكم الاسكندرية ، فارسل اليه شرذمة من عسكر الفرنساوية وكبسوا عليه . وانتشر بينهم القتال ، فانهزم ذلك المغربي بعسكره في البرارى والتلال ، ولم تزل الفرنساوية في اثارهم حتى اهلكوا اكثرهم . وكان هذا الرجل يدعى النبوة ، ويقول انه حينما يلقي نظره على الكفار فيتلاشون كالغبار . فكان الأمر [بضد^(٨)] ذلك الاقرار . وقد جرّعه كؤوس المهالك وتشتت تلك الجموع ، ورجعت الفرنساوية بالسكون والهجوم .

[ذكر الحرب بين بونابرت والعساكر العثمانية]

وفي اثنى عشر صفر سنة ١٢١٤ هجرية^(٩) ، حضر هجان من الاسكندرية بكتابة الى امير

(١) النكال : ما ينال المرء من تنكيل ، وما ينزل به من نوازل . وقد جاء في القرآن الكريم : ﴿ ان لدينا أنكالا وجحيما ﴾ (المزمل ١٢) ، والأنكال : مفردها (نكل) وهو القيد الشديد الثقيل .

(٢) قوة وبأسا وصعوبة ومراسا ، او : قوة بأس وصعوبة مراس .

(٣) عياله .

(٤) واطلاق .

(٥) الموافق لشهر حزيران / يونيو ١٧٩٩ م .

(٦) سلطان المغرب .

(٧) جمعا غريبا .

(٨) وردت في الاصل (بضد) ، فاقتضى التصحيح .

(٩) الموافق ليوم ١٦ تموز / يوليو ١٧٩٩ م .

الجيش يخبره ان العمارة العثمانية ظهرت في ثغر الاسكندرية، وعدتها ثمانون مركباً كبيراً وصغاراً. وانهم اذا لم يقدرُوا [ان] يستقبلوا البوغاظ من الكلل والقنابر الكثير [ة] فتعمدوا [الذهاب] الى قلعة ابوقير. وكان وصول ذلك الهجان عند الغروب، وهو على صفرة^(١) الماكول والمشروب. فنهض بالخال كالمرعوب، وامر بحضور الخيل للركوب، وفرّق الاوامر على الجنرالية، وامرهم ان يتبعوه بالعساكر الى الرحمانية. وكتب الى الجنرال كليبر ان يحضر من دمياط على طريق البر، ثم ركب من ذلك المحضر بعسكره الخاص الذي يلبس الجوخ الاخضر، وسار على تلك النية حتى وصل الى اراضي الرحمانية. فاتاه الخبر من الاسكندرية ان المراكب العثمانية ملكت قلعة ابوقير وهربت منها الفرنسية. وان العساكر : يبعاً خرجت الى البرية، وبنوا بمساعدة الانكليز متاريس عظيمة في تلك الاقطار، ووضعوا فوقها امداف الكبار، وفرّقوا البيورلديات على جميع تلك الديار. واستنهضوا للقيام الفلاحين والعربان واهل تلك البلدان، ولبسوا من مصطفى باشا الاكراك^(٢)، وابتهجت الاسلام بورود عسكر الاتراك. وخشى امير الجيوش من قيام العامة من مصر وغيرها من البلدان، فكتب فرمان الى علماء مصر وارباب الديوان يخبرهم بورود المراكب وخروج عساكرها الى البر، وانهم مراكب النصاري، ولكن ربّما معهم بعض مسلمين. وتعريفه بذلك استناداً على فرمان الذي ورد من الدولة العثمانية الى الجزائر والاقطار الشامية، حيث يقول: قريباً تحضر لكم الضونما^(٣) الهمايونية، مع ضونما دولة المسكوبية^(٤) المتحدة مع دولتنا بالحبّ الصدوقية. ويحضر لكم ايضاً عشرين ألفاً مقاتل في البر من الدولة القوية، غير العساكر البحرية، لاجل طرد الملة الفرنسية. وهذا فرمان قد حضرت صورته الى امير الجيوش، واطّلع عليه العلماء والاعيان واهل تلك البلدان. ولجل ذلك حرّر امير الجيوش لهم ذلك فرمان، لاجل ترقيد الفتن والهرج، وان تلك المراكب من النصاري الافرنج.

وهذه صورة فرمان نقلًا عن المطبعة

من حضرة ساري عسكر امير الجيوش الكبير بونايرته، خطاباً الى ديوان مصر المحروسة،

(١) على السفرة، اي على مائده الطعام.

(٢) الاكراك: مفردھا كراك، وهي لغة، اللون الاحمر. ترجمها ابنه بخلة الشرف (Pelisses d'honneur). Aliné, op cit. P. 135. وغالب الظن ان المؤلف يقصد خلة الامارة او الولاية التي يخلعها الباشا على من يوليهم الحكم من اتباعه. وربما تكون تلك الخلة رداء مزركشا باللون الاحمر علامة التباهي والغطرسة.

(٣) الدوننما، او الدونمانمة، او الطونانمة: كلمة تركية تعني: الاسطول. وقد عُرِف الاسطول المصري في عهد محمد علي وكل من الخديوي عباس وسعيد واسماعيل، باسم «الدوننمة المصرية». كما عُرِف الاسطول العثماني باسم «الدوننمة الهمايونية» و «الدوننمة السلطانية».

(٤) الدولة المسكوبية: الدولة الروسية.

أوله : لا اله الا الله محمد رسول الله ﷺ . نخب حفل علماء الديوان بمصر ، المنتخب من احسنهم واكملهم في العقل والتدبير ، عليهم سلام الله ورحمته وبركاته . بعد مزيد السلام عليكم وكثرة الاشواق اليكم ، نخبكم ، يا اهل الديوان المكرمين ، انا وضعنا جماعة من عسكرنا بجبل الطونا ^(١) ، وبعد ذلك سرنا الى اقليم بحيرية ^(٢) ، لاجل ما نرد ^(٣) راحة الرعايا المساكين ، واقاصص ^(٤) اعداءنا المحاربين . وقد وصلنا في السلامة الى الرحمانية ، وعفونا عفواً عمومياً عن كل اهل البحرية . حتى صار اهل الاقاليم في راحة تامة ونعمة عامة . وسكنت الفتنة واطمأنت . ثم نخبكم انه وصل ثمانون مركباً ، صغاراً وكباراً ، حتى ظهوروا بتغر الاسكندرية ، وقصدوا ان يدخلوها فلم يمكنهم الدخول لكثرة كلل والمدافع النازلة عليهم . فرحلوا عنها وتوجهوا الى ناحية ابوقير ، وابتدوا ينزلوا في برّ ابوقير . وانا الان تركتهم وقصدي انهم يتكاملوا الجميع في البرّ ، وانزل عليهم واقتل من لا يطيع ، واخلى في الحيو الطايعين ، واتيكم بهم محبوسين ، لاجل ان يكون في ذلك شان عظيم في مدينة مصر . والسبب في مجي هذه العمارة الى هذا الطرف ، العشم ^(٥) بالاجتماع على الممالك والعربان لاجل نهب البلاد وخراب الاقليم المصري . وفي هذه العمارة خلق كثير من الموسكوب الافرنج الذين كراحتهم طاهرة لكل من كان موحد الله ، وعداوتهم واضحة لمن كان يؤمن برسول الله . يكرهون الاسلام ولا يحترمون القرآن . وهم ، نظراً الى كفرهم في معتقدهم ، يجعلون الالهة ثلاثة ^(٦) ، وان الله ثالث تلك الثلاثة ، تعالى الله عن الشرك . ولكن عن قريب يظهر لهم ان الثلاثة لا تعطى القوة ، وان كثرة الالهة لا تنفع لانها باطلة . بل ان الله الواحد هو الذي يعطي النصر لمن يوحدده ، وهو الرحمن الرحيم المساعد الامين المعين ، المقوى للعادلين الموحددين ، المبعث الماحق رأى الفاسدين المشركين . وقد سبق ، في عمله القديم وقضائه العظيم وتقديره المستقيم ، انه اعطاني هذا الاقليم العظيم . وقدّر وحكم بحضوري الى مصر لاجل تغيير الامور الفاسدة وانواع الظلم ، وتبديل ذلك بالعدل والراحة مع صلاح الحكم . وبرهان قدرته العظيمة ، ووحدانية المستقيمة ، انه لم يقدر ^(٧) نذين يعتقدون ان الله ثلاثة قوة مثل قوتنا ، لانهم ما قدروا ان يعملوا الذي عملناه . ونحن المعتقدون بوحدانية الله ، ونعرف انه العزيز القادر القوى القاهر المدبر الكاينات ، المحيط علمه بالسماويات والارضيات ،

(١) جبل في الوجه البحري ، بين القاهرة ومحافظة البحيرة .

(٢) اقليم البحيرة : محافظة البحيرة ، وعاصمتها دمنهور ، في الوجه البحري ، شمال مصر .

(٣) لاننا نريد .

(٤) والاقتصاص من .

(٥) العشم : الطمع .

(٦) يقصد بذلك الديانة المسيحية التي تؤمن بالتثليث : الأب ، والابن ، والروح القدس ، محاولاً ، بقوله هذا ، التقرب من المسلمين ، موهما اياهم انه اشهر اسلامه ، كما طهر من مختلف خطاباته للمسلمين في مصر .

(٧) الواضح انها بمعنى : لم يهب (من وهب) وقد ترجمها اينيه (Ainè, op. cit. P. 139) بهذا المعنى .

والقيام بأمور المخلوقات. هذا ما في الايات وبالكتب المنزلات. ونخبركم بالمسلمين إن كانوا صحتهم يكونوا من المغضوبين لمخالفتهم لوصية النبي عليه افضل السلام، بسبب اتفاقهم مع الخارجين الكفرة اللثام. لان اعداء الاسلام لا ينصرون الاسلام. ويا ويل لمن كانت نصرته في اعداء الله. يكون المنتصر كافراً [أ] أو يكون مسلماً^(١)، فهؤلاء ساقهم التقدير الى الهلاك والتدمير. وكيف المسلم^(٢) ان ينزل في مركب تحت بيراق^(٣) الصليب، ويسمع في حق الله الواحد الاحد الفرد الصمد، من الكفار كل يوم، كلام تجديف واحتقار. ولا شك ان هذا المسلم في هذا الحال اقبح من الكافر الاصل في الضلال.

منكم يا اهل الديوان ان تجربوا بهذا الخبر جميع القرايا والبلدان، لاجل ان يمتنع اهل الفساد من الفتنة بين الرعية، في سائر الاقاليم المصرية. لان البلد الذي يحصل فيها الشر يحصل لهم الضرر والقصاص. وانصحوهم بحفظ انفسهم من الهلاك، خوفاً عليهم ان نفعل فيهم مثلما فعلنا في اهل دمنهور وغيره من البلاء والشرور، بسبب سلوكهم مسالك القبيحة قاصصناهم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تحريراً في رحمانية يوم الاحد في ١٧ صفر سنة ١٢١٤^(٤) طبع بمطبعة الفرنساوية العربية.

ثم ان امير الجيوش، بعد ان تكامل عنده جيش الفرنساوية، سار من الرحمانية طالب^(٥) قلعة ابوقير، وحرب^(٦) ذلك الجمع الغفير والجيش الكثير. وحين فهم ان متاريسهم منيعة عالية، اخذ يدبر كيفية تملكها بحسن فطنته السامية. فاحضر الجنرال ميراد الذي كان من القوم الشداد وسارى عسكر الخيالة الجياد، وامره ان يهجم اولاً بالخييل، حتى اذا اطلقت الاعداء مدافعها فتصيب الخيل وتسلم الرجال، ثم تهجم طوابير المشاة، من اليمين واليسار، على المتاريس، ويملكوها في الحال. ثم اصطفت الصفوف ودقت البوقات^(٧) والطبول للحرب، [واستعد]^(٨) الفريقان للطعن والضرب. وبرز الجنرال ميراد بالخييل الشداد، وهجم على تلك العساكر بالفرسان الجواسر والليوث الكواسر.

-
- (١) او يكون مسلماً.
 - (٢) وكيف للمسلم.
 - (٣) بيرق = راية.
 - (٤) الموافق ليوم ٢١ تموز / يوليو ١٧٩٩م.
 - (٥) طالباً: اي قاصداً.
 - (٦) وحارب.
 - (٧) الابواق.
 - (٨) حذفت (الف) زائدة في آخر كلمة (واستعد).

فصربت عليهم المدافع من متاريس الاتراك، فصابت^(١) الخيل وتساقطت من على ظهرها الرجال، واكثرهم بلى بالموت والنكال. والذي سلم ما خطر له الموت على بال، بل تقدم للحرب والقتال. وهجمت العساكر المشاة من اليمين والشمال. وعظمت الاهوال وكثر النكال. وذاقت الاسلام حرب^(٢) لم يخطر لهم على بال. واخذهم الخوف والانذهال. وايقنوا بالذل والوبال. وتملكت الفرنساوية المتاريس وابلوهم بالموت والتعكيس. وحاطوا بالاسلام من كل مكان، وابهتوهم بالضرب والطعان، والقطيعه والخذلان.

وحين رأت الاسلام ان ليس [لهم] نجاة، وايسوا من الحياة^(٣)، القوا السلاح طمعاً بسلامة الارواح. وطلبوا الامان واختاروا الاسر والهوان. وصارت الفرنساوية تقبض عليهم باليد وهم في عنا [ء] وكذا. ولم يخلص من تلك القبائل لا فارس ولا راجل. بل اخذتهم الفرنساوية عن اخرهم. فممنهم قتل ومنهم أسر، ومنهم متخن بالجراح. وكثير اجساد بلا ارواح. والذي منهم كان هارب لم يقدر يصل الى المراكب. وهجم احد الصلداة على صيوان^(٤) الوزير مصطفى كوسا باشا وقبض عليه، واراد قتله، فعرفه بنفسه، بعد ان كان ضربه بالسيف وجرحه بيده، فعفى عنه، واحضره الى قدام امير الجيوش، فترحب به، واخرج من جيبه منديل ثمين، وربط يد مصطفى باشا فيه، واجلسه بالقرب منه، واكرمه غاية الاكرام. ثم قبضوا ايضاً على عثمان خواجه، [و] هذا كان متسلم بزمان الغز على مدينة رشيد، ولما حضروا الفرنساوية هرب الى القسطنطينية، وحضر صحبة مصطفى باشا أو حين حضر الى قدام امير الجيوش وفهم امره، امر بحفظه. وكان [أن] دخلت شردمة من عسكر العثماني الى قلعة ابوقير، ومعهم ابن مصطفى باشا، فامر امير الجيوش ان يضربوا عليه الكلل والقناير. وبعد اربعة ايام سلموا بالامان، وقبضوا على ابن مصطفى باشا واحضروه قدام امير الجيوش، فامر ان ياخذوه الى خيمة ابوه بكل اكرام.

وكان امر امير الجيوش الى المجروحين من تلك العساكر ان ينزلوا بثلاث مراكب ويسافروا الى بلادهم، ويخبروا بحالهم وما جرى عليهم وما نالهم. وابقى الاسارى السالمين تحت الاسر المهين. وغنمت الفرنساوية بهولاء العساكر. اذ لم يخلص منهم احد سوى الذين سافروا مجروحين في

(١) فأصابت.

(٢) حرباً.

(٣) ويئسوا من الحياة.

(٤) الصَّوَّان، لغة: الوعاء الذي يسان الشيء فيه. الا ان المؤلف استعمل هذه الكلمة بمعنى. الدبوان او الايوان، وهو معنى شائع.

المراكب . وكانت هذه الواقعة في اربعة وعشرين شهر صفر سنة ١٢١٤^(١) وجمعوا اوليك الاسرى ، وكانوا نحو ثلاثة آلاف الآن ، عدا عن تلك المجاريح الذين من عليهم امير الجيوش بخلاصهم ، وسيرهم الى اعيالهم . وباقي تلك العساكر افنتهم الفرنساوية بالسيف الباتر والرصاص المتواتر . وكان قد المنجرح الجنرال ميراد |Murat| جرحاً بليغاً بجنكه^(٢) من رصاص اصابه ، فاغتاز لاجله امير الجيوش غيظاً عظيماً . وقتل الجنرال تركو |Leturc| مع مقدار ثلثاية صلدات . وحين وقعت النصره على الاسلام ، ارسل امير الجيوش يخبر القيمقام في الذي صار وما وقع من الانتصار ، فعمل في مصر فرحة عظيمة تلتها ايام ، وكتب الى علماء الديوان يخبرهم بهذه البشارة الجليلة الشأن .

صورة مكتوب الجنرال دوكا |Dugua| قيمقام امير الجيوش

من حضرة سارى عسكر الجنرال دوكا ، قيمقام امير الجيوش بمصر حالاً ، الى الاسلام وكافة ارباب الديوان .

بعد السلام عليكم وكثرة الاشواق اليكم ، لا يخفاكم انه وصلني خبر صحيح بان العساكر الفرنساوية ملكت قلعة ابوقير فى ١٥ شهر ترميدور الموافق الى شهر صفر سنة ١٢١٤^(٣) . وأنهم استاسروا فيها تلتة الاف نفر ، ومن الجملة مصطفى باشا . وغاية ما وقع ان العمارة التي نزلت فى ابوقير كانت بها عساكر خمسة عشر الف لم يخلص منهم احد ، بل الكل تلاشوا وهلكوا . ثم اخبركم ، عن لسان حضرة السارى عسكر الكبير بونايرته ، انكم ، في الحال ، تُظهرون هذا الخبر بين الخاص والعام ، وتشهروه في الاقاليم المصرية . فانه خبر فيه سرور وفرح . والزمكم انكم تعرفوني ، في الحال ، عن اشهار هذا الخبر الفاخر المعتر . واخبركم ان حضرة السارى عسكر الكبير بونايرته يحضر اليكم عن قريب . والله تعالى يحفظكم . والسلام ختام .

تحريراً في ٢٢ شهر ترميدور سنة السابعة لمشيخة

الفرنساوية الموافقة إلى ٢ ربيع الاول سنة ١٢١٤^(٤)

طبع بمطبعة الفرنساوية العربية بمصر حالاً

(١) الموافق ليوم ٢٨ تموز / يوليو ١٧٩٩ . الا ان الجبرتي (المصدر السابق ، ج ٢ : ٢٩٩) يذكر ان واقعة ابوقير جرت ليلة الاربعاء في ٢٠ صفر ١٢١٤ هـ . (الموافق لـ ٢٤ تموز ١٧٩٩) . ونحن نرجح ما ذكره الجبرتي .

(٢) بفكة .

(٣) بذكر الجبرني (م . ن . ص . ن .) ان الفرنسيين استولوا على قلعة ابوقير ليلة الاربعاء في ٢٠ صفر ، اي ليلة الواقعة نفسها .

(٤) الموافق ليوم ٤ آب / اغسطس ١٧٩٩ م .

وامّا امير الجيوش بونا برته ، [فقد] نهض بالجيوش من اراضي ابوقير الى الرحمانية ، وارسل عثمان خواجا الى بندر رشيد ، وامر بقتله هناك . وحين تواردت الاخبار الى القاهرة بما جرى على العساكر العثمانية ، فنزل على مسلمين مصر البلية ، وخابت منهم تلك الاملية ^(١) . وحزنوا حزناً عظيماً ، [إذ] ^(٢) كان في املهم ان تملك الاسلام تلك الاقاليم . وفي خامس شهر ربيع اول ^(٣) . حضر امير الجيوش الى مصر ، ودخل بالعز والنصر . وبلت اعداؤه بالذل والقهر . وصحبته مصطفى باشا وولده ماسورين مع جملة الاسارى . وفي ثاني يوم من وصوله ، حضرت لعنده جميع الحكام والعلماء والاعيان وارباب الديوان ، وهنّوه بقدمه وانتصاره فنظر اليهم بعين فراسته واعتباره ، وقد وجدهم في حزن عظيم . وقد بلغه الهرج الذي حدث بغيابه ، وعزمهم عليه في انقلابه ، والكتابات التي اتت اليهم من مصطفى باشا وعثمان خواجا حين حضروا الى ابوقير ، فقال لهم : قد اخذ في منكم العجب ايها العلماء والسادات ، اذ اني اراكم تغتمون وتحزنون من انتصارى . حتى الان ما عرفتكم مفدارى . وقد خاطبتكم مراراً عديدة ، واخبرتكم باقوال باننى انا مسلم موحد ، واعظم النبي محمد [آ] واود المسلمين . وانتم الى الان غير مصدقين . وقد ظننت ان خطايي هذا اليكم خشية منكم ، مع انكم شاهدتم باعينكم وسمعتهم باذنكم قوة بطشي واقتدارى ، وحققت فتوحاتي وانتصارى . فقولي لكم اني احب النبي محمد [آ] وذلك لانه بطل مثلى ، وظهوره مثل ظهورى ، بل وانا اعظم منه ، اذ اننى غزوت اكثر منه . واما لى باقى غزوات غزيرة وانتصارات كثيرة ، سوف تسمعونها باذانكم وتشاهدونها باعيانكم . فلو كنتم عرفتموني لكنتم عبدتموني . وسوف ياتيكم زمان به تذّلون ، وعلى ما فعلتم تندمون ، وعلى ايامنا تتحسرون وتبكون . فانا قد بغضت النصارى ولاشيت ^(٤) ديانتهم ، وهدمت معابدهم وقتلت كهنتهم ، وكسرت صلبانهم ورفضت ايمانهم . ومع ذلك اراهم يفرحون وفرحى ويجزون لحزنى . فهل تريدون ان ارجع نصرانياً ثانياً [٢] فاذا رجعت فلا ترون في رجوعى فائدة . فدعوا عنكم هذه الاحوال ، واقتبلوا لامر الله المتعال ، وكونوا فارحين مطمئنين ليحصل لكم النجاح والصلاح . وقد نهتكم مراراً عديدة ، ونصحتكم نصايح مفيدة . فان كنتم تعرفوها وتذكروها فترجّحوا وتنحّحوا ، وان كنتم رفضتوها تحسرون وتندمون .

ثم انصرف العلماء وهم منذهلين من هذا الخطاب ، ومتعجبين كل الاعجاب . ولم يقدر أحد [أن]

(١) اي خابت آمالهم .

(٢) وردت في الاصل (اذا) فاقتضى التصحيح .

(٣) سنة ١٢١٤هـ . الموافق ليوم ٧ آب / اغسطس ١٧٩٩م . (يبدأ شهر ربيع الاول عام ١٢١٤هـ . يوم السبت الواقع في ٣ آب / اغسطس ١٧٩٩م) .

(٤) أنهيت .

يردّ له جواب . واسكن مصطفى باشا وولده وبعض اتباعه في مسكن عظيم ، وعيّن لهم المصاريف التي تلزم اليهم . وابتدا يكتب الدولة العثمانية عن يد مصطفى باشا ، ويذكرهم صداقة الفرنسيين القديمة ، واتّحادهم مع الدولة العثمانية من اعوام عديدة وَاَيّام مديدة . ويحرّصهم^(١) من باقى الدول الافرنجية ، وان الاوفق لهم اقامة الفرنسيّة في مصر ، وانهم انسب من الغزّ ، ويعاهدوا ان يكونوا طايعين والى اوامر الدولة سامعين ، وتبقى الخطبة والسكّة^(٢) كما هي باسم الدولة العثمانية ، ويمشي الحج كعادته القديمة ، ويدفعوا الاموال المعتادة للخزينة . وارسل مصطفى باشا هذا الخطاب مع احد اتباعه . وابتدا امير الجيوش يدبّر له امر النفوذ الى مدينة باريز ، لان التهب فواده من تملّك الانكليز . وقد ذكرنا ان امير الجيوش بونا برته قد ارسل عثمان خواجه الى مدينة رشيد ، وعندما وصل القوه فى السجن ، وارسل الجنرال الموجود في رشيد احضر عدّة شهود اسلام ، واستشهدهم قدام الديوان الخصوصي . فشهدوا له قدام القاضي والمفتي ان عثمان خواجه ، في ايام مراد بيك ، كان رجل ظالم ، وهو الان مستوجب الموت . واخرج فتوى من جميع الاعيان ، وامر ان يطوفوا به المدينة ويقتلوه . وارسل الفتوى الى جميع الاقاليم المصرية ليعلمهم بقتله .

وهذه هي صورة الفتوى ، حكم الشرع الشريف ، الذى صدر من محكمة رشيد ، دام جلالها ، على عثمان خواجه . خطاباً الى حضرة الجنرال الحاكم فى البلد المذكورة ، مؤرخ باربعة وعشرين من شهر ترميدور . سنة السبعة من اقامة الجمهور الفرنسي ، يعنى فى الثامن من ربيع الاول سنة ١٢١٤^(٣) .

وصلنا مكاتيبكم بالامر اننا نستخير ونكشف عن جميع الاعمال التي حدثت من طرف عثمان خواجه كرولى ، وننظر ان كان حصل منه الشرّ اكثر من الخير . وبموجب هذا الامر ، بحضور حضرة سيدنا شيخ الاسلام العالم المتورع الشريف احمد الخضارى مفتى حنفى ، ونقيب الاشراف المكرّم المحترم الشريف بدوى ، وقدوة الاعيان الحاج احمد اغا السلحدار ، والمكرّم على شاوش كتحدا ، وقدوة التجار احمد شحال ، والمكرّم سليم اغا ، والمكرّم ابراهيم الجبال ، والشريف على الجمانى ، والشيخ مصطفى طاهر ، والشريف ابراهيم ، سعيد ، والمكرّم محمد القادم ، والحاجى باشى سليمان ، وبحضور جماعة المسلمين خلاف المذكورين اعلاه . ثم حضر رمضان حمودى ، ومصطفى الجبار ، واحمد شاوش ، وعبد الله والحاج حسن ابو جوده ، والحاج بدوى المقرالى ، وعلى ابو زراى ، وبدوى دياب ، وحسن عرب . وثبت ، من اقرارهم ومن شهاداتهم ، ان عثمان الخواجه

(١) يحذرهم .

(٢) صك العملة ، او سكّها = ضربها . والسكّي : الدينار .

(٣) الموافق ليوم ١٠ آب / اغسطس ١٧٩٩ م .

المذكور كان ظلمهم ظلماً شديداً بالضرب والحبس من دون حق، ونهب املاكهم. وخلاف ذلك سئل، من جماعة المسلمين الحاضرين في المجلس، إن كان حصل من طرف عثمان خواجا الشرّ اكثر من الخير، فكلّهم قالوا بلسان واحد: ان حصل من طرف عثمان خواجا الشرّ اكثر من الخير. وبسبب ذلك انقطع راس عثمان خواجا حاكم رشيد سابقاً. مطابق لاصله ومعناه باسم حاكم رشيد الان.

طبع بمطبعة الفرنساوية العربية بمصر المحروسة

[ذكر مغادرة بونا برت مصر خلصة الى باريس]

ومن بعد حضور امير الجيوش الى مصر في ١٢ ربيع الاول^(١) صنع مولد النبيّ حسب السنة الماضية، وعمل محفلاً عظيماً، واحضر مصطفى باشا وجميع العلماء والاعيان، وصنع وليمة عظيمة لها قدر وقيمة. واحضر الات الطرب والموسيقى. ثم، بعد اربعة ايام، ركب بعسكره الخاص، واطهر انه يريد [ان] يدور على الاقاليم المصرية، لاجل تطمين الرعية. واخذ معه الجنرال اسكندر، وتلّهاية من العسكر، والجنرال ميراد. وقصد مدينة منوف^(٢). ومن هناك انتقل الى الاسكندرية. وبعد ايام وجيزة، دبر امر السفر، وهيا له ثلاثة مراكب. وارسل لهم، ليلاً، عدّة صناديق مملوءة الجواهر^(٣) الثمينة والاسلحة العظيمة، والامتعة والقماش، والامور التي كان اكتسبها، وعدّة من الممالك^(٤) الصغار كان استخدمهم عنده، وزخرف اطواقهم^(٥) وكساءهم. وبعد ذلك التدبير، صنع وليمة عظيمة الى الجنرال سميت سرعسكر الانكليز. وكان، حين ارتفع الحصار عن الجزائر، توجه بمراكبه الى تجاه الاسكندرية. ومن عادة الافرنج ان، في الايام التي لم يكن فيها حروب، فليس فيه امتناع عن بعضهم بعض. وحين حضر الجنرال سميت ساري عسكر الانكليز، وقدم له امير الجيوش غاية الاكرام، واعطاه هدياً جزيلة الثمن، ثم طلب منه بان ياذن له ان يرسل ثلاثة مراكب صغار الى بلاد فرنسا^(٦)، فاذن له بذلك. وبعد رجوع ساري عسكر الانكليز الى مراكبه في تلك الليلة، نزل بونا برت في تلك المراكب بمن معه من الرجال، وخرج من البوغاظ بريح عاصف. وفي ثاني الايام بلغ خير مسيره الى الجنرال سميت، فعظم عليه ذلك الامر، واقلع بمراكبه في طلبه، فلم يجد له خبر [آ] ولا

(١) سنة ١٢١٤ هـ. الموافق ليوم ١٤ آب / اغسطس ١٧٩٩ م.

(٢) بلدة المنوفية.

(٣) بالجواهر، وقد وردت في نسخة الشهابي (ص ٢٨٠): من الحواهر.

(٤) الممالك، وقد وردت كذلك (الممالك) في نسخة الشهابي (ص. ن.).

(٥) مفردها (طوق) وهو ما يلبس حول العنق.

(٦) كان الاسطول البريطاني في مياه البحر المتوسط، لذا، كان لا بد من الاتفاق مع الانكليز، لكي يتمكن بونا برت من ارسال سفنه من مصر الى فرنسا عبر هذا البحر.

رأى له اثر . ونجى منهم بحسن خبرته ومزيد فطنته وسمو حكمته . وقد استغنم الفرص وفرّ منهم كما يفرّ العصفور من القفص . وبقوة المولى العزيز نجى من أعدائه الانكليز ، ووصل الى مدينة باريز ، وخلص حاله بتدبير ذلك الامر . وكان نفوذه من عجائب الدهر . واستغرب اهل ذلك العصر . وقالت الناس ما ذلك إلا من غرائب الامور ، ودليل على سعده المقدور . وكانت اقامته في الديار المصرية اربعة عشر شهرا .

[ذكر تكليف الجنرال كليبر قيادة الجيش الفرنسي بمصر]

وكان ، قبل نزوله في المراكب ، كتب الى الجنرال كليبر يعلمه بذلك التدبير ، ويوعده ان يرسل له الاسعاف والامداد ، بعد وصوله لتلك البلاد . وانه يكون قائم عوضه امير الجيوش . وكان وقتئذ في مدينة دمياط . وكتب ايضاً الى الجنرال دوكا القيمقام انه يكون كما كان من ذلك الاهتمام . وان يعلم اهل الديوان ليزعوا الاعلام على الرعية بكل البلدان ، ويكونوا كما كانوا بامان واطمينان . وكتب ايضاً الى جميع الجزالية يعرفهم بذهابه ، وكيف يتدبرون بعد غيابه . ويوصيهم بحفظ البلاد والسلوك مع العباد ، ويوعدهم بالاسعاف والامداد ، وانه قريباً يرجع اليهم بالعساكر الشداد والابطال الجياد . وجعل لهم الى رجوعه ميعاد ، وهي اربعة اشهر تمام . واذا ابطىء ^(١) عليهم بعد تلك الايام ، فلهم الاذن ان يسلموا المملكة للاسلام بالصلح ، ويجعلوا الاتفاق عن يد الانكليز ، ويذهبوا الى مدينة باريز .

وعندما شاعت الاخبار في تلك الديار والاقطار المصرية عن ذهاب امير الجيوش ، فرحت اهل مصر ، فحزنت فرنساوية [وامر] ^(٢) الجنرال دوكا اصحاب الديوان ان يكتبوا الى ساير البلدان ويخبروهم بذلك الشأن .

صورة الكتابات

من محفل الديوان الخصوصي ، خطاباً الى ساير الاقطار المصرية ، من الاقاليم جهة القبليّة والبحرّة ، وكامل الرعايا وفقهم الله .

نخبركم انه حضر الى الديوان مكتوب من حضرة الجنرال دوكا القيمقام ، بان سارى عسكر بونابرنه الكبير ، امير الجيوش فرنساوية ، توجه الى البلاد فرنساوية ، لاجل حصول الراحة

(١) أبطأ: تأخر .

(٢) وردت في الاصل (وأما) ، والصواب = وأمر . وقد وردت كذلك (وأمر) في نسخة الشهابي (ص ٢٨١) .

الكاملة الى الاقطار المصرية. وانه كان حضر له استعجال من الجمهور في بلاده لطول غيابه. واخبرنا السارى عسكر دوكا بان السر عسكر الكبير، قبل غيابه، اقام عوضه رجلاً كاملاً عاقلاً، فيه شفقة ورحمة عامة على الرعية، جعله اميراً على الجيوش الفرنساوية. واخبرنا القيمقام اننا نكون في غاية الامان والاطمئنان على ديننا ومتاجرنا واموالنا واسباب معاشنا، كما كنا في زمان حضرة السر عسكر الكبير بونا برته. فتنصحكم يا ايها الرعايا لا تطيعوا اهل الفساد، واتركوا الفتن والعناد، وامثلوا امر خالق العباد. والسلام عليكم ختام.

الفقير عبد الله الشرقاوى

رئيس الديوان

الفقير مصطفى الصاوى

الشافعى

الفقير السيد احمد

المحروقى

الفقير يوسف باش شاوش

تفنگجيان

الفقير يوسف

فرحات

الفقير لومار^(١)

الفقير ذو الفقار كتحدا

كوميسار الاسلام

الفقير السيد خليل البكرى

نقيب الاشراف

الفقير محمد المهدي

كاتم سر الديوان

الفقير سليمان الفيومى

المالكي

الفقير على كتحدا مجرلى

باش اختيار

الفقير لطف الله

المصرى

الفقير جبران

سكروج

الفقير بودوف^(٢)

نظر وعلم وكيل الفرنساوية جلوتيه^(٣).

طبع بمطبعة الفرنساوية العربية بمصر المحروسة

ثم حضر الجنرال كليبر من دمياط الى بولاق، والتقاء القيمقام الجنرال دوكا وشيخ البلد الجنرال دوسطين. ودخل الى مصر بالعز والنصر. ونزل الى منزل امير الجيوش وهو بيت محمد بيك الالفى الكاين على بركة اليزبكية. وفي ثانى الايام حضر اليه ساير الجنرالية والحكام الفرنساوية

(١) لومار Lomar .

(٢) بوديف Bodeuf .

(٣) المفوض الفرنسي (دجيلوتيه Djéloutié) .

والكومييسارية والفسياالية^(١) وهنّوه بقدموه وإمرته. وحضر علماء الديوان والاغوات والوالى والمحتسب والتجار والاعيان وهنّوه بقدموه، فالتقاهم بوجه باش، وأمنهم وطمّنتهم وأمرهم يطمّنوا الرعية. فشمّلهم الاندهاش من هيئته والانذهال من صولته، اذ كان هذا المقدم اسداً درغام، ذا قوام واعتدال، مهاباً بالرجال، حسناً بالجمال، له صورة ترعش الكبود^(٢) وترعب الاسود. فنزلوا من امامه وهم في خشية من كلامه. وبعد ذلك حضر مصطفى باشا وولده وهنّوه بقدموه، فالتقاهم واکرمهم وجلس امير الجيوش كليبر على تخت^(٣) القاهرة. وكان من القوم الجبابرة. وفحص الكتابات التى ابقاها له بونابارته، وأطلع على جميع الارتشاد^(٤) الذى ارشده به، وفهم الكتابات التى توجهت الى الدولة العثمانية على يد مصطفى باشا. فابتدا امير الجيوش كليبر يتداول مع مصطفى باشا بامر الصلح.

وكان قد انتشر الخبر في خروج صدر الاعظم يوسف باشا ضيا المعدنى من مدينة قسطنطينية، بالعساكر الهمايونية، لاستخلاص المملكة المصرية من يد فرنساوية. فوصلت الكتابات للامير كليبر من الصدر الاعظم عن يد مصطفى باشا كوسا، وكان خروج وزير الختام^(٥) من القسطنطينية فى شهر ربيع الاول سنة ١٢١٤^(٦). وقد استكنت^(٧) حركة مملكة مصر فى تملك هذا الامير، وكان هو يحجب الهدو والسكون، وعدم مقاتلة الناس. ويميل الى التنعم والتعظم. وكانت الات الموسيقة تضرب امامه بكرة ومساءً. وكان جولانه قليلاً، وسقطت رعبته^(٨) فى قلوب المملكة. وابقى هذا الامير جميع ما كان نظمه بونابارته فى الديار المصرية، من دون تغيير ولا بديل.

وفي ايام جبر النيل، خرج امير الجيوش بمحفل عظيم مع ساير الجنود وقطان^(٩) القاهرة. وكانت

(١) سبق وذكرنا انها من كلمة «Vassai» بالفرنسية، أي «التابع» (وهو لقب اطلق في عهود الاقطاع على الاشخاص المرتبطين بالسيد او الاقطاعي). وقد ترجمها اينيه (Ainü, op. cit. P. 154) بالموظفين المدنيين. وربما تكون من كلمة «Officers» اي صباط، كما سبق ان ترجمها «اينيه» نفسه في مكان آخر (Ybid. P. 16). وربما تكون من كلمة «Officiels» اي: الرسميون.

(٢) الاكباد.

(٣) ترجمها اينيه (Ybid) : على عرش القاهرة، والمقصود : على كرسي الحكم في القاهرة.

(٤) الارشادات.

(٥) وزير الاختام، وهو الصدر الاعظم يوسف باشا ضيا.

(٦) الموافق لشهر آب / اغسطس ١٧٩٩م.

(٧) اسنكانت.

(٨) بمعنى : اشتدت رهبته.

(٩) مفردها : قاطن. وقطان القاهرة = ساكنوها والمقيمون فيها.

أيام ظاهرة وافراح وافرة ومواكب فاخرة وأمن عظيم وأنس جسيم^(١). وضرب في تلك الوقت مدافع ليس لها عدد. وبعد حضور الأمير كليبر من دمياط أقام مقامه حاكماً، الجنرال ورديه^(٢). ففي هذه المدة، حضر نحو خمسين مركب من مراكب الدولة العثمانية إلى ثغر دمياط مشحونة بالعساكر. وبعض مراكب من مراكب الإنكليز المقيمين على البواغيط. وكانت هذه المراكب المذكورة هي التي أتت إلى بوغاز الإسكندرية صحبة مصطفى باشا كوسا وعساكره. ولما طلعت العساكر إلى برّ أبوقير، وحصل لهم ذلك الانكسار والتدمير، فاقلعت المراكب في البحر، ورجعت جُهزت جانب^(٣) من العسكر، وحضرت إلى بوغاز دمياط. وعند وصولهم، أخرجوا العساكر من المراكب ليلاً إلى العزبة. فبلغ الجنرال ورديه بأن عساكر المسلمين خرجت على البرّ وبنوا المتاريس، فنهض الجنرال المذكور وصار إلى العزبة بخمسمائة صلدات. وقبل شروق الشمس أقبل عليهم، وقسم عساكره ثلاثة أقسام، وهجم على عساكر الاسلام. وثارت نيران الحرب والقتال، وازدحت الرجال والابطال، وحى الضرب والطعان. وما مكثوا إلا برهةً من الزمان، حتى ذاقوا الموت اشكالاً والوان. فارموا سلاحهم وطلبوا الامان. واكثرهم القوا انفسهم في البحر، خوفاً من الموت والقهر والذلّ والأسر. فمنهم من صعد إلى المراكب، ومنهم من مات غريق. وكانوا ثلاثة الاف، فأسروا منهم ثمانمائة بلاخلاف. ورجع الجنرال ورديه إلى دمياط بالعزّ والنشاط، وصنع شكاً عظيماً لاجل ذلك الانتصار، وافتخر اعظم افتخار. وكان قد قبضوا على مقدّم ذلك العسكر وهو الزرناجي^(٤) باشي، وكان مجروحاً جرحاً بليغاً. واحضر له الجنرال ورديه الحكماء وامرهم بمداواته. واخبر امير الجيوش الامير كليبر بذلك الانتصار على ذلك العسكر، فلامه على عجلته عليهم بسرعة القدوم اليهم، وانه كان واجب امهال^(٥) إلى حين تخرج الجميع من المراكب، ويبلّهم بالهلاك والمعاطب. ثم من بعد اربعة ايام، مات الزرناجي باشي من ذلك الجرح الاليم والقهر العظيم، فامر الجنرال ورديه ان يصنعوا له ميتاً^(٦) عظيماً واحتفالاً فخياً كعادة رؤساء العساكر. واحضر علماء المدينة وسائر الاعيان، وقواد العساكر وارباب الديوان، وامرهم يمشون قدّام نعشه وبندقهم^(٧) منكسة. والبس الخيل الحلل الأسود، ودفنه باكبر الجوامع وافخر المواضع.

(١) وكانت (تلك الايام) ايّاماً مشهودة وافراحاً كثيرة ومواكب فاخرة وأمن عظيم وأنساً كبيراً.

(٢) الجنرال فردييه Verdier.

(٣) جانباً من: قسماً من.

(٤) وردت في نسخة الشهابي (الدرناجي باشي).

(٥) كان يجب امهالهم.

(٦) مأتماً.

(٧) بنادقهم.

وفى آخر شهر ربيع الاول سنة ١٢١٤^(١)، قدم الوزير الاعظم والدستور الافخم الى اراضى الشام بالعز والانعام، بالعساكر الكثير والجيش الغزيرة. وارتجت لقدمه الاقطار، وخشيت سطوته الكبار والصغار. وكان وزيراً عادلاً عاقلاً فاضلاً، وعن امور الشريعة مناضلاً. ببعض الظلم والعدوان، ويجب العدل والامان. فامتلات الارض من العساكر والعشائر، والجيش والدساكر^(٢). وبادرت الى حكمته الامراء والحكام، والخاص والعام، واصحاب المقاطعات والاقاليم بالنحية والتسليم. وقدّموا له الهديا الفخيمة والذخاير العظيمة. ثم انتقل الى غزّة بالاكرام والعزّة، وصحبته الجيوش العظام، والباشاوات الفخام، والغزّ المصريين الذين كانوا من الافرنج هاربين، وعن ديارهم مطرودين. ونشر العدل والامان فى جميع القرايا والبلدان. وطمن الرعية. وان يكونوا في غاية الحماية^(٣)، حسب الخطوط الشريفة العثمانية والهبات السلطانية. وكان قد طلب الجزار الى المسير اليه بعساكره القويّة، فاعتذر عن الحضور، وتباين بالعصاوة والنفور، وامتنع عن تقديم الذخاير وارسال العساكر، وخالف الامر الشريف الفاخر. وبعد وصول الصدر الاعظم الى غزّة، ابتدأت المراسلات من امير الجيوش الفرنساوية بالصلح والاتفاق، ورفع الشرّ والنفاق. وكان متعاطى تلك الامور مصطفى باشا كوسا، الماسور الذى ذكره تقدم وسبق، وسنذكر ان شاء الله كلما تمّ واتفق.

[ذكر المفاوضات لجلاء الفرنسيين عن مصر]

وكنا قد ترحنا ان امير الجيوش الامير كليبر قد تدبّر، حسب ارشاد سالفه بونابارته، بالمراسلات عن يد مصطفى باشا، باقامة الفرنساوية بمصر حسباً قدّمنا. وابت الدولة العثمانية [^(٤)] ذلك، وقدم الوزير الاعظم عقد الصلح بشروط حقيقية وعهودات ملوكية، وان يسلم مملكة مصر المحمية، ويخرج بالعساكر الفرنساوية على حية^(٥). وحين تحقق امير الجيوش عدم قبول الدولة العثمانية الى اقامتهم بالديار المصرية، اجاب الى اذهابهم^(٦) بشروط امينة وعهود متينة. وارسل

(١) الموافق للاول من ايلول / سبتمبر ١٧٩٩م.

(٢) الدساكر: القوى، وتأتي هنا بمعنى: اهالي الدساكر.

(٣) الحماية.

(٤) وردت في الاصل: «وابت الدولة العثمانية عن ذلك»، وترجمها اينيه (Ainé, op. cit. P.159) «لم توافق الدولة العثمانية على ذلك اطلاقاً»، مما يؤكد المعنى الوارد في النسخة التي بين ايدينا. اما في نسخة الشهابي (ص ٢٨٥) فقد وردت العبارة بمعنى آخر، اذ جاء فيها: «واذ آبت الدولة عن ذلك»، اي رجعت عنه، مما يوحي بأن كانت هناك موافقة من الدولة العثمانية على بقاء الفرنسيين في مصر، وهو ما نستبعده. لذلك، فقد اعتمدنا ما ورد في النسخة التي بين ايدينا، واثّرنا حذف (عن) الزائدة.

(٥) اي ان يخرج الفرنسيون من مصر بأمان.

(٦) ذهابهم.

احضر الجنرال ديزه Desaix من الصعيد ، وكان هذا سامياً في المقام ، صاحب عقل وتدبير ، ومقام خطير . واحضر غيره من الجنرالات الكبار . وعقد ديوان^(١) وقصّ لهم الخبر ، فنظر ان الاكثر لهم ميل الى السفر ، لعدم الامداد وكثرة الاخصام والاضطهاد . وقد خلص [ا] لميعاد الذي وعد به بونا بارت^(٢) . وحضر [ت] كتابات من الوزير ، تهديد وتوعيد بالوبال والدمار ، ان لم يخرجوا من تلك الديار . ويدهمهم بالرجال والابطال كالرمال ، والسييل اذا سال ، بفرسان جبابرة وسيوف باترة . وان يسلموا البلاد ويرجوا دما [ء] هم ودما [ء] العباد . وان لم يسمعوا نصيحته ولا يخشوا سطوته ، فيحلّ بهم العدم ، ويندموا حيث لا ينفع الندم . فردّ عليه الامير كليبر الجواب : اما قولك ان عساكر مثل نجوم السماء فهذا حقيق معلوم ، الا انها بعيدة عن طاعتك كبعد الارض عن النجوم . واما قولك انها كالرمال هذا ليس فيه محال ، فهم كثيرون في العدد قليلون على الصبر والجلد . وقلوبهم اصغر من حبة الرمل ، وقوتهم اضعف من قوة النمل . واما عساكرنا الشداد ، فهي قليلة التعداد ، ولكنها قوية البطش في الجلال ، قريبة الينا ودائماً طوّع لدينا . فان دفعناها الى الموت تندفع ، وان ردنا رجوعها ترتجع ، وان منعناها تمتنع . ونحن في كل دقيقة من الزمان ، مستعدّين للحرب والطعان ، وقهر الفرسان والشجعان ، وقبول ما يقدر علينا العزيز الرحمان .

واستمرت الامور على هذا المنوال ، والخوف منقسم بين الفريقين على كلّ حال . فلهذا جعل كل من الفريقين وسائط الى الصلح والاصطلاح ، وعدم النزاع والكفاح ، وحقن دم العباد وعدم خراب البلاد . وكان وسيط بذلك مصطفى باشا كوسا ، ما بين الامير كليبر وبين الوزير . ثم تقدّم الى التوسط الجنرال سميت سرعسكر الانكليز القايم في البحر ورابط البواغيظ . وانعقد الاتفاق على ارسال شخصين من طرف الوزير الاعظم ، وشخصين من طرف الامير كليبر ، ان يتقابلا في حدود العريش . وهناك تتواقع المفاوضات والمداولات ، وتوضح الفرنساوية شروطها وربوطاتها^(٣) . ثم توجه من طرف الوزير الاعظم مصطفى افندي الدفتردار ومصطفى افندي رئيس الديوان . وتوجه من طرف امير الجيوش الامير كليبر الجنرال ديزه والكوميسار بوسلنج Poussielgue . وتقابلا الفريقان باراضى العريش ، وابتدأت المداولة بين هولاء الاربعة اشخاص ، وقدمت الفرنساوية شروطها ، وقدمت العثمانى ربوطها . وكلّ من الفريقين يكتب ما يتوقع الى والي امره ويستنظر الجواب . والوزير في ارض غزة

(١) وعقد ديوانا : اي عقد مجلسا .

(٢) اي انه انقضى موعد عودة بونا بارت الى مصر .

(٣) بمعنى الشروط ايضا ، او ما يرتبط به فريق تجاه آخر .

[ذكر عملية قلعة العريش]

وكان حينئذٍ ذلك الايراد ، وشاعت اخبار الصلح بين العباد ، تقدمت بعض عساكر الاسلام الى اراضي العريش ، ونصبوا الوطاق قريب^(١) من القلعة . واما عساكر الفرنساوية الذين في القلعة كانوا ثلثماية صلدات ، وسرعسكر الجنرال غزال^(٢) . وبقي البعض من العساكر يتقدمون الى القلعة ، ويخاطبون العساكر الصلدات ويعرفوهم في الصلح الذي توقع فيما بينهم ، وصارت الصلدات الفرنساوية تنزل من القلعة ويختلطون في عساكر الاسلام . ووقع الوداد بين الجنرال غزال وبين مصطفى باشا ارناووط ، فدعا الجنرال المذكور [^(٣)] مصطفى باشا الى القلعة وصنع له وليمة عظيمة .

وحضر الباشا الى القلعة باناس قليلين العدد ، وارشد عساكره ان ، بعد دخوله الى القلعة ، يهجمون هجمة واحدة على الباب ، ويملكون القلعة ويقتلون من بها . وكان داير القلعة خندق ، وامام الباب جسر من خشب . وكانوا الفرنساوية يرفعوه ويضعوه في الحبال . وكان ، من بعد دخول مصطفى باشا من باب القلعة هجمت اوليك العساكر بضجيج عظيم على الباب ، فلم يعد يمكن الفرنساوية ان يرفعوا الجسر عن الخندق ، ودخلت العساكر الى القلعة ، ودار السيف بينهم . وعندما نظرت الفرنساوية هذه الخيانة ، سارع احد الصلدات الى جبخانة البارود والقي فيها النار ، وطلعت الجبخانة والناس متزاحمة ، وطارت تلك العوالم . ويا لها من ساعة كانت مهولة اذ قد احترق بها خلق ما له عدد من العساكر العشائية والصلدات الفرنساوية . وسقط حيط القلعة الى ناحية الباب . ومات مصطفى باشا حريقاً بالنار . ولم يبق من الفرنساوية سوى نحو مائة نفر ، فتراكمت العساكر وقبضوا عليهم .

وحضرت الاخبار الى امير الجيوش كليبر فيما جرى على الفرنساوية الذين في قلعة العريش . فاخذه العجب واشتد به الغضب ، ونبه على العسكر باخذ الأهبة للسفر . واحضر مصطفى باشا كوسا ، واخبره بما جرى وتدبر على عسكره من الموت والضرر . وشرح له غدر الاسلام وخيانتهم وعدم امانتهم . فتصاعب الامر عليه وكبر ذلك لديه ، وقال له : على موجب هذا الاسلوب كيف تامن منا القلوب . فبدا مصطفى باشا يقدم له الاعتذار ويتردد من قلبه النار ، ويدعى جهل عساكرهم وعدم طاعتهم الى اكابرهم . ويلطف له الحادثة ، ويتمناه ان لا يجعل الامور ناكثة . وكان امير الجيوش لم يزل مصيراً على الركوب ومستعداً للحروب .

(١) قريبا ، والوطق : الخيمة ، جمعها : وطاق ، وهي تركية .

(٢) الجنرال غزال Gazai ، احد قادة الحملة الفرنسية على مصر .

(٣) ورد في الاصل (الى) زائدة اثرنا حذفها .

وفى مبادئ شهر شعبان سنة ١٢١٤^(١) ركب من مدينة مصر الى مدينة بلبس بالصالحية بعدة عساكر قوية. وقبل خروجه من الكنانة، احضر العلماء وارباب الديوان وباقي الحكام والاعيان، واوصاهم على الصيانة وعدم الخيانة، ورفع البلايل والقلاقل، وحفظ الديار من القوم الاشرار. ويوعدهم بالدمار والدثار إن كانوا يذكرون عوايدهم السابقة، ويتبعون الرايات^(٢) المنافقة والمشاقة. فتضمنت^(٣) له العلماء والاعيان بهدؤ الرعايا وعدم الافتنان^(٤). وسار من مدينة القاهرة وشرار الغضب في فواده ظاهرة، وتنفسات الصعداء من احشائه طائرة. وعندما وصل الى ارض الصالحية، بدأ يختبر العساكر بفطنته الزكية، فوجد قلوبهم منقسمة ووجوههم غير مبتسمة. ونفوسهم قلقانة ومن النفور ملانة. وقلوبهم الى السفر طمأنة. ومتحسرين من نفور اهل الكنانة. وخاشين من الخيانة. وقد كان اخبره حاكم مدينة بلبس انه طلب الصلوات الى المسير فامتنعوا. ثم اخبروه ايضاً ان الجنرال وردية |Verdier|، حاكم مدينة دمياط، انه دق طبول المسير الى اراضي قطية حسب امر امير الجيوش، فامتنعت الصلوات وابدت التنكير وابت عن المسير. فقلق الجنرال قلقاً عظيماً، اذ كان ذلك ضد عوايد العساكر الفرنسية. ثم بلغه ايضاً، من حاكم مدينة الاسكندرية، ان الصلوات الفرنسية نهضوا على بعض الكوميسارية المسافرين بامر امير الجيوش الى البلاد الافرنجية، ومنعوه عن السفر بالكلية. وقالوا لهم: نحن نظركم بالسوية وبالحرية، ومن المحال ان ندعاكم^(٥) تسيروا بهذه الاموال، ونحن نقاسى الوبال والنكال. إنا اننا نسير سوية، وإنا نمكث سوية. بلغه ايضاً ان احد الجنرالية، وهو جايز^(٦) في اراضي طنطة، مقام السيد البدوي عليه اشرف السلام المشهور في اراضي مصر، خرجت عليه شرذمة من العربان والفلاحين، وكان صحبته ثلاثة الاف صلوات، فلم يرضوا يحاربوهم. وحينما تواردت الاخبار الى امير الجيوش بذلك الديوان، وعلم ذلك الشان، واتضح لديه بان قلوب الفرنسية غير مستوية، فكتم ذلك بستره، وعمل على الصلح والتسليم.

هذا ما كان من الفرنسية. وأما ما كان من صدر الدولة العثمانية، انه كان باذل جهده باخراج الفرنسية من المملكة المصرية، من غير حرب ولا قتال، احتساباً مما يعلمه من بطشهم في الجدل، وقوة باسهم وشدة مراسهم وعدم اكتراثهم. ومخافة على خراب البلاد وهلاك العباد

(١) يبدأ، شهر شعبان عام ١٢١٤ هـ. بتاريخ ٢٩ كانون الاول / ديسمبر ١٧٩٩ م.

(٢) الآراء المنافقة والشقية (الشريرة).

(٣) فصمت.

(٤) الفتنة.

(٥) ندعكم.

(٦) عابر.

وتلاف الاجناد^(١) . فلذلك ما سرّه اخذ قلعة العريش بالسيف ، مما حلّ بعسكره من الحيف ، بذلك الحريق الفظيع والامر المريع . فكان يُريهم الحرب والمصادمة ، ويتهددهم بالاوامر الصارمة . واما قصده ومرامه بان يخرجوا بالسلامة ، وتستخلص دار الكنانة . وكان هذا هو الصواب ، لان الفرنساوية من اصعب القوم الصعاب ، وحربهم مرّ العذاب . وكانوا قد تمكّنوا القلع المكيّنة والحصون المتينة والاقاليم والمدينة . ويعلم بان حروبهم كثيرة ومقاومتهم خطيرة . فلذلك كان يرغب امر الصلح .

وقد كان كلّ من الفريقين مقصوده الامن والنجاح ، والتقريب والأيلاف . وتدبير الامور من غير خلاف . ورفع الخصام وبلوغ المرام . فولجت الوسائط بعقد الرباط ، ورجعوا على ما كانوا عليه من الارتباط ، وتوفيق الشروط وتمكين العقد المربوط . وما زالوا يثبتوا اشياء وينكروا اشياء ، ويقبلوا اشياء ويرفضوا اشياء ، حتى تمتّ المواد وحصل المراد . واتفقت الامور على خروج العسكر الفرنسي من مملكة مصر بالصلح والامان ، وتسليم الديار المصرية لدولة آل عثمان ، على شروط وثيقة وعقود حقيقية . وامضى عليها الامير كليبر ووزيره الجنرال داماس^(٢) ، ثم الجنرال ديزه ، ثم بوسلنج مدبّر الحدود . وامضى عليها الوزير الاعظم ، والدفتردار رشيد ، ومصطفى افندى رئيس الكتاب . وكلّ من الفريقين اخذ نسخة الشروط . وارسل الوزير الصورة إلى الدولة العلية ، وارسل ايضاً الامير كليبر الصورة إلى مدينة باريز إلى المشيخة الفرنسية . وهذه الصورة :

[ذكر شروط الصلح بين فرنسا والباب العالي]

ان الجيش الفرنسي بمصر عندما قصد ان يوضح ما في نفسه من الشوق لحقن الدماء [ء] ورأى نهاية الخصام المضرّ الذي حصل ما بين المشيخة الفرنسية والباب الاعلى ، ارتضى ان يسلم الاقليم المصري بحسب هذه الشروط الاتى ذكرها ، بامل ان في هذا التسليم يمكن ان يتجدد ذلك الصلح العام في بلاد الغرب قاطبة :

الشرط الاول

ان الجيش الفرنسي يلزمه ان يتنحّى بالاسلحة والعزال^(٤) والامتعة إلى الاسكندرية ورشيد

(١) وتلف الجنود .

(٢) الجنرال داماس Damas .

(٣) يذكر (اينيه) انه اخذ النص الفرنسي لهذه الشروط من كتاب (التاريخ العلمي والعسكري لحملة مصر) (Histoire Scientifique et militaire de L'Expédition d'Egypte) ، وانه وجد اخطاء عديدة في النص العربي المثلث بكتاب النرك الذي هو بين ايدينا (Ainé, op. cit. P. 275 Note 15) .

(٤) ترجمها اينيه : أمتعة Bagages (Ainé, Op.cit. P. 167) وهذا هو المرجح .

وابوقير لاجل انه يتوجه وينتقل بالمراكب الى فرانسا ان كان ذلك في مراكبهم الخاص أم في تلك المراكب التي يقتضى للباب العالى ان يقدمها لهم قدر الكفاية ولاجل تجهيز المراكب المذكورة باقرب نوال وقد وقع الاتفاق ان من بعد مضي شهر واحد من تقرير هذه الشروط يتوجه الى قلعة الاسكندرية واحد من الباب العالى وصحبته خمسون نفراً.

الشرط الثاني

لا بدّ عن المهلة وتوقيف الحرب بمدة ثلثة اشهر بالاقاليم المصرية ، وذلك من عهد امضاء شروط هذا الاتفاق. وإذا صادف الامر ان هذه المهلة قد تمت^(١) من قبل ان المراكب الواجب تجهيزها من قبل الباب العالى تحضر مجهزة في المهلة المذكورة ، فيقتضى مطاوتها^(٢) الى ان ينجز الرحيل على التمام والكمال. ولمن الواضح انه لا بدّ عن اصراف^(٣) الوسائط الممكنة من قبل الفريقين ، لكبلا يحصل ما يمكن وقوعه من السجس^(٤). اذ^(٥) كان ذلك الى الجيش ام لاهل البلاد اذا كانت هذه المهلة قد حصل الاتفاق بها لاجل الراحة.

الشرط الثالث

فرحيل الجيش الفرنساوي يقتضى تدبيره بيد الوكلاء المنقامين^(٦) لهذه الغاية من الباب الاعلى^(٧) وسارى عسكر كليبر. واذا حصل خصام ما بين الوكلاء المذكورين بوقت الرحيل ، فمن هذا [الصدد]^(٨) ينتخب من قبل حضرة سميت ، سارى عسكر الانكليز ، رجل ينهى المخاصمات المذكورة بحسب قواعد السياسة البحرية السالكون عليها ببلاد الانكليز.

الشرط الرابع

فقطية والصالحية فلا بدّ عن خلوصهما^(٩) من جيش الفرنساوية في ثامن يوم ، واعظم ما

-
- (١) انتهت .
 - (٢) تمديدها .
 - (٣) استخدام .
 - (٤) السجس : التغير او التكدر او الاضطراب .
 - (٥) اذ : بمعنى إن .
 - (٦) اي المعينين لهذه الغاية .
 - (٧) الباب العالى .
 - (٨) وردت في الاصل (الصدر) والصواب : الصدد : ووردت كذلك (الصدد) في نسخة الشهابي (ص ٢٨٩) .
 - (٩) اي احلاؤهما او التخلي عنهما .

يكون^(١) في عاشر يوم ، من امضاء الشروط والاتفاق . ومدينة المنصورة يكون خلوها^(٢) من بعد خمسة عشر يوم . واما دمياط وبلييس من بعد عشرين يوم . واما السويس فيكون خلوها بستة ايام قبل مدينة مصر^(٣) . واما المحلة الكاينة في الجهة الشرقية من بحر النيل فيكون خلوها في اليوم العاشر . والضليطة^(٤) اي اقليم البحرية فيكون خلوها بخمسة عشر يوم بعد خلو مصر . والجهة الغربية [من النيل]^(٥) لا بد انها تستمر بيد فرنساوية الى ان يكون انحدر العسكر من جهة الصعيد^(٦) فلهذا السبب جهة الغربية وتعلقاتها^(٧) ، كما ذكر ، لا يتيسر خلوها الا من بعد انقضاء وقت المهلة المعينة ، ان لم يمكن قبل الميعاد . والمحلات التي تترك من الجيش تسلم الى الباب الاعلى كما هي حالها الان .

الشرط الخامس

ان مدينة مصر ، ان امكن ذلك ، يكون خلوها باربعين يوماً ، واكثر ما يكون مدة خمسة واربعين يوماً من امضاء الشروط المذكورة .

الشرط السادس

انه لقد وقع الاتفاق صريحاً على ان الباب الاعلى يصرف كل اعتناؤه^(٨) في ان الجيش الفرنسي الموجود في الجهة الغربية من بحر النيل ، عندما يقصد الذهاب بكامل ما له من السلاح والعزال نحو معسكرهم ، لا تصير عليه مشقة ولا احداً يشوش عليه . ان كان ذلك مما يتعلق [بشخص]^(٩) كل واحد منهم ام بامتعتهم باكرامه ، وذلك إما من قبل اهل البلاد ام من جهة العسكر السلطاني العثماني .

الشرط السابع

وحفظاً لاتمام الشروط المذكور اعلاه ، وملاحظة لمنع ما يمكن وقوعه من الخصام والمعاداة . فلا

(١) اي في ابعد تقدير .

(٢) اخلاؤها ، وورد في نسخة الشهابي (ص ٢٨٩) : بعد خمسة ايام .

(٣) اي القاهرة .

(٤) الدلتا .

(٥) هكذا وردت في النص الفرنسي (Aliné, op. cit. P. 169) .

(٦) وردت (مصر العليا) في النص الفرنسي (Ybid) .

(٧) ملحقاتها .

(٨) عنايته وجهده .

(٩) وردت (شخص) في الاصل ، فاقتضى التصحيح .

بدء من استعمال الوسائط في ان عسكر الاسلام^(١) يحون دائماً مبتعداً عن عسكر الفرنساوية.

الشرط الثامن

من بعد تقرير وامضاء هذه الشروط ، فكلّمن كان من الاسلام ام من باقى الطوائف ، من رعايا الباب الاعلى بدون تمييز الاشخاص ، اوليك الواقع عليهم الضبط ام الذين واقع عليهم الترسيم^(٢) ، في بلاد فرانس ا ام تحت امر الفرنساوية بمصر ، يعطى لهم الاطلاق والعتق . وبمثل ذلك كلّ الفرنساويين في كامل البلدان والاساكل^(٣) من مملكة العثمانية ، وكلّ كامل اوليك الاشخاص من اى طايفة كانت . اوليك الذين كانوا في تعلق^(٤) خدمة المراسلات^(٥) والقناصل الفرنساوية لا بدء عن اعتاقهم .

الشرط التاسع

فترجع الاموال والاملاك المتعلقة بسكّان البلاد والرعايا من الفريقين ، ام مبلغ اثمانها ، لاصحابها . فيكون الشرع^(٦) به حالاً من بعد خلوص مصر^(٧) . والتدبير في ذلك يكون بيد الوكلاء في اسلامبول ، المقيمين من الفريقين لهذا القصد .

الشرط العاشر

فلا يحصل التشويش [لاحد]^(٨) من سكّان الاقاليم المصرية من اى ملة كانت ، وذلك فى اشخاصهم ولا فى اموالهم . نظراً الى ما يمكن ما يكون قد حصل من الاتحاد ما بينهم وبين الفرنساوية بزمان اقامتهم بمصر .

-
- (١) وردت (عسكر الاتراك) في النص الفرنسي (Ainè, op. cit. P. 170) وقد درج المؤلف على استعمال كلمة (الاسلام) بدلا من (الاتراك) اينما وردت في نص الوثيقة .
- (٢) الضبط والترسيم : الحفظ بالاكراه ، والحبس .
- (٣) الموانىء (جمع أسكله) .
- (٤) أي الذي كانت أعمالهم تتعلق بخدمة ...
- (٥) وردت (مفوضيات Légations) في النص الفرنسي (Ybid)
- (٦) الحكم .
- (٧) خلوص مصر : اي الجلاء عن مصر .
- (٨) وردت في الاصل (الأحد) فحذفنا الالف الزائدة ، والتشويش : الازعاج .

الشرط الحادى عشر

لا بدّ انه يُعطى للجيش الفرنساوي، ان كان من قبل الباب الاعلى او من قبل المملكتين المرتبطتين معه، اعنى به مملكة الانكليز والمملكة المسكوبية، فرمانات الاذن واوراق المحافظة^(١) بالطريق. ويمتل ذلك السفن اللازمة لرجوع الجيش المذكور بالامن والامان الى بلاد فرانساً.

الشرط الثانى عشر

عد نزول^(٢) الجيش الفرنساوي الكاين بمصر الان، ان الباب الاعلى وباقى الممالك المتحدة معه، يعاهدون باجمعهم انه : من وقت ينزلون بالمراكب الى حين وصولهم الى اراضى فرانساً، لا يحصل عليهم شيء قط من الضرر. فحضرة الجنرال كليبر سارى عسكر العامّ يعاهد من قبله، وصحبته الجيش الفرنساوي الكاين بمصر بانه لا يصدر منهم ما يؤل^(٣) الى المعادة على الاطلاق، ما دامت المدة المذكورة، وذلك لا ضدّ العمارة ولا ضدّ بلدة من بلدان الباب الاعلى وباقى الممالك المرتبطة معه. وكذلك ان السفن التى يسافر بها الجيش المشار اليه ليس لها ان ترسى في حدّ من الحدود الا بتلك التى تختصّ باراضى فرانساً، اذا لم يكن ذلك في حادث ضرورى^(٤).

الشرط الثالث عشر

ونتيجة ما توقع عليه من [الاعمال]^(٥) المشروط اعلاه، بما يلاحظ خلو^(٦) الاقاليم المصرية، والجبهة التى وقع عليها هذا الاشتراط. فقد اتفق على انه، اذا حضر، فى بحر^(٧) هذه المدة المذكورة، مركب من بلاد فرانساً بدون معرفة غلايين^(٨) الممالك المتحدة، ودخل بميناء

(١) الحماية والامان .

(٢) وردت (عند ركوب السفن Lorsque... sera embarquée) فى النص الفرنسى (Ainé, op. cit. P. 171).

(٣) ما يؤول = ما يؤدى .

(٤) اي انها لا ترسو فى مياه غير المياه الفرنسية الا عند الضرورة القصوى .

(٥) وردت فى الاصل، وكذلك فى نسخة الشهابي (ص ٢٩٦): الاهمال، الا اننا نرى، من سياق المعنى، ان الكلمة الصحيحة هي (الاعمال) التى تم الاتفاق عليها وفقاً للشرط اعلاه، لذا، اقتضى التصحيح .

(٦) التخلي، الجلاء عن .

(٧) فى بحر: خلال .

(٨) مفردا غليون، والغليون: كلمة معربة عن الاسبانية Galeon، وهو بالفرنسية Gallion، وبالانكليزية Galeone، وبالايطالية Galeone. وهو نوع من المراكب الشراعية الحربية، اكبر من الغلياطة Gallote او الغليون الصغير. والتسمية الصحيحة للغليون فى العهد العثماني: شونه او شاني، وجمعها: شواني (درويش النخيلى، السفن الاسلامية على حروف المعجم، وجامعة الدول العربية، المعجم العسكري الموحد).

الاسكندرية. فلازم عن سفر^(١) حالاً، وذلك بعد ان يكون تحوَّج بالماء والزوادة^(٢) اللازمة، ويرجع الى فرنسا وذلك بسندات واوراق الاذن من قبل الممالك المتحدة. واذا صادف الامر ان مركباً من هذه المراكب يحتاج الى التوقيع^(٣) فهذا لا غير يباح له بالاقامة الى ان ينتهى اصلاحه. وفى الحال من ثم يتوجّه الى بلاد فرنسا، نظير الذين قد تقدّم القول عنهم، عند اول ربح يوافقه^(٤).

الشرط الرابع عشر

وقد يستطيع حضرة الجنرال كليبر سرعسكر العام ان يرسل خبر^(٥) الى ارباب الحكام الفرنسية في الحال. ومن يصحب^(٦) هذا الخبر لا بد ان [يعطى]^(٧) له اوراق الاذن بالانطلاق. كما يعتنى ليسهل بهذه الوسطة وصول الخبر الى الحاكم بفرنسا.

الشرط الخامس عشر

واذ قد اتّضح ان الجيش الفرنسي يحتاج الى المعاش اليومي، ما دامت الثلاثة اشهر المعينة^(٨) نحو الاقليم المصري، وكذلك لمعاش الثلاثة الاشهر الاخيرة التي يكون مبتداها من اول نزولهم بالمراكب. فقد وقع الاتفاق على انه يقدم له مقدار ما يلزم من القمح واللحم والرزّ والشعير والتبن، وذلك بموجب القائمة التي تقدمت الان من وكلاء الجمهور الفرنسي، ان كان ذلك مما يخصّ اقامتهم او ما يلاحظ سفرهم^(٩). والذي يكون قد اخذه الجيش المذكور مقدار ما كان، وذلك من بعد امضاء^(١٠) الشروط، فينحسم بما قد الزم ذاته بتقدّمه الباب الاعلى^(١١).

-
- (١) اي: يجب ان يسافر.
 - (٢) تحوَّج: تزوّد بحاجته. والزوادة: الزاد.
 - (٣) التصليح.
 - (٤) عند اول ربح يوافقه: اي عندما تمكنه الريح من ذلك.
 - (٥) وردت تسمية (Aviso) في النص الفرنسي، (Ainé, op. cit. P. 172) وهو مركب حربي معدّ لابلاغ الاوامر.
 - (٦) يصطحب، يحمل.
 - (٧) وردت في الاصل (يوطى) فاقتضى التصحيح.
 - (٨) اي المحددة لبقاء الجيش الفرنسي في مصر.
 - (٩) سواء فيما يختص بفترة بقاءه - اي الجيش الفرنسي - في مصر، او بمدة رحلته من مصر الى فرنسا.
 - (١٠) توقيع.
 - (١١) اي ان الجيش الفرنسي سوف يأخذ هذه الكميات (اللازمة لبقائه في مصر ثم لرحلته الى فرنسا) من مخازنه، حيث تحسم، بعد توقيع الاتفاق، من الكمية التي التزم الباب العالي بتقديمها. (انظر النص الفرنسي عند اينيه P. 173 Ainé, op. cit.).

الشرط السادس عشر

تم ان الجيش الفرنسي ، منذ ابتداء وقوع امضاء هذه الشروط المذكورة ، ليس له ان يفرض على البلاد فرصاً^(١) من الفرياض قطعاً بالاقاليم المصرية. وبالعكس فإنه يخلّى^(٢) للباب الاعلى كامل فرض المال وغيره ، مما يكن [توجيه]^(٣) قبضه ، وذلك الى حين سفرهم. ومثل ذلك الجبال والهجن والجبخانة والمدافع ، وغير ذلك مما يتعلق بهم ولا يريدوا ان يحملوه معهم. ونظير ذلك شؤون الغلال الواردة لهم من تحت المرى^(٤) . واخيراً مخازن الخرج^(٥) . فهذه كلّها لا بدّ عن الفحص عنها وتسعيها من الناس ، وكلاء موجهين من قبل الباب الاعلى لهذه الغاية ، ومن الجنرال الانكليز [ي] ، وايضاً من وكلاء المتصرفين بأمر الجنرال كليبر سارى عسكر. وهذه الامتعة لا بدّ عن قبولها من وكلاء المتقدم ذكرهم ، بموجب ما وقع عليه الشرط ، الى حدّ قدر مبلغ ثلاث الاف كيس التي تقتضى^(٦) الى الجيش الفرنسي المذكور ، لسهولة انتقاله عاجلاً ونزوله بالمراكب. وان كانت الاسعار في هذه الامتعة المذكورة لا توازن المبلغ المرقوم اعلاه ، [فان]^(٧) الخس والنقص في ذلك لا بدّ عن دفعه في التام من قبل الباب الاعلى على جهة السلفة^(٨) التي يلتزم بوفائها ارباب الاحكام الفرنسية باوراق التمسكات المدفوعة من الوكلاء المعيّنين من الجنرال كليبر سرعسكر العام لقبض واستيلاء المبلغ المذكور^(٩) .

(١) فرضا وفرياض = ضريبة وصرايب .

(٢) بخلّي = يترك .

(٣) وردت في الاصل (توجيه) وهي غير ذات معنى ، فاقضى التصحيح . خاصة وانها وردت في النص الفرنسي بما تعريبه : (فاته يترك للباب العالي الضرائب العادية المستحقة التي تتوجب له حتى رحيله) ، (Ainé, Op.clt. P. 173) .

(٤) من جراء الميري . وقد ترجمها (اينيه) : الضرائب المحصّلة (Ainé, Op cit. P. 173) (Les Contributions de la Lerees) .

(٥) الخرج : الخراج ، وعند البعض اخص منه ، فالخرج يحتص برسم الرأس ، والخراج عام فيه وفي رسم الارض ، وعند البعض العكس (محيط المحيط) . وقد وردت في النص الفرنسي (مخازن التموين Magasins de Vivres) (Ibid) وهو ما سماه المؤلف (مخازن الخرج) .

(٦) تتوجب .

(٧) وردت في الاصل (في) فاسندلناها بـ (فان) لاستكمال المعنى ، والخس : العجز ، والنقص ، والخسارة . وقد ترجمها (اينيه) : (Défit (Ainé, op. cit. p. 174) .

(٨) السلفة : السلفة .

(٩) المعنى : كسلفة يلتزم بايفائها الحكام الفرنسيون وفقاً للمستندات التي يقدمها الوكلاء المعنيون من قبل الجنرال كليبر لقبض المبلغ المذكور . انظر النص الفرنسي عند اينيه (Ibid, P. 174) .

الشرط السابع عشر

ثم انه ، اذ كان تقتضى الجيوش الفرنسية بيع بعض المصاريف لخلوّهم مصر ، فلا بدّ ان يقبض ذلك ، من بعد تقرير مسك الشروط المذكورة ، القدر المحدود اعلاه بوجه الذى نذكره^(١) ، اعنى : من بعد مضي خمسة عشر يوم خمسية كيس . وفي غلاقة^(٢) ثلثين يوم خمسية كيس اخرى . وتمام الاربعين يوم ثلاثماية كيس اخرى . وعند []^(٣) كمال الخمسين يوم ثلاثماية كيس اخرى . وفي الستين ثلاثماية كيس اخرى . وفي السبعين يوم ثلاثماية كيس اخرى . وفي الثمانين يوم ثلاثماية كيس اخرى . وعند غلاقة التسعين يوم خمسية كيس اخرى . وهذه كلّ الاكياس المذكورة هي عن كلّ كيس خمسية قرش عثمانلى . ويكون قبضها من يد الوكلاء المعيّنين لهذه الغاية من قبل الباب الاعلى . ولكى يسهل اجراء العمل بما وقع الاعتماد ، فالباب الاعلى ، من بعد وضع الامضاء بالنسختين من الفريقين ، يوجّه حالا : الوكلاء الى مدينة مصر وفي بقية البلاد المستمرة بها الجيوش .

الشرط الثامن عشر

ثم ان فرض المال^(٤) الذى يكون قد قبضته الفرنسية ، من بعد تاريخ تحرير الشروط المذكورة ، وقبل ان يكون قد اشتهر هذا الاتفاق في الجهات المختلفة بالاقاليم المصرية ، فقد تنحسم من قدر الثلاثة الاف كيس المقدم القول عنها .

الشرط التاسع عشر

ثم ، لكى يسهل خلّو المحلات سريعاً ، فالنزول للمراكب الفرنسية المختصة بالحمولة الموجودة في المين^(٥) والاقاليم المصرية مباح به ما دامت^(٦) الثلاثة اشهر المذكورة المعيّنة للمهلة ، وذلك من دمياط ورشيد حتى الى الاسكندرية ، ومن الاسكندرية حتى الى رشيد ودمياط .

(١) وعلى الوجه الذى نذكره : اي على الوجه التالى .

(٢) غلاقة : ختام ، نهاية .

(٣) وردت في الاصل (ما) زائدة اثرنا حذفها .

(٤) الضرائب .

(٥) المرافىء (جمع غير صحيح لكلمة : ميناء) .

(٦) طيلة .

الشرط العشرون

فمن حيث انه للاطمئنان الكلى في جهة البلاد الغربية^(١)، يقتضى الاحتراس الكلى لمنع الوباء والطاعون عن انه يتصل هناك، فلا يباح ولا لشخص من المرضى، او من اوليك الدين مشكوك بهم ريحة من هذا الداء الطاعونى، ان ينزل بالمراكب. بل ان المرضى بعلة الطاعون او بعلة اخرى اتما كانت، التى بسببها لا يقتضى ان يسمح بصرفه بمدة خلو الاقاليم المصرية الواقع عليها الاتفاق^(٢)، يستمرّون فى بيمارستانات^(٣) المرضى، حيث هم تحت امان جناب الوزير الاعظم. ويعالجونهم الاطباء من الفرنساويين، اوليك الذين يجاورونهم بالقرب منهم، الى ان يتم شفاهم، يسمح لهم بالرحيل. الشى الذى لا بد منه اقتضا الاستعجال به باسرع ما يمكن. ويحصل لهم ويبدو نحوهم بما ذكر في الشرطين الحادى عشر والثانى عشر في هذا الاتفاق نظير ما يجرى على باقى الجيش. ثم ان امير الجيوش الفرنساوى يبذل جهده في ابراز الاوامر باشدة [صرامة]^(٤)، لرؤساء العساكر النازلة بالمراكب. بان لهم من رؤساء الاطباء. تلك المين التى يتيسر لهم بها ان يقضوا ايام الكارنتين باوفر سهولة^(٥)، من حيث انها من مجرا العادة ولا بد عنها.

الشرط الحادى والعشرون

وكلما يمكن حدوثه من المشاكل التى تكون مجهولة ولم يمكن الاطلاع عليها في هذه الشروط، فلا بد عن نجازها بوجه الاستحباب^(٦) ما بين الوكلاء المعيّنين لهذا القصد، من قبل جناب الوزير الاعظم وحضرة الجنرال كليبر سارى عسكر العام، بوجه يسهل ويحصل الاسراع بالخلو.

الشرط الثانى والعشرون

وهذه الشروط لا تعدّ صحيحة الا من بعد اقرار الفريقين وتبديل^(٧) النسخ، وذلك ثمانية ايام. ومن بعد حصول هذا الاقرار، لا بد من حفظ هذه الشروط وحفظ اليقين من الفريقين

(١) اي أوروبا، وهكذا وردت في النص الفرنسي (Ibid, P. 175).

(٢) اي لا يسمح باخراجه من مصر في المدة المحددة للجلاء عنها وفقا للاتفاق. وقد وردت بهذا المعنى في النص الفرنسي (Ibid).

(٣) البيمارستان: المكان المعدّ لاقامة المرضى. وهي كلمة فارسية مركبة من بيمار، اي مريض. وستان، اي مكان. وقد وردت (مستشفيات Hopitaux) في النص الفرنسي (Ibid).

(٤) وردت في الاصل (حرامه) فاقتضى التصحيح.

(٥) لقضاء ايام الكارنتين المألوفة والضرورة، بأوفر التسهيلات.

(٦) فلا بد من انهاؤها بصورة حبية.

(٧) تبادل النسخ.

كليهما. ثم صحّ وتقرّر بختوماتنا الخاصّة^(١) بنا بالمعسكر، حيث وقعت المداولة بحدّ العريش، في شهر بلويوز سنة الثامنة من اقامة المشيخة الفرنساوية، وفي رابع وعشرين شهر كانون الثاني سنة ١٨٠٠ المسيحية الواقع في ثمانية وعشرين من شهر شعبان هلالى سنة ١٢١٤ للهجرة.

وهذه اسماء الوكلاء الممضين^(٢)

مصطفى افندى رئيس	بوسلنج مدبّر	جناب مصطفى رشيد
الكتاب	الحدود	افندى دفتردار
الجنرال ديزه المتفرقة ^(٣)	الجنرال داماس	ممضى الجنرال كليبر

صحح وجرى بمحل المعسكر العام بالصالحية.

[ذكر ما جرى بعد ذلك بين الانكليز والفرنسيين والعثمانيين]

ثم ان الجنرال كليبر، من بعدما امضى على الشروط المقدم ذكرها، نهض من ارض الصالحية ورجع الى القاهرة، وارسل صورة الشروط الى المطبعة الفرنساوية وطبعها في العربية، وارسلها الى الديوان الخصوصى بمصر، وهو ديوان العلماء. وشاع خبرها في ساير الاقاليم المصرية، وصار فرح عظيم عند الملة الاسلامية، باستنقاذ^(٤) مصر من يد الفرنساوية ورجوعها الى الدولة العثمانية. وبدا الامير كليبر امير الجيوش يجمع العساكر من الاقاليم ويرسلها الى بندر رشيد والى الاسكندرية. وفي هذه الفترة، عزم على السفر الجنرال ديزه وبوسلنج مدبّر الحدود. وسافر ايضاً عدّة جنرالية وكوميسارية، والجنرال دوكا والجنرال ويال وغيرهم. وهولاء جميعهم اتفقوا يبيعوا خيولهم واثقالهم، ويستحضرون لما يلزمهم في الطريق.

وامّا ما كان من الوزير الاعظم^(٥)، فانه، من بعد ما مضى الشروط المقدم ذكرها، ارسل فرمان الى مصطفى باشا كوسا انه يكون قيممقامه فى القاهرة الى ان يحلّ ركابه السعيد. ثم ارسل فرماناً للتاجر المعروف بمصر باحمد المحروقى، وانه يكون مباشر مع مصطفى باشا امور مدينة مصر واقطارها. ثم ارسل صورة الشروط الى الباب الاعلى، وطلب مراكب السفر الفرنساوية من الاسكندرية حكم الشروط المحررة. وصار في مدينة القسطنطينية فرحاً عظيماً، وامر السلطان سليم

(١) وضع وأقرّ - أي الاتفاق - وختم باختامنا الخاصة بنا.

(٢) الموقعين.

(٣) جنرال الفرقة : ديزيه (Desais).

(٤) انقاذ.

(٥) الصدر الاعظم.

بزينة عظيمة، وضربت المدافع الكثيرة، وبدأت تتجهز المراكب وتوسق البضائع من القسطنطينية وغيرها لمصر والى الاسكندرية، وسيأتى عنها النص.

وشاع اخبار هذا الصلح فى سائر الاقطار وكامل الامصار، وكان فرح عظيم وسرور جسيم. وانتشرت الاعلام فى اراضى الشام، وكان عند الاسلام الفرحة التامة. وبدأ الوزير الاعظم يتقدم بالجيوش والعساكر، وكلما اخلت الفرنساوية محلاً من البلاد يرسل له العساكر والاجناد. وما زال الوزير يتسلم من الفرنساوية القلع والحصون والبلدان العامرة، الى ان صار بالقرب من القاهرة. وحضر اليه الامير مراد بيك الذى كان مقيم فى اراضى الصعيد ومعه جملة من السناجق والكشاف، واكرمه الوزير واعطاه ولمن معه، وكان قد تضايق من طول الغربة. وترادفت العساكر العثمانية والجيوش السلطانية، وامتدوا الى مدينة بليس والى العادلية، وبقوا مسافة ثلاثة ساعات عن القاهرة بالجيوش الوافرة والعساكر المتكاثرة. واجتمعت عليه العربان وسكان تلك البلدان. وبقت (١) العساكر تنوف عن مائة الف. وخرجت اعيان مصر والعلماء والحكام وتجار وعوام الى مقابلة وزير الختام (٢). واندesh السمع والبصر من روى ذلك العسكر والجيوش المفتخر. وكادت القلوب ان تذوب من الفرحة والسرور، من تغيير تلك الامور، وخلص بلاد المسلمين من يد الكافرين.

وفى افضل الشهور واحسن السنين، تنكست اعلام الفرنساويين. وسافر اكثرهم الى لاسكندرية، وخلت منهم غالب اراضى المصرية. وجعل الوزير الاعظم يرسل الى مصطفى باشا ان يعلم (٣) السارى عسكر الامير كليبر انه يعجل بالخروج من مصر، ولو انه قبل الميعاد، ويقيم فى بلدة الجيزة، وهناك تكمل عدة الايام المعلومة. واخبر مصطفى باشا الامير كليبر بذلك، فاغتاز من ذلك الامر واجابه: ان الوزير اسرع بقدومه الى ارض مصر، ولم يسر على حكم ما تقرّر فى الشروط. لاجل ذلك، نخشى وقوع الخلل بين العساكر. اذ انسى ارى عساكرهم مختلطين مع عساكرنا، وهذا ضد الشروط التى امضينا عليها. حتى الى الان لم ارى الذخاير (٤) تحضرت ولا المراكب تجهزت، وانا فلا يمكننى الخروج الى الجيزة قبل تمام الميعاد، وتتميم المدة المعينة الى اخر دقيقة. واعرض مصطفى باشا على الوزير جواب الامير كليبر، فلم يقنع الوزير من ذلك السبب، ولم يكلّ من الطلب من هرج الجماهير والغضب، وميل العساكر لبلوغ الارب. اذ كان عجبهم من عجب ولا يسلم العجب من العطب. فكانوا (٥) يلجئون الى الكنانة بقلوب من الاحقاد ملائنة،

(١) بقيت.

(٢) وزير الاختام، وهو الصدر الاعظم.

(٣) اعتاد المؤلف ان يسعمل كلمة «يعلّم» بمعنى، يُعلم او يُخبر.

(٤) المؤونة.

(٥) اي العساكر العثمانية.

وفي نفوسهم الغدر والخيانة . وهذا وعسكر فرنساوية لم تزل على حال واحد مستوية ، سايرين على ما بينهم ، مأمنين من مكرهم^(١) .

وفي بعض الايام ، جاز^(٢) احد الصلداات في احد الشوارع ، فنهضوا عليه خمسة من الانكشارية ، وضربه احدهم بالياتغان^(٣) فقتله . وتراكضت الصلداات فرنساوية واخبرت امير الجيوش ، فامر العساكر ان تتجهز وتستعد للمصافقة^(٤) . وصارت رجّة عظيمة في المدينة . فبلغ مصطفى باشا كوسا ، فركب حالاً من منزله وحضر الى بيت الساري عسكر ، فوجده في حالة الغضب ، مستعداً للاقتراس والعطب . وبدا يعاتب مصطفى باشا ويلوم الوزير على سرعة انتقاله وعدم ضبط رجاله . ويذكره ما تقرر في الشروط من عدم اختلاط العساكر ، خشيةً من مثل هذه المشاكل والمخاطر . فاخذ مصطفى باشا يبرّر ذاته ويروّق عكاره^(٥) . ويوعده بمنع العساكر عن الدخول ، وبقتل القاتلين الخمسة ديةً المقتول . ولم يزل يربطه بلين الخطاب حتى نزع ما بقلبه من الاضطراب وانعم له واجاب^(٦) . ثم نهض مصطفى باشا في الحال ، واعرض على الوزير ما حدث من التكدير ، وانذره غاية التنذير^(٧) . وحذّره غاية التحذير ، انه يكون على حدق بصير ، ويُنَبّه على الكبير والصغير ، ويمنع عن الدخول الى مصر القليل والكثير . ولا يترك احد [أ] يدخل الى مدينة القاهرة ، خشيةً من وقوع المخاصمة والمشاجرة . فلما فهم الوزير الاعظم ما اعرضه مصطفى باشا ، غضب غضباً شديداً ما عليه مزيد . وامر بامتناع العساكر عن الدخول الى القاهرة ، وبقتل الخمسة انفار عوضاً عن المقتول . وقبض على الخمسة المذكورين ، وارسل خنقهم قدام بيت الساري عسكر في بركة اليزبكية . ورقدت الفتنة واستكنت فرنساوية . هذا والوزير الاعظم لم يزل يطلب الدخول الى القاهرة قبل تمام الميعاد المعين في الشروط ، من تقمّم^(٨) العساكر عليه . وامير الجيوش لم يمكّنه من ذلك حتى تمّ الوعدة^(٩) وتنقضى المدّة . وكان الامير كليبر يجمع الجبخانه والعساكر من القلع والحصون ولم يبق سوى القلعة الكبيرة فقط .

(١) اي 'ن الجنود الفرنسيين لم يغيروا من اوضاعهم ومسلكتهم ، بل استمروا على ما هم عليه ، مطمئنين الى ان العساكر العثمانية لن تمكر بهم .

(٢) اجتاز .

(٣) الياتغان او اليطقان : سيف محدّب عند الاتراك والعرب .

(٤) للقتال ، للمواجهة .

(٥) مزاجه العكر (والصمير يعود لساري عسكر الجيش الفرنسي) .

(٦) اي وافقه واستجاب له .

(٧) الانذار .

(٨) إلحاح .

(٩) حتى يحين الموعد .

ولما انتهى الميعاد الى التمام وفاض عليه خمسة ايام ، ارسل الامير كليبر سرعسكر العام الى مصطفى باشا ان يتسلم القلعة الكبيرة ، وكان ذلك نهار الاربعة الواقع في ثمانية من شهر شوال ذي المعامع والاهوال . فابى مصطفى باشا ان يتسلم القلعة نهار الاربعة ، وذلك لما [يستعقدون] ^(١) به من النحوسات والتنكيس ^(٢) ، وترك التسليم الى الخميس ، وكان به الخطا والتعكيس . وقد كان رحل اكثر الفرنساوية الى برّ الجيزة ، ولم يبق منهم سوى القليل ، والسارى عسكر وشرذمة وجيزة .

وفي تلك ليلة الخميس الذى كان بدو ^(٣) التعكيس ، اذ كانوا عزموا عند الصباح يتسلم مصطفى باشا القلعة الكبيرة ، فحضر كتابة ^(٤) الى الامير كليبر من الجنرال سند سميت سارى عسكر الانكليزية ، وبه يقول : انه لقد حضرت لى كتابة جديدة من مملكة الكليترا ، كرسى الدولة الانكليزية ، اني لا اسمح لكم بالخروج من مملكة مصر الا اسراء ^(٥) بيدنا ، من بعدما تسلمونا جميع اموالكم وكامل سلاحكم ، وتسиров معنا الى مملكة انكليترا كرسى دولتنا . واما عهودكم وشروطكم مع الدولة العثمانية على التسليم والذهاب الى مملكة باريز ، كرسى المشيخة الفرنسية ، فهي صارت فاسدة وعلى غير قاعدة . واذ كنّا نحن الوسيطين بذلك سابقاً وواضعين شهادتنا بها ، فلزم اننا ننبه عليكم الان بانتقاضها ^(٦) من بروز الاوامر الجديدة . وذلك حكم القوانين الملوكية الدارجة بين الممالك الافرنجية . لكيلا يعود على دولتنا الغدر والخيانة ^(٧) فاعتمدوا تنبيهنا عليكم قبل تسليم الكنانة .

فلما وصل ذلك الكتاب الى امير الجيوش الفرنسية ، واطلع على تلك الالفاظ المنكية ^(٨) ، فأتقّدت به النار ، وانشب ^(٩) من انفه الشرار . واحضر حالاً كامل الجنزالية وباقي رؤساء العساكر وسائر الفيسالية ، وعقد ديواناً في منزله على شاطئ بركة البزبكية ، وقرأ عليهم كتاب الجنرال سميت سرعسكر الانكليزية . فشمّلهم حزن عظيم وغمّ جسيم ، وتحركت الاحقاد في القلوب ، وكادت ان تذوب منهم الكبود ^(١٠) ، وعظم عليهم ما في ذلك المكتوب . ونادوا جميعهم بصوت

(١) وردت في الاصل (يتعقدون) فاقتضى التصحيح . وقد وردت (يستعقدون) في نسخة الشهابي كذلك (ص ٢٩٧).

(٢) من النكسة : الخسارة ، السوء ، الشؤم .

(٣) بدأ .

(٤) فوصل كتاب .

(٥) اسرى .

(٦) ينقضها لبروز الاوامر الجديدة .

(٧) لكيلا تتهم دولتنا بالغدر والخيانة .

(٨) من النكاية ، اي التحدي والقهر .

(٩) نشب .

(١٠) الاكباد .

واحد وقلب جامد: الدمار بهذه الديار، ولا الوقوع بهذا الاستئثار. فطفق امير الجيوش يعج^(١) عجيج الدهوش^(٢) بصوت افظ^(٣) من صوت الوحوش. [ويذكرهم بافعالهم]^(٤) وتغيير احوالهم، وعدم امتثالهم. وحنيتهم^(٥) الى الاوطان، وترك الحرب والطعان. وان لم يقبل الى هذا الصلح^(٦) والتسليم، الا من بعد ان شاهد قلقهم العظيم ومللهم الجسيم. فاجابوه الجميع: اننا لا نخرج الا على موجب الشروط والوثاق المربوط. وبدون ذلك لا تنهتاً لنا المسالك. فنبه على وزير الختام ان يرجع الى اراضي الشام، ويثبت لنا [شروطه]^(٧) ويؤيد لنا خطوطه^(٨) بكتابة من دولة الانكليز ويمضي عليها ملكهم لا من المقيم على البواغيط^(٩) باذهابنا^(١٠) الى مملكة باريز بامن حريز. وان كان لم يرتجع عن دربه فيلزمنا ان نتصدّر^(١١) لحربة. وتكون عهوده معنا غير صادقة، وقصده اخراجنا بالمخاتلة والمنافقة. لئلقينا في يد اعدائنا، ويكونوا الجميع مترابطين على سفك دمانا. فعندما نظر امير الجيوش تمكن قلوبهم، فاجابهم الى مطلوبهم، واوعدهم بصدّهم وردّهم الى ان يبلغوا مرغوبهم.

وانتهى الديوان، وانصرف اوليك الاعيان. وبدا امير الجيوش يفرّق الاعلام على العساكر، ويعرفهم بابطال^(١٢) السفر. وشاع الخبر وانتشر. وبدت العساكر ترجع الى منازلها. اذ كان خرج اكثرها الى برّ الجيزة، ولم يبق منها الا شزيمة وجيزة. واحضر حالاً مصطفى باشا واخبره بالكتاب الذي ورد من الجنرال سميت، وان يخبر الوزير الاعظم ان يرجع بعساكره الى حدود

-
- (١) عَجَ الرجل: صاح ورفع صوته.
(٢) لم نجد تفسيراً لهذه الكلمة سوى (الاندهاش)، فيكون المعنى: فطفق امير الجيوش يصيح صيحات الاندهاش.
(٣) أَفْظ: اشد فظاظاً، اشد غلظة.
(٤) وردت في الاصل (ويذكرهم افعالهم) والمقصود (ويذكرهم بافعالهم) فاقتضى التصحيح، والضمير هنا عائد الى (كامل الجنرالية وباقي رؤساء العساكر وسائر الفيسالية)، وهكذا فهمها (اينيه) في ترجمته.
(Voir AIné, op. cit. P. 184)
(٥) وحنيتهم.
(٦) وأنه لم يقبل بهذا الصلح....
(٧) وردت في الاصل (شروط) فاقتضى التصحيح، وقد وردت كذلك (شروطه) في نسخة الشهابي (ص ٢٦٨).
(٨) ويؤكد ما تم الاتفاق عليه (اي شروط الصلح التي تم الاتفاق عليها وسبق ذكرها).
(٩) اي من الاميرال سدني سمث قائد الاسطول البريطاني المرابط في البحر المتوسط قبالة المرافىء المصرية.
(١٠) بذهابنا.
(١١) نتصدى.
(١٢) بالغاء.

العريش ويقيم هناك ، بينما يخاطب دولة الانكليز ويستأذنهم باخراج الجمهور الفرنسي من مملكة مصر ، واذهابهم الى بلادهم والاطمان ، حكم الاتفاق المقرر فى الشروط على موجب العقد المربوط . فغاص مصطفى باشا فى تيار من الافكار ليس له قرار ، وقال : لعمري ان هذا الخطب خطير وامر عسير ، فلا حول ولا قوة الا بالله العزيز القدير . لانه كان ذائقاً تلك الروعة^(١) وشارباً كاس اللوعة . فنزل من امام السرعسكر كليبر وهو فى همّ وغمّ كثير ، وصار^(٢) الى منزله واعرض على الوزير ما سمعه من الجنرال كليبر ، فاغتاز الوزير غيظاً عظيماً وغضب غضباً جسيماً ، وابتدوا يتداولون كيف انهم يحتالون على اخراج الفرنسيين من المدينة بطريقة امينة ، وان لم يرتضوا يخرجوهم بقوة متينة .

وكتب الوزير الى السرعسكر كليبر يقول له : انه لقد بلغنا فحوى الكتاب الذى ورد اليكم من الجنرال سميث سارى عسكر الانكليز ، وانه قد توعد لكم بالاستيئثار بعد خروجكم من هذه الديار . فكونوا امينين مطمئنين ، ومن هذا القبيل غير خاشين . فالسارى عسكر المذكور^(٣) لا يستطيع ان يتعرض لكم من بعد اشهار خاطر الدولة العلية عليكم^(٤) . ونحن ان شاء الله نهتئء لكم كلماً يؤول^(٥) الى راحتكم ، ولا ندع الانكليز يعارضكم . وتسيروا فى مراكبنا الى ارضكم ومواطنكم بكل امان واطمينان ، بدون ثقل ولا هوان^(٦) . وحاشا ان بعد الشفقة تبدا نحكم القساوة . فالمراد ان تسلموا المدينة ، واذهبوا الى بلدة الجيزة ، و[أ]قيموا هناك بكرامة عزيزة ، لينما تجهز لكم الذخاير والمراكب ، وتسيروا على حسب الشروط المقررة والعهد المحررة . فقد تم وانتهى ميعاد اقامتكم فى مدينة مصر^(٧) ، ولم نعد نسمح لكم بالاقامة بها ولا يوماً واحداً . لاننا بالحصر^(٨) وعساكرنا وافرة وجيوشنا متكاثرة ، وفرساننا جابرة ، ولم نكن^(٩) قادرين على حجزهم عن الهجوم على القاهرة . ونخشى عليكم من التلاف والعدم ، وتندمون حيث لا ينفعكم الندم . فقد نبهنا عليكم بالخروج والسلام . وارسل ذلك الفرمان ليد مصطفى باشا ، واوصله المذكور الى امير الجيوش الامير كليبر . ولما وصل اليه كتاب الوزير الاعظم غضب

(١) من الروع ، اي الفزع والخوف .

(٢) وسار .

(٣) اي الاميرال سميث .

(٤) اي اعلان رضى الدولة العلية عن رحيلكم .

(٥) يؤول .

(٦) اي بدون ضغط ولا اذلال .

(٧) القاهرة .

(٨) لاننا محصورون .

(٩) ولسنا .

وتقمقم^(١)، وردّ جواب الى الوزير وهو ان الشروط التي تعاهدنا عليها قد انتقضت وفسدت، لان سارى عسكر الانكليز، من بعد اقراره بسفرنا الى مملكة باريز، نكث بعهده وخفض بوعده، وفصد لحجزنا وتهيأاً لأسرنا، امثالاً لاوامر دولته وتكميل وظيفته. وقد نبّه علينا بذلك واعلمنا بساير المسالك^(٢). وما مهياً لنا من المهالك^(٣) حسب عوايد الممالك. فلاجل ذلك من المستحيل اننا نخرج من هذه المملكة على شروط مشرّكة^(٤)، او نسير بطريق غير مسلكة^(٥) ونلقى نفوسنا بهذه المهلكة. فينبغي ان ترجعوا بعساكركم اقلّما يكون الى مدينة بلبيس، وتقيموا هناك حينما تُخرجوا لنا اوامر جديدة من دولة الانكليز، بسفرنا الى مملكة باريز، حكم^(٦) الشروط والعقد المربوط. وهذا جوابنا والسلام.

ولما وصل ذلك الجواب الى وزير الختام اعتراه الهمّ والاغتمام، واخذ الاضطرام من ذلك الكلام، وتراكت عليه الاوهام، وصعب عليه القيام بهذا الجيش^(٧) الملتأم. وقامت ضجة عظيمة بذلك العسكر، وصاحت الاسلام الله اكبر. وطلبوا الهجوم على مصر والمضاربة^(٨). وكانت امورهم غير صايبة. واما الوزير الاعظم كان من اعقل وزراء الدولة العثمانية، مشهوراً بالفطنة الزكية والاخلاق المرضية. وهو من الارهاط المستوية^(٩). فبقى حائراً في هذه الامور الرديّة، وحدوث تلك الحركة القوية. وتاه فكره ما بين امرين مذهلين، ومشكلتين عظيمتين وخطيرين جسيمين. وعظم الامر عليه كيف يرجع الى الورا [ء] بعد ان كان عزم على دخول القاهرة بالموالك واللواء الفاخرة. وهو الوالى على البلاد، وتحت امره جميع العباد. وجيشه كثير الاعداد وقريب المراد. وممالك^(١٠) مصر بالحقيقة كانوا ينوفوا عن عشر ملايين خليفة. فلم يسعه ان يرجع على هذا المنوال، وبقي قلبه خائف من الحرب والقتال، خشيةً من الفشل وخيبة الامل. لما يعلم في الفرنساوية

(١) تقمقم: تذرّ، وهو من كلام العامة.

(٢) اي بكل الوسائل.

(٣) وما هو مهياً لنا من المهالك.

(٤) إما من الشّرّك، أي حبال الصيد وما ينصب للطير، أو الفخ. وشروط مشرّكة: شروط مفخخة. أو الشّرّك، وهي عند العامة: خلاف الصحيح، وتعني هنا: شروط غير صحيحة. ويصحّ في هذه العبارة المعنيان.

(٥) غير مسلكة: غير سالكة.

(٦) وفقاً.

(٧) الملتئم، اي جيشه المجتمع، وقد طلب منه الجنرال كليبر التراجع بجيشه هذا الى بلبيس.

(٨) مصر: القاهرة، والمضاربة: القتال.

(٩) اي من الرجال الناضجة والعاقلة.

(١٠) ربما كانت بمعنى، ممالك او بمعنى: الاقطار المصرية (كما جاء في عنوان الكتاب).

من كامل الفروسية في حربهم الشديد، وما عندهم من المراس وقوة الباس، وتملكهم للقلع والحصون، وانصباهم على الموت والمنون. ولكن غلبت عليه قوة النفس، وما امكنه يجاوب الآ كجواب امس. وفرق الاعلام على القبائل والعشاير، وبدا يضم لعنده الجيوش والعساكر. وحينما وصل الجواب الثاني الى امير الجيوش الامير كليبر ووجد النص كالاول، وان الوزير عن ابواب مصر^(١) لا يتحول. فجواب هو ايضاً بعدم الذهاب والخروج، وبدا يحصن القلع والبروج. وكتب الى ساير العساكر الفرنسية، التي كانت سايرة الى رشيد واسكندرية، ان يرجعوا الى مصر^(٢). وبدا يضعهم خارجاً عند باب النصر. ونصب المضارب والخيام على باب البلد من الجبل الجيوشي الى البحر^(٣). وتكامل عسكره على ثمانية عشر الفاً مقاتل، من كل ليث مجادل وقرم^(٤) مخاتل. واجتمعت العساكر العثمانية مع الطموش^(٥) المصرية، على نحو مائة وستين الف. وامتألت منهم تلك البوادي، من كل وادي ونادي. والمخاطبات كالمجاوبات^(٦) على نص واحد، وزعم جامد، وقلب متباعد. وكل منهم بعيد التداني، ولا يلين احدهما الى الثاني. واستقامت تلك المحاولات والمخاطبات على ذلك المرام سبعة ايام. ثم طلب الوزير الاعظم واحد [أ] من المتقدمين عند الامير كليبر لاجل المفاوضة بذلك الامر العسير، فارسل له الجنرال بوضوط^(٧) مع ترجمانه الخاص، فساروا الى العسكر العثماني، وعند دخولهم على الوزير تحرك بالغضب عليهما، ولعنهما وشتمهما، وامر بالقبض على الجنرال بوضوط وطرد الترجمان. وقال له: اذهب الى مولاك الكافر وقل له: ان لم في الغد يسافر والا دهمته بهذه العساكر، واطلقت فيكم النار ولا اعفى على كافر من هؤلاء الكفار. ورجع الترجمان وهو مرعوب فزعان، ودمعه هتان على ما حل بصاحبه من الذل والهوان. واخبر الامير كليبر بما سمع من الوزير. وكيف اسر الجنرال بوضوط وتركه في القيود مربوط. وما توعد به من الدمار والذثار ان لم يخرجوا من تلك الديار. فلما سمع امير الجيوش ذلك الخبر طارت من عينيه الشرار، وكاد قلبه ينفطر، وقام وقعد وارغا وازبد. وفي الحال امر بخروج المدافع والجبخانه، واحضر مصطفى باشا كوسا الذي كان في مصر مقيم ووضع عليه الترسيم^(٧). واحضر القنصل النمساوي وقبض عليه لان كان ملكه متحد مع الدولة العثمانية. وفي تلك البلاد يحارب

(١) القاهرة.

(٢) البلد: القاهرة. وجبل الجيوشي: جنوب شرقي القاهرة، وهو جزء من جبل المقطم. والبحر: بحر النيل.

(٣) الفحل، وقد مر ذكرها.

(٤) جمع طمش، وهي الناس، وقد مر ذكرها.

(٥) اي الرسائل المتبادلة بين الجنرال كليبر والصدر الاعظم.

(٦) الجنرال بودو Beaudot.

(٧) الحجز او الحبس.

الفرنساوية. وسجن الاثنى في منزله الكاين في بركة اليزبكية. وكان ذلك نهار الخميس الواقع في ستة وعشرين شوال^(١) الذى به حال الارتحال، وبان تغيير الاحوال، ولاحت علامات الاهوال. وبات السارى عسكر تلك الليلة على نية الحرب والقتال ومصادمة الابطال. وارسل الاخبار الى رؤساء العساكر ان يكونوا على غاية الحذر. وان المسير قبل طلوع النهار، سبحان الله القهار، القاهر الجابرة الكبار وهو العزيز الجبار ذو الجلالة والاقتدار.

[ذكر الحرب بين الفرنسيين والعثمانيين]

ولما كان نصف ذلك الليل، ركب امير الجيوش بالخييل، وسارت قدامه تلك الابطال والفرسان، كانهم الجان أو عفاريت سيدنا سليمان. لا يهابون الموت ولا يخشون الفوت^(٢). فليس لهم عن الحرب عائق، ولا يخشون حلول البوايق^(٣). بهمة اقوى من الجبال، وقلوب قد تعودت على لقاء الاهوال. وكان قد ترك في منزله الجنرال درانطون^(٤) مع ستين نفر صلدات، لاجل حفظ المنزل من الافات. وفي القلاع قليل من الرجال، وعندهم المرضى والمشوشين، من الحروب معطلين، والكتّاب والنساء والذين لا يدخلون الحرب تركهم فى الجيزة. وطلب بذلك الجميع الغفير قتال عسكر الوزير، ويكبس على عسكر الاسلام في حديد^(٥) الظلام، والناس نيام، ويبلغ منهم المرام، ومن قبل أن يصل اليهم ويهجم عليهم، اطلق مدفع التنبيه، ثم اطلق ثانية، فانتبهت عساكر الغز المصريين لانهم من ذلك معودين، وذاقوا حرب فرنساويين. وركب مراد بيك جواده وقد ارتعد فواده، وارسل الى ناصيف باشا ابن [الوزير]^(٦) الاعظم يقول له: الفرنسيين اقتربوا الينا والظاهر انهم كابسين علينا، فانهض بالعساكر ولا تكن غير فاك. فاجابه ناصيف باشا بقلب فاتر: ان الفرنسيين الكافر لا يستطيع الهجوم على هولاء العساكر. وفي تلك الساعة، اطلق امير الجيوش المدفع الثالث الكبير، وهو مجده بالمسير. فتحقق ناصيف باشا قدوم الكفار، وبقي في رعب وافتكار، وايقن بالذل والاحتقار. وكان هو في اول عسكر في الانكشارية مع الغز المصرية. وانتبهت عساكر الاسلام واستعدوا للحرب والصدام، ومشوا بضجة وهرج طالبين ملاقات

(١) شهر شوال عام ١٢١٤هـ. الموافق لشهر آذار / مارس عام ١٨٠٠م.

(٢) بمعنى الخسارة.

(٣) مفردها بائقة، وهي المصيبة.

(٤) الجنرال ديرناتو Durnateau.

(٥) حديد الليل: أظلم، والحدس: الليل المظلم.

(٦) وردت في الاصل (وزير) فاقتضى التصحيح.

الافرنج. هذا والفرنساويون قادمون عليهم بقلب غير هائم^(١)، وضرب البارود الدائم. ولما تقاربا الفريقان، وهجمت الاسلام بضجيج ارتعدت منه الجبال، ولكن بقلوب مرتاعة من لقاء الاهوال. فرجعت الى خلف فرنساوية بمخاتلة ومكيدة، حتى طمعت بهم تلك الجماهير المتشددة. فانقسمت فرنساوية قسمين، واطلقوا عليهم مدفعين، ثم اطلقوا عليهم نار البارود، ودهمتهم تلك العساكر والجنود. فيا لها من ساعة يكلّ عن وصفها اللسان، وترتعد من ذكرها الابدان، وترتعب من سماعها الانس والجآن. وتصادمت تلك الجيشان العظام تحت غسق الظلام. وماجت جيوش الاسلام، واكثرهم طلب الحرب والانهزام. وصدمتهم الافرنج اى الصدام، واورثتهم مواريث الاعدام. وبذلت^(٢) فيهم الحسام تحت ستور الظلام، والتطمت العساكر كالبحور الزواخر. وارمت فرنساوية عليهم الكلل والقنابر، كالسيل القاطر. وجادوا عليهم بضرب السيوف البواتر. وكثر الصياح وزاد النواح. وزهقت الارواح من ضرب السلاح. وطلبت الاسلام الحرب والرواح في تلك البوادي والبطاح. وصاحوا: الفرار الفرار من وقوع الاقدار. وقد بليوا بالعدم والدمار والذل والانكسار. وتشتتت تلك الجيوش في البراري والقفار. وهم يتعوذون بالله الجبار من شدة باس الكفار، الذين لم يكن لهم بالموت افتكار. وولاً^(٣) الوزير ومن معه هاربين وللنجاة طالبين. ولم يزالوا فرنساوية في اثرهم سايرين. وما طلع الصباح واشرقت الشمس على تلك الارض، الا وبقت القتلاء مطروحين في طولها والعرض. هذا وذلك الاسد المغوار والليث الهدّار كليبر الجنرال امير الجيوش يعج عجيح الجمال ويحرّض ابطاله على الحرب والقتال، ويقول لهم: اجعلوها وقعة الانفصال، ولا تبقوا على احد من هولاء الانذال. ولم يزالوا يرموهم بالبارود والنار والقتلاء^(٤) تتساقط مثل اوراق الاشجار، والسارى عسكر بجواده باول العسكر، كالاسد الكاسر والعقاب المجاذر^(٥). الى ان دخلوا القوم مدينة بليس. ودخل الوزير الى المدينة بنفس حزينة، ووصلت فرنساوية بذلك الاقتدار، ويتقدّمهم الاسد المغوار والليث الهدّار، واحاطوا بالاسوار. وارسل الى الوزير ان يترك البلد ويخرج منها والّا يحرقها بمن بها. فردّ له جواب ان مدينة مصر قد امتلكوها ناصيف باشا والغز المصريون. وانتم الآن صرتم منها مطرودين. فاترك الحرب وارجع عن الطعن، ودعنا نعود لما كنّا عليه من الشروط والعهود. فقال الامير كليبر للرسول: ارجع الى

(١) من الهيام: العشق والحب. او الضياع والتهيه، مثل (هام على وجهه). فيكون المعنى: إما ان الفرنسيين قادمون على القتال وهم غير راغبين فيه. او ان يكونوا قادمين عليه بقلب ثابت، غير ضائع ولا تائه. والمرجح ان المؤلف يقصد المعنى الثاني كما يتبين من سياق الحديث.

(٢) وردت في الاصل (بذلت)، وبذلت: أنزلت.

(٣) ولّى: ذهب.

(٤) القتلى.

(٥) الكاسر.

صاحبك الوزير وقل له ان يخرج من هذه البلد، والّا احرقها بالنار، ولا اتركه يقيم ساعة من النهار. وان كان قصده يتفق معنا اتفاقاً جديداً، فيذهب الى قلعة العريش، ومن هناك يخاطبني بما يريد. وانا قد خاطبته امراراً^(١) ان يرجع الى بلبس ويجاوبني بما يقتضى، فما كان يقنع ولا يرتضى. واما الان لم يمكن اطاعه على ذلك، بعدما سقيت عساكره كؤوس المهالك. وبعد جلة المراسلات، تحقق الوزير ان لا يمكن يرجع عنه الان وهو في ذلك المكان، فخرج من مدينة بلبس وسار الى الصالحية والى قطية، ومن قطية الى العريش. ولم يزل سائراً الى مدينة غزة، وامير الجيوش ساير في اثرهم على مهله الى ارض الصالحية. وقد تفرقت تلك الجيوش في البراري والقفار، وحل بهم الموت والدمار، ومات كثير على الطرقات من التعب والعطش والجوع والحرّ بتلك الفلوات. وكسبت الفرنساوية تلك الاموال والخيول والجمال، والعُدد الغوال، والمدافع والجبانات.

وحينما وصل امير الجيوش الى الصالحية، ارسل الجنرال بليار^(٢) على طريق البرّ الى حدّ دمياط، ووضع جانباً من الصلداات فى قلعة قطية، وقلاع بلبس والصالحية. ولما وصل الجنرال بليار الى دمياط، فخرجت عليه اهلها والاتراك الذين بها. والقاهم ذلك الجنرال بالرجال والابطال قدام المدينة، واطلق عليهم المدافع المتينة. فرجعوا من امامه مهزومين وللنجاة طالبين. واحتموا في منازلهم والبيوت من شرّ ذلك البهيموت^(٣). وخرجت العلماء والاعيان وطلبوا منه الامان، ووضعوا المحارم في اعناقهم اشارةً للذلّ والهوان. ودخل الى المدينة وتسلم الحصون المتينة، ورجع فى الحال الى مصر بكلّ عزّ ونصر.

واما ما كان امير الجيوش كبير ذلك البطل الحضير^(٤) فانه، حين كسر عسكر الاسلام، وفرّقهم فى تلك الروابي رالاكام، وهمّ في مسيرة في طلب الوزير، الى ان اشرف على مدينة بلبس. فبعدها ابعده^(٥) في تلك الاراضى، تجّمع البعض من عساكر [الاسلام]^(٦) عند ضحّا^(٧) النهار، فمنهم الغزّ وناصيف باشا العظيم، والبعض من الانكشارية والمصريين الذين في تلك

(١) مرارا.

(٢) الجنرال بليار Augustin Daniel, comte Belliard (١٧٦٩ - ١٨٣٢) رقي الى رتبة جنرال في معركة أركول Arcole. وقد شارك في حروب الثورة والامبراطورية، وعين سفيراً لبلاده في بلجيكا من عام ١٨٣١ حتى وفاته، (في عهد لويس فيليب).

(٣) البهيموت: من اسماء الشيطان، ورجل بهيموت: اي صاحب احتيال ودهاء وخبرة. وهي كلمة سريانية الاصل (وقد مرّ ذكرها).

(٤) الحاضر.

(٥) ابتعد.

(٦) وردت في الاصل (السلام) فاقتضى التصحيح.

(٧) ضحى.

الاراضى خبيرين. واتوا الى مصر ودخلوا من باب النصر. وكتب ناصيف باشا الى الوزير يعرفه انه قد دخل القاهرة بعساكر وافرة، وملكوا الكنانة^(١)، لانه لم يكن بها احد من الفرنساوية. وارسل الكتاب مع هجان، ولم يدر ما حل ببقية عسكر الوزير من الذل. وحين دخل ناصيف باشا والغز الى مصر^(٢) استبشرت اهلها بالغز والنصر، وكانوا قد خافوا من الفرنساوية لترجع اليهم، وتبذل سيوفها فيهم. فاستنهضوا مع الغز في الحال، وعللوا ارواحهم بالمُحال. وهجموا على حارة الافرنج النجار، فنهبوا الاموال وقتلوا الرجال، وسبوا الحريم وقتلوا الاطفال. وبدوا يتعصبون عصباً^(٣) ويهجمون على دور النصارى، فينهبون ويسبون ويصنعون القساوة والفساد. شئ ما له تعداد. وهجموا على حارة الاقباط وقفلوا في وجوههم الابواب. وكان بها ذلك القبطى الذى كان مع الجنرال ديزه في الصعيد، فردّهم مع اصحابه في الحرب العنيد والرصاص الشديد. واتت الغز الى حارة اليزبكية، وهجموا على بيت السارى عسكر. فضربتهم الصلدا بالرصا والنار، ومنعهم عن دخول الدار. وكان لهم يوم يذكر جيلاً بعد جيل، لما به من الهول الجزيل، والخوف العظيم والهّم الجسيم، والعذاب الاليم. وقد تيقّنت النصارى بالهلاك والدمار، وهتك الحريم وخراب الديار.

وقام عثمان بيك كتحذا الدولة العلية في ذو الفقار^(٤)، ومعه الامراء المصرية. واتت اليه المشايخ والعلماء الاسلامية، وجميع التجار مع التاجر المشهور السيّد احمد المحروقى، المعلوم عند الوزير بالمعرفة والتدير، وناصيف باشا نزل عند بركة اليزبكية بالإنكشارية. واما مراد بيك لم يدخل البلد احتساباً مما يتجدد، وبقي يجول في برّ الجيزة في شردمة وجيزة، بفطنته الحريزة. وكان عثمان بيك كتحذا الدولة العلية ذو نفس عتية واخلاق مرضية، وفطنة ذكية. فاخذته الشفقة والرحمة على الرعية، واطلق المنادة برفع الاذاة^(٥) عن النصارى والرعية. ومنع الاسلام المنع التام عن النهب والحرام، وقال لهم: لا يجوز في ساير الاديان الاذاة على رعية السلطان. وغضب من

-
- (١) تأتي هنا بمعنى: القاهرة. والكنانة، في الاصل: اسم يطلق على بلاد مصر كلها.
- (٢) القاهرة، وقد كان اسم (مصر) يطلق، في ذلك الزمن، على القاهرة بالذات، وهو ما نجده، غالباً، في النص الذي بين ايدينا، ويعرف من سياق الحديث.
- (٣) اي تجمّعوا عصابات.
- (٤) قام: بمعنى: اقام. وذو الفقار: حي في القاهرة، وتعني العبارة: «أقام عثمان بك كتحذا الدولة العلية في ذو الفقار». ولكنها وردت في نسخة الشهابي (ص ٣٠٤): «وقام عثمان بك كتحذا الدولة العلية وذو الفقار». وهذا خطأ. وترجمها اينيه «وسار عثمان بك... الى حي ذو الفقار»، وهذا خطأ ايضاً، ونحن نرى صحة ما ورد في النسخة التي بين ايدينا، وما ذهبنا اليه في شرحها، اد انه، لو اراد المؤلف القول: «سار عثمان بك»، وليس «أقام...»، لاردف قوله بالقول «الى ذو الفقار» وليس «في ذو الفقار».
- (٥) الاذى.

ذلك الشأن ، وامر اجناده^(١) ان تدور بالحارات ، وكل من بدا منه فساد يقطعوه بالسيف الحداد^(٢) . ولم تزل النار تثور والشرّ يفور . والخلايق قائمة والهيجاب دائمة على حارات الاقباط وبيت السارى عسكر ، ذلك النهار بتمامه ، والليل بظلامه . والخلايق تجتمع والجماهير تندفع ، وهم يهيجون هيج الجبال ، ويهجمون هجم الرجال ، ويرجعون خائبين الامال . وقد اندهشت الابصار وحارت الافكار ، وتاه العقل وطار ، وحر القليل ما يقول ، وخشى الناقل تكذيب المنقول ، في صلابة اوليك الستين صلدات^(٣) الابطال ، وثبات قلوبهم على حمل هذه الالهوال . اذ كانت تهجم عليهم الخلايق افواج كالبحر العجاج ، وتهجم عليهم الجيوش هجمات الوحوش ، الوف الوف ، تفوق العدد والصفوف ، ما لها مدد . وهذا الجنرال الصنديد يتلقاهم بعزم شديد . وذلك التبات بستين صلدات . واستمروا على ذلك الشأن يومان عظيمان . وهذه العوالم^(٤) تندفع دفعة بعد دفعة ، وهى على بيت السارى عسكر مجتمعة ، وعن حربهم غير مرتجعة ، ولا زالوا يهجمون ويرجعون بلا منفعة ، حتى ولى ذلك النهار القهار . وكان اوليك الصلدات تتلقى تلك المجموعات الهاجمة من كل الجهات . اذ كان كل منهم يصادم الوفاً ، ويرغم انوفاً ، ويهزم صفوفاً . فاجتمع رأيهم ان يتركوهم ويذهبوا الى الجيزة . وما كانوا يعلمون ما تم الى العساكر الفرنسية مع العساكر العثمانية ، فى تلك البرية . وحين رأوا اكثر تلك العساكر التى دخلت الى مصر ، استبشروا بالعزّ والنصر . وبينما هم سايرون الى الجيزة ، فالتقاهم رجل راكب من عسكر العثمانية ، على جواد متين عليه هيئة السفر ، فسألوه ما الخبر ، فاعلمهم ان جيش الوزير انكسر ، وامير الجيوش انتصر . فانقطعت ظهورهم وثاروا فى امورهم . وانشوا على اوليك الصلدات . وزاد الحرب وكثر البلاء والكرب ، وظهر ذلك الجنرال درناطون Durnateau غرايب الفنون . وكان هذا الجنرال راسه ممسوح من الشعر لكبر سنه ، فكانت اهل مصر تدعوه الاقرع والليث الادرع .

واشتد الحصار ، وهاجت اهل المدينة ، وظهروا الاحقاد الكمينية . وهجموا على منزل مصطفى اغا واتوا به الى قدام ناصيف باشا ، وقدموا عليه شهودات^(٥) بانه كان يؤذى المسلمين ويؤذى الفرنسية . فامر الباشا بقتله ونهب منزله . وقبض ايضاً على اناس كثيرين من المسلمين الذين كانوا يخدمون الفرنسيين ، واذاقوهم الموت المهيّن ، واوردوهم موارد التلاف^(٦) . وقبضوا على الشيخ

(١) جنوده .

(٢) الحادة .

(٣) اي الستين جنديا .

(٤) هؤلاء الناس ، هؤلاء البشر .

(٥) شهود او شهادات .

(٦) التلف ، الفناء

خليل البكرى نقيب الاشراف، واتوا به حافياً عرياناً ذليلاً مهاناً، وقدموه الى عثمان بيك. فامر باطلاقه بعدما قدموا عليه جملة شهادات، وكان في اكثر الاوقات شرب في منزله مع الفرنسيات المنكرات. هذا وتلك الهجمة متصلة على تلك الصلوات من جميع الجهات، وعلى حارة الاقباط التي بها يعقوب الصعيدى، وقد كافح هذا الرجل كفاحاً عظيماً وعارك عراكاً جسيماً. وفي سادس يوم من تلك الاسباب والامور الصعاب، هجمت الاسلام على حارة الاقباط، ونهبوا البيوت، وايقنوا النصرى في الهلاك والارتباط. فهذا ما كان من احوال مصر وذلك الاتفاق.

واما ما كان من مدينة بولاق، فانهم حينما بلغهم دخول ناصيف باشا والغز الى مصر بالعز والنصر، فظنوا ان عسكر الاسلام انتصر وجيش الفرنسيات انكسر. فقاموا على النصرى الرعية فنهبوا اموالهم وسبوا اعيالهم. وعصوا اهل بولاق عصاة شديدة، وبنوا متاريس جديدة. وبعد ثمانية ايام وصل امير الجيوش الى دار الكنانة، فوجدها من الابخاص ملائنة. وقد اشهروا العداوة واطهروا العصاة. وحدثهم عقلهم الزمى^(١) في الجهل العمى على عدم التسليم. واحتاط امير الجيوش بعساكره الوافرة حول دايرة القاهرة، وصلبت اعناقهم على المحاصرة. ومنع الداخل والخارج، وسدوا المسالك والمدارج. ونشب القتال بينهم، نهارهم وليلهم. فطلبت خلو المدينة العساكر والحكام، فما مكنتهم من ذلك الاعوام^(٢). [وتصدت]^(٣) الاعيان ذوى البيوت، وحثهم على الاقامة والثبوت. ومنهم ذلك البهموت السيد احمد المحروقى، فهو يتصدّر للجدال وصرف الاموال، [وحرّض]^(٤) الرجال على الحرب والقتال. ولم يزلوا المصريون مصرّين على غرورهم المتين في محاربة الفرنسيين. وكان امير الجيوش قد تمكّن بعساكره من القلع والاسوار، بالكلل وقوة النار. وكتب الى مدينة الاسكندرية يسترجع الجبخانه والمدافع التي كان ارسلها حين عزم على التسليم. وارسل الى الجيزة احضر مصطفى باشا كوسا وارسله الى دمياط.

وقد بلغ امير الجيوش ما ابدوه اهالى بولاق من العصاة والنفاق، فارسل اليهم ذلك الاسد الهذار والليث المغوار الجنرال بليار، وامره ان يهجم عليهم بالنار، ويهدم الحصون ويخرب الديار. فهجم عليهم ذلك البهموت، فما قدروا على الثبوت. وتركوا المتاريس والتجوا للبيوت. فهجمت عليهم تلك العساكر بالرصاص المتكاثر، والسيوف البواتر. واحرقوا المنازل. واشتدت الاهوال وهربت الرجال. وبكت النسوان والاطفال. وصاحت الكبار والصغار: الامان الامان يا جنرال

(١) الضيق.

(٢) العامة، الجماهير.

(٣) وردت في الاصل (وتصدت) فاقتضى التصحيح.

(٤) وردت في الاصل (وحرّض) فاقتضى التصحيح.

بليار . فلما سمع بكاهم حنّ الى شكواهم ، وامر الصلداة بحفظ الحياة ومنع الممات . وعفى عن قتل الرجال . وبدوا ينهبون النساء والبنات ويهتكون الحراير المخدرات^(١) . واستمرّ هذا البلاء العام ثلاثة ايام . ففي تلك المدينة هدمت المنازل المتينة ، واحترقت البضايح الثمينة ، وراح على التجار من المال والبضايح عدة خزائن وافرة . اذ كانت بولاق اسكلة القاهرة ، فتجتمع بها البضايح والاموال ، وهى محلّ للاستقبال والارتحال لقربها الى البحر . وكانت خزينة مصر . ودترت هذه المدينة فى تلك الفتوح المهول ، عن سوء تدبير اهلها المخدول . ومن بعد هذا الخطب العظيم والخراب الجسيم امر امير الجيوش ان يوخذ من اهلها اربعة الاف كيس تمام الانكيس^(٢) وكانت عساكر فرنساوية مقيمين حول دايرة القاهرة ، نهراً وليلاً على المحاصرة والمجادلة والمشاجرة . وعساكر المدينة لم تمتنع من الهجمات وراء المتاريس المتينة ، فى ساير شوارع المدينة ، فى كل الجهات . وقد عزّ القوت وهدمت البيوت . وكانت ايام شديدة الاهوال غريبة الاحوال ، تتزعزع من ذكرها الجبال ، وتشيب من اهوالها الاطفال . وقد شدّت فرنساوية الحصار ، وصارت العساكر تهجم الليل والنهار ، وترمى على المدينة النفط والنار ، والكلل والقنابر الكبار . وبقت اهل البلد يضجيج وعجيج ، والخلايق فى [ا] اضطراب^(٣) ورجيج . والولولة من النساء والصياح ، والبكاء والعويل والنواح . وكانت الرجال والنساء والاولاد يختبئون^(٤) تحت العقودات^(٥) ، من تساقط الكلل والقنابر من القلعات . ولم يكن فى تلك الايام رقاد ، ولا مكان مؤتمن . بل حرب مستطيل ، وكرب دايماً جزيل ، ونوح وعويل . فيالها من ليلة ما امرّها ، واشدّها واحرّها . ليلة فتحت بها ميازيب^(٦) السماء ، وهطلت وغمّ وجه الارض بالمياه . فاستنهزت^(٧) فرنساوية الفرصة وهجموا فى تلك الحصّة^(٨) . واثاروا حروب عظيمة لم يكن مثلها فى الوقايح القديمة . واتقدت النيران فى اربع جهات القاهرة . واحترقت بيوت كثيرة فى تلك الليلة الماطرة ، مع الحرب المتصل والضرب الغير مفصل . وماتت خلايق لا تحصى من الفريقين . وزعق عليهم غراب البين . وكانت الكلل تتساقط عليهم من القلع كالبرد على وجه البقاع . واذا كانت الناس مسترة فى البيوت الذين على رصيف الخشب الكاين فى اليزبكية ، فاوقدت بهم النار فرنساوية . فكانت ساعة لا تُعدّ بالساعات ، من

(١) الحرائر ، جمع حرّة : المخدرات : المقيمات فى خدورهن ، اي المحصنات .

(٢) اي لقاء الهزيمة .

(٣) وردت فى الاصل (الاضطراب) فاقتضى التصحيح .

(٤) يختبئون .

(٥) جمع غير صحيح لكلمة (عقد) وهو السقف من الحجارة المعقودة بعضها ببعض ، وجمعها = عقود .

(٦) مفردا ميزاب : اي مزاب .

(٧) انتهزت .

(٨) الفترة .

تلك البلايا النازلات . وهجمت فرنساوية [وطردهم]^(١) من تلك الحارات . واحرقوا منازل كثيرة بتلك الجهات .

واذ شاهدت العساكر المحاصرة داخل القاهرة تلك النيران الوافرة ، وعدم النجاح بهذه المصادرة . فضجوا وقالوا : كفانا هذه المخاطرة . وكانت فرنساوية قد احرقوا حارات متسعة ، كحارة الخزويى العدوى لحد باب الشعرية ، ورصيف الخشب وما يليه من المنازل العلية ، فاجتمع رأيهم ان يطلبوا الامان ، وعقدوا في بيت ناصيف باشا ديواناً . وقد اجتمعت السناجق والكشاف^(٢) ، وعثمان بيك كتحدا الدولة ، والعلماء والاشراف . واخذوا يتفاوضون في امر التسليم ، والخلاص من هذا البلاء العظيم . وفيما هم في الاجتماع ، واذا قد سقطت عليهم بومبه^(٣) من القنابر ففرق جميعهم ، وايقنوا بالموت والنزاع ، وقالوا : هذه هي الاخيرة^(٤) ، وقد استخرنا الله وهو نعم الخيرة . فالتسليم اسلم لنا عاقبة من هذه المجادلة والمعاوية . وانتخبوا اثنين من المشايخ وهم عبد الله الشرقاوى وسليمان الفيومى ، واثنين من السناجق : عثمان بيك البرديسى وعثمان بيك الاشقر . واخذوا بيراقي^(٥) ابيض معهم اشارة الامان ، وساروا مشاة الى البركة اليزبكية . ولما قربوا من ذلك المكان ، ونظر اليهم امير الجيوش من بعيد ، وعرف الاشارة ، فامر برفع ضرب البارود ، وارسل اليهم وزيره داماس ومعه ترجمانه الخاص . فلما تقابلوا قال لهم الجنرال داماس : ما مرامكم ؟ فقالوا له : تسليم المدينة ، وخروج العساكر بطريقة امينة . وسفرهم الى اراضى الشام من القاهرة ، من دون مشقة ومخاطرة . وفرمان الامان الى الرعايا والاعيان . فرجع الجنرال واخبر امير الجيوش بذلك ، فردّ الجواب : ان الباشا وكتخدا الدولة ، مع الغز والسناجق وكامل العسكر ، لهم الامان . واصدر لهم فرمان [بان]^(٦) ينقلوا الى قاطع الخليج^(٧) ويقوموا^(٨) هناك ثلاثة ايام . بينما يتجهز لهم ما يحتاجون من لوازم الطريق لارض الشام . ويخرجون بساير خيلهم واتقالهم . وعند السفر يسير معهم الجنرال رانيه^(٩) باربعة الاف صلدات الى الصالحية ،

(١) وردت في الاصل (وطردهم) فاقتضى التصحيح .

(٢) السناجق : مفردا سنجق ، وهو حاكم الدائرة التي تحمل الاسم نفسه (السنجق) . وقد مرّ شرحها . والكشاف : مفردا : كاشف ، وهو ، في مصر ، رئيس المقاطعة (محيط المحيط) .

(٣) عن الفرنسية Bombe ، وهي القنبلة .

(٤) الآخرة .

(٥) راية .

(٦) وردت في الاصل (بل) فاقتضى التصحيح .

(٧) خليج السويس .

(٨) ويقيموا .

(٩) الجنرال رينييه Reigner .

ليلاً^(١) يصير لهم معارضة في الطريق من اهل البلاد ، ويكون سبيلاً للفساد . وجميع ما يتركون من المجاريح وذوى الامراض فيكون لهم الامان وعدم الاعتراض . ولاجل عدم وقوع الخلل^(٢) منهم بعد اصدار هذا الامان لهم ، يكون عندنا منهم اثنان رهينة حينما يخرجون من المدينة ، ويصلون الى ارض غزة ، ويرجع الجنرال رانية الى مصر بسلام ، فنطلق سبيل الرهاين بكل اكرام . وقد اصدرنا لهم هذا الامر الكافى والامان الوافى . واما اهل المدينة فلا نمنحهم الامان ، وليس لهم ان يسألوا عنهم الان . لانهم رعاياى وتديرهم مختص بي . فرجعوا السنجان والشيخان واعرضوا القول على الغز والباشا وكتخذا الدولة ، فامثلوا القول ، وعقدوا الرأى على ارسال سنجقين رهينتين وهما : عثمان بيك البرديسى وعثمان بيك الاشقر ، وحضروا لعند امير الجيوش ، ونبهوا حالاً على العساكر بالانتقال الى الجهة الثانية من الخليج . ودخلت العساكر الفرنساوية واخذوا الجهة الواحدة من الخليج ، وتملكوا المتاريس . ونصبت الغز والعساكر العثمانية اوطاقها خارجاً عن باب النصر ، وشرعوا يتأهبون لاجل السفر من مدينة مصر . ونصب الجنرال رانية مضاربه امامهم . وكان حزناً عظيماً عند المصريين ، وسقط عليهم خوف جسيم ، وبدوا بالنوح والعيول ، والبكاء [ء] والتعداد^(٣) المستطيل ، فى جميع منازل الاسلام الخاص والعام . وبدوا يستبون الغز ويشتمونهم وهم خارجين ، ويقولون لهم : قد احرقتمونا بناركم من بغيكم وضلالكم ، واسيئتم^(٤) الينا وطرحتم شركم علينا ، وقتلتم رجالنا ويئتم اطفالنا .

وفي الثلاثة ايام ، خرجت العساكر من مصر بالتام . وخرجت معهم عدة من العوالم^(٥) وساروا قاصدين غزة والاراضى الشامية . والجنرال رانية ساير في اثرهم بمن معه من الفرنساوية . الى ان اوصلهم للصالحية . واستراحوا يومين واخذوا ما يحتاجون ، وتوجهوا لقضية . وقد ساعدهم الجنرال بما يحتاجون اليه من الماكل ومن الخيل والجمال . وتعجبت الاسلام من امان هولاء الانام ، وحفظهم للذمام . اذ كانوا خاشين^(٦) من خيانتهم بالطريق وغدرهم في تلك البرية . ثم رجع الجنرال عنهم الى القاهرة بعزة وافرة .

(١) لئلا .

(٢) ولكي لا يصدر منهم اخلاخل بالاتفاق .

(٣) بمعنى النواح الذي يرافقه ندب وعبارات حزن وألم .

(٤) وأسأتم .

(٥) مفردتها : عالم ، وتعني : الخلق كله ، او الناس والبشر . والمقصود : انه خرج مع العساكر من مصر عدد كبير من اهالى البلد .

(٦) من الحشية ، خائفين .

واما امير الجيوش، فانه بعد ما سارت العساكر، امر بان يعملوا فرحة عظيمة، وحضرت اليه الاعيان والحكام والعلماء وارباب الديوان. واقعد عن يمينه السنجقين بكل اكرام. ورجعوا الفرنساوية الى محلاتهم في المدينة. وبعد ثلاثة ايام، عمل امير الجيوش ديواناً ودعا اليه العلماء والاعيان وقال لهم: اتى كنت اظنكم ايتها علماء الديوان انكم من الناس العقلاء ذوى الازهان. والان قد استبان لي ان عقولكم اخف من عقول الصبيان، واجهل من النسوان. لان بعد معرفتكم انى قد قهرت وزير السلطان، وشتت جيشه في البرارى والوديان، فقبلتم شرذمة يسيرة وفرقة حقيرة، هاربين من سيفى الباتر وقوة بطشى القاهر. وادخلتموهم القاهرة، واخذتم تحاربونى بعيون فاجرة. مع انكم تعلمون لا ترجون الآذل والاهانة، وخراب وطنكم الكنانة. وهلاك الرجال وذهاب الاموال. وقد كنتم قادرين على طرد هؤلاء القوم الهاربين، وعدم تمكنهم الغير الامين^(١). وانى قد كنت قادراً بعد حضورى ان احرق المدينة في الحال، ولكن اخذتنى الشفقة على النساء والاطفال الذين لا رضا لهم بهذا الوبال والنكال. والان قد صفحت عن خطاكم^(٢)، ولكن يلزمكم ان تدفعوا مليونين من الريال، مبلغها ستة عشر الف كيس ثمن دماكم^(٣)، وعشرين الف بندقية، وخمسة عشر الف جوز طينجات، وعشرة الاف سيف، واربعماية بغل، ومائة حصان. وهذه يكون منها على السيد احمد المحروقى مائة وخمسين الف ريال، وعلى شيخ مصطفى الصاوى خمسين الف ريال، والشيخ العنانى ثلاثين الف ريال، وبقيّة المال على اهالى البلد جميعها. واما النصرارى فليس لهم ان يساعدوكم بدرهم واحد، فكفاهم ما جرا عليهم منكم من الوبال، والهتيكة^(٤) وسلب المال. وما تكبدوه من الاضرار وسفك الدماء [منكم يا اشرار. مع اننا افهمناكم امرار^(٥) عديدة اننا نحن لسنا من النصرارى، بل نود الاسلام ونحترم القرآن بكل احترام. وما سمحنا لهم بحمل السلاح الا ليحموا انفسهم منكم يا قباح. اذ نظرنا هجومكم عليهم. ثم نهض من قدامهم وهو مملوء من الغضب ولم يلتفت اليهم. ثم استدعى يعقوب القبطى الذي ذكرنا انهم حاصروه في حارة الاقباط، وامره ان يستود منهم في الحال ما طلبه من المال. وارسل قبض على السيد احمد المحروقى، وضبط منزله وارسله للقلعة. وسجن ايضاً امرأته فكان امر عظيم عند المصريين، وغم لا يوصف عند المسلمين. وارتجت تلك الديار من سطوة هذا الاسد المغوار. وخافت منه الصغار والكبار. وقطعت الاسلام الامال من التغير والابتدال.

(١) اي لا يستطيعون ضمان امنكم.

(٢) خطنكم.

(٣) اي ثمننا لحفظ دماكنكم وحياتكم.

(٤) من هتك : فضح . والهتيكة : الفضيحة .

(٥) مرارا .

وخرجوا النساء خروجاً شنيعاً مع الفرنسيين. وبقت^(١) مدينة مصر مثل باريز في شرب الخمر والمسكرات والاشياء التي لا ترضى رب السماوات. ورجعت الولاية والحكام لما كانوا عليه أولاً من الاحكام. واحضر امير الجيوش السيد خليل البكرى الذي قد كانوا الاسلام نهبوا بيته، وانعم عليه بما كان راح له، وارجعه الى الديوان كما كان. واحضر رجلاً ونصبه عوض مصطفى اغا الذى قتلوه، واقامه على الانكشارية. ثم يعقوب القبطى انعم عليه بالجنزالية، ووضع على كتفه شراديب^(٢) الذهب كالعادة هذه المنصبية^(٣) وامر^(٤) [هـ] ان يجمع عسكرياً من الاقباط. ودعى من ذلك الحين الجنرال يعقوب. وكان ذلك مكافأة له لما ظهر منه من الشجاعة والفروسية مع الصلداة الفرنسية. وجع ثمانمائة راجل من الاقباط ولبسهم لبس الصلداة. وكانت الفرنسية تعلمهم فنون حرب الافرنجية، في كل يوم بكرة وعشية. ثم احضر نقولا قبطان الروم واكرمه غاية الاكرام، واعطاه الوظيفة الجنزالية، ووضع على كتفه الشراديب الذهبية، وذلك لما ظهر منه من الشجاعة والرجولية، واقامه جنرال على العسكر الرومية، والبس عسكره الملابس الافرنجية. واحضر ايضاً برتولى الساقزلى^(٥) وانعم عليه الجنزالية. وبلغ عسكر الاروام ثلاثمائة صلداة من الشجعان.

[ذكر الاتفاق بين الفرنسيين والعثمانيين]

ثم ان امير الجيوش ابدأ ببنية ابراج جديدة حول مصر، خشية من قيام اهاليها وعصاوتها على الفرنسية، ان وردت الالخصام لمحاربتهم من البلاد العثمانية، لانهم كانوا يخشون قيام اهالى المدينة اكثر من القادمين عليهم من البرية. وهذه مرة ثانية التى قامت بها اهالى مصر على الفرنسية. وهذه المراتين اهلكوا من العسكر الفرنسية ما يفوق عن الثلاثة الاف، ما عدا الذين اهلكوهم خفية في المنازل. فشرعوا اولاً في بنية القلعة التى في كوم^(٦) الزيت بين القلعة الكبيرة وقلعة كوم الغريب. ثم شرعوا ايضاً في بنية قلعتين فوق الكومين

-
- (١) وبقيت؛ وصارت.
(٢) شراشيب، وهي جمع غير صحيح لكلمة (شراريب) ومفردتها: شرابة، وهي ضمة من خيوط يعلق طرفها الواحد بالطربوش وغيره، ويتدلى طرفها الآخر. وقد تتدلى على الكتفين او سواهما.
(٣) المنصب، الوظيفة.
(٤) اضفنا الهاء على (امر) كي يستقيم المعنى. ووردت (امره) في نسخة الشهابي (ص ٣١١).
(٥) بارتليمي (Barthelemy) من جزيرة سيو (Scio)، او كيو (Chio) وهي جزيرة يونانية في بحر ايجيه غرب ارمير.

- (٦) كوم: من كوم. وكوم القراب والحصى: جمعه وجعله كومة، اي قطعه قطعة. والكومة: القطعة من القراب وغيره. والاكوم: المرتفع (محيط المحيط). والكوم: من العامية المصرية، والعامية العربية بشكل عام. وقد شاعت في مصر. ويحمل كثير من الاماكن فيها (القرى والدساكر) هذا الاسم (كوم أمبو، شبن الكوم، وغيرها).

الخارجين من باب النصر . ثم شرعوا ايضاً في بناية القلعة فوق باب النصر ، وقلعة ثانية فوق باب الفتوح ، وقلعة فوق باب العدو ، وقلعة فوق باب الحديد . وشرعوا ايضاً في بناية قلعة فوق باب الريش الخارج عن المدينة ما بين العدو والحسنية . وهذا الكوم كانت العساكر العثمانية تحارب عليه الفرنسيات في مدة الحصار ، واخذته منهم الفرنسيات قوة واقتداراً ليلة تلك الامطار . ثم شرعوا ايضاً في بناية قلعة فوق كوم الذي بين اليزبكية وبولاق . وفي بناية قلعة في بولاق من جهة البحر فوق كوم السبيطة . ووجدوا سوراً قديماً كائناً من باب النصر الى باب الحديد قد تغطى من العمارات على مدى الزمان ، فامر المهندسون بكشفه ، وهذه القلعة بنوها مع السور المذكور . ثم شرع ايضاً يعقوب القبطي الجنرال بعمل سور وابراج حول دور النصر والاقباط ، لما قاساه في مدة الحصار الذي قد كان آيلاً لهتك الاستار وفضح الاحرار ، وقطع العمار والدمار والذثار^(١) . فهذا الزم يعقوب الجنرال لهذه العمار ، ولكن لم يكمل عماره الا في زمان الامير منو^(٢) كما سيأتى ذكره فيما بعد .

فقد قلنا سابقاً ان مراد بيك لم يرد يدخل القاهرة مع ناصيف باشا وعثمان بيك كتحدا الدولة وباقي الغز المصريين ، بل بقي خارجاً عنها ، جايلاً في برّ الجيزة مدة اربعة وثلاثين يوماً ، بشرذمة وجيزة . وكانت نفسه في مسافة هذه المدة المذكورة تنوق إلى الصلح مع الفرنسيات ، لما شاف من ضعف العساكر العثمانية وقوة بطش الفرنسيات . وقد كان امير الجيوش يود انتظامه ويؤثر التيثامه ، فوجه له برطولى الساقزلى الجنرال ، وهذا كان يتكلم باربعة السن : العربية التركية الرومية والطينانية . وكان متربياً في مدينة مصر ، وله الدالة^(٣) في بيوت السناجق والكشاف . فسار هذا لعند مراد بيك واخبره ان امير الجيوش يروم اتحاده لا ابعاده ، ويرغب وداده لاجلاده^(٤) . ويرفع احقاده ويبطل جلاده . وياخذ من الصعيد بلاده ويريح فواده . ويكسب نفسه واجناده^(٥) . فلما فهم مراد بيك هذا الخطاب انشرح صدره واجاب : إلى الصلح والاصطلاح ، وابطال الحرب والكفاح ، صيانةً للاجساد والارواح ، ليلاً^(٦) يفتح العزيز الفتاح باباً غير هذا الباب للفرح والنجاح . وقد كان عند مراد بيك رجلاً من خدامه قائماً بتدبير امر المدافع يدعى حسين اغا الزانطلى ، وهو من

(١) الاندثار .

(٢) الجنرال منو Menou وقد مرّ ذكره .

(٣) الحظوة .

(٤) جالدوا مجادلة وجلاداً : ضارب بعضهم بعضاً بالسيوف . وجلاده : مقاتلته .

(٥) جنوده .

(٦) بمعنى : لعل .

مدينة زانطة^(١)، واسلم في مصر مع اخوته الاثنين، وكانوا جميعهم في خدمة مراد بيك قايمين. وهذا المذكور ايضاً كان يتكلم باربعة السن، فارسله مراد بيك الى الامير كليبر لاجل اتمام الصلح بينهما. وبواسطة هذين الشخصين تم الاتفاق وارتفع الانشقاق، وانعقدت المشورة على ان مراد بيك يصنع وليمة للامير كليبر في جزيرة الذهب^(٢) القريبة من الجزيرة، ويدعوه اليها. وهناك يكون الاتفاق. فركب امير الجيوش الى الجزيرة ومعه عثمان بيك البرديسي وعثمان بيك الاشقر، وسار بنفر قليل الى مقابلة مراد بيك. فحين وصل وتقابلا، تلاقاه مراد بيك بكل بشاشة، وتصافحا مصافحة الاخوان، وجلسا في ذلك الديوان بالسرور والامان، وجلس معها داماس الوزير ود ميانوس^(٣) الترجمان، ووقفت جميع السناجق والكشاف. ثم بعد المخاطبة والكلام بالترحيب والاكرام، امر مراد بيك الى الواقفين بالخروج، وهناك عاهد [أمير] ^(٤)الجيوش [^(٥)مراد بيك العهد التام، وانه يقيم في بلاد الصعيد بعيش رغيد، مع ساير من يروم اقامته من الغز والممالك هناك. وصرفه^(٦) بجميع ما له من الاملاك، ويكون حاكماً على مدينة جرجة^(٧)، ويدفع للشيخة مال ميريا^(٨) المترتب عليها. وانه يرسل الى ابراهيم بيك وبقية الغزان يكون لهم الامان. ثم عاهده ايضاً انه اذا اخلت الفرنساوية الديار المصرية، فلا يكون تسليم هذه الملكية الا له دون غيره من الدول. فانشرح مراد بيك بهذا الامل.

وبعد اتمام الكلام وبلوغ المرام، اهدى مراد بيك لاميير الجيوش سيفاً ثميناً وخنجرأ عظيماً، والى الوزير [Damas] داماس سيفاً من الهندوان^(٩)، والى الترجمان خاتماً ثميناً من الماس. وبعد ذلك قدم له صفرة^(١٠) الطعام وانية المدام^(١١)، كلها من المواكيل^(١٢) الفاخرة بالروايح العاطرة. فاكلوا

-
- (١) مدينة زانتيو: تقع في جزيرة زانتيو (Zantio) او زانت (Zante) از زانط (Zanthe) وهي جزيرة من الجزر الايونية (Iles Ioniennes).
- (٢) جزيرة الذهب: جزيرة في وسط النيل، جنوب مصر، وقد تحدث عنها المقريري في خططه، فارجع إليه.
- (٣) داميانوس Damianos.
- (٤) وردت في الاصل (الامير) فاقتضى التصحيح.
- (٥) وردت في الاصل (الى) زائدة فآثرنا حذفها ليستقيم المعنى وهو: وهناك عاهد امير الجيوش مراد بك العهد التام.
- (٦) اعطاه حق التصرف.
- (٧) وردت (جرجي) في نسخة الشهابي (ص ٣١٣)، والصواب: جرجا: وقد مر ذكرها.
- (٨) الميري: عامية، وهي، لغة: الميرة، اي ما يؤخذ على الاملاك الخارجية من المال.
- (٩) سيفاً من الهند. ويدعى: السيف الهندواني، وهي نسبة شاذة (محيط المحيط).
- (١٠) سفرة = مائدة طعام.
- (١١) المدام: الحمر.
- (١٢) المأكلا.

وشربوا ولذّوا وطربوا. وطالت لهم الاوقات بالحبّ والمسرات. واتصل بينهم الوداد وتركوا البغضة والعناد. ثم ان مراد بيك طلب من امير الجيوش حضور العساكر الفرنسية من المشاة والخيال^(١) ليلعبوا امامه، ويتفرّج على ما يعملون في حربهم من الصناعة والفنون. فامر امير الجيوش باحضار خمماية صلدات من الجيزة. فحضرُوا بمدة وجيزة، وطفقوا يلعبون ويظهرون ما عندهم من الحرب والفنون، صناعة تاخذ العقول وتدهش العيون. فانشرح مراد بيك من تلك الفرجة واخذ الفرحة والبهجة. ثم ركبت الغزّ الممالك، وبدوا يلعبون على الخيل ملاعب الحرب القوية. فانشرح امير الجيوش وشهد لهم في الثبات والفروسية، وقال لمراد بيك: ان فوارسكم اصنع^(٢) في الطعن واثبت في الحرب على الخيل بالميدان. وبعد انقضاء النهار، نهض امير الجيوش على اقدامه وقام مراد بيك لقيامه. وودّعوا بعضهم بعض بالانس والسرور والغبطة والخبور. وخرج امير الجيوش من ذلك المكان وبدا يرمى الذهب الكبير على ساير الانام. ولم يزل على ذلك الشأن الى ان صار خارج الديوان. فقدم له مراد بيك جواداً، والى وزيره جواداً، من الخيول الجياد بالعدد الكاملة. وسار امير الجيوش الى الجيزة، ومن هناك ارسل الى مراد بيك فرمان التصريف مع حسين آغا الزانطلي، واعطى للمذكور وظيفة سنجاقية، واقام ككتخدا مراد بيك^(٣). وتوجه مراد بيك للصعيد، وكان معه عثمان البرديسي، وعثمان بيك الاشقر، وسليمان بيك، واحمد بيك الكورجي، وعثمان بيك الطويجي. و [أ] قام في الصعيد بعيش رغيد، واجتمع عليه من السناجق والكشاف من تلك الاطراف والارياف.

وقد تقدّم القول ان الوزير الاعظم، بعد امضاء الشروط، ارسل صورة الاتفاق الى الدولة العلية والمملكة العثمانية. وصار فرح عظيم بمدينة القسطنطينية، وبساير الاقطار الاسلامية. واشحنت التجار اصناف البضائع في السفن البحرية السائرة الى الاسكندرية، لعلمهم ان الاقطار المصرية تسلمتها الدولة العثمانية. وما توفّق وصولهم الا بعد فساد الصلح والنية^(٤). وعندما ما اقبلوا على الاسكندرية ونظرت اليهم الفرنسية، فرفعوا لهم السناجق العثمانية. فدخلت تلك المراكب الى البواغيز من غير خوف ولا تحريز^(٥). وارموا المراسي والحبال وهم باغضاء بال^(٦). ونزلت رؤساء

(١) وردت في الاصل (الخيال) فاقتضى التصحيح.

(٢) من صنع: اكثر صناعة، بمعنى: اكثر اتقاناً لصناعة الطعن.

(٣) اي انه اعطى لحسين آغا الزانطلي مرتبة (سنجق) وجعله (كتخدا) لمراد بك.

(٤) اي ان هذه السفن ابحرت الى الاسكندرية عند علمها بالاتفاق، ولكنها وصلت اليها بعد ان افسد

الانكليز ذلك الاتفاق ووقعت الحرب.

(٥) من حرز، بمعنى: حرس وحرص. والتحريز: التحفظ والتحصن والتحرص.

(٦) براحة بال.

المراكب الى البرّ وهم مأمنين^(١) فقبضت عليهم الفرنساوية، وارسلوا ضبطوا المراكب بما فيهم، وكانوا نحو ثلاثين مركباً صغيراً وكباراً، وبهم من البضائع ما يحترق الانظار. وارسلوا اعلموا امير الجيوش بتلك الاخبار، وذكروا له ان البحرية اكثرهم اروام، وما فيهم الا قليل اسلام. فامر امير الجيوش ان تباع البضائع على التجار. وامر الى نقولا الجنرال ان يتوجه للاسكندرية، ويعين عنده الاروام النوتية^(٢). فسار المذكور كما امر الجيوش، وعين عنده الاروام، والبسهم لبس الصلداة الفرنساوية.

واما وزير الختام، بعد كسره ورجوعه الى غزّة بالذلّ بعد العزة. وقد تفرقت تلك الجيوش والامم في الصحارى والاكام، وخرجت الغز من القاهرة بالقهر والارغام، وشاعت اخبار هذا الانكسار في سائر النواحي والاقطار. لانه من غرايب الامور، وعجائب ما يحدث في العصور، والازمنة والدهور، ان فئة يسيرة تشتت عدّة [ملايين]^(٣) غزيرة، وتقوى وتقتدر وتظفر وتعلو وتتنصر. فهذا يحير الافكار، ويدهش الاسماع والابصار، فالعزة لله القوى الجبار. وقد ارتجت ممالك الاسلام رجّة قويّة، ووقع عليهم الخبال من تلك الاحوال. وابتدات اصحاب العقول في الافتكار، وتدبير ما يزيل عنهم هذا العار، ويبتد هولاء الكفار.

[ذكر مقتل أمير الجيوش الجنرال كليبر]

وقد كان في مدينة القدس المحمية احد اغاوات الانكجارية^(٤)، اسمه احد اغا، من مدينة حلب القوية. فهذا يجول بافكاره^(٥) على شخص مغوار، او مغازى يغار، او محتال غدار، او خبيث مكّار، يحتال بالفطنة والاختيار، على قتل ذلك الرهط الجبار والبطل القهار، سلطان اوليك الكفار، ويسقيه كاس الدمار. وقد اجتهد في ذلك التدبير، والامر الصعب العسير. الذي لا يقدم عليه الا كل ليث خطير، أو شجاع مغير، يطلب المنادة، والموت في المغازاة. او طمعاً في المكاسب وعلو المراتب. وبينما هو في ذلك الاهتمام لبلوغ المرام، واذ تقدم عليه شاب قوى الجنان، مملوء من الجهل اسمه سليمان^(٦). وهو من مدينة حلب الشهباء [ء]، قد هزه جنون [الصبا]^(٧)، واوعده بقتل ذلك

(١) مؤمنون : مطمئنون.

(٢) البحرية.

(٣) وردت في الاصل (ملايين) فاقتضى التصحيح.

(٤) الانكشارية.

(٥) اي يبحث عن.

(٦) هو سليمان الحلبي الذي قتل الجنرال كليبر طعنا بالخنجر، وقد مرّ ذكره.

(٧) وردت في الاصل (الصبا) فاقتضى التصحيح.

السلطان حباً بالدين والايان . فاخذ بجسره^(١) ذلك الاغا المذكور ، ويحثه على قضاء هذا الامر الماثور . ويوعده بما يناله من الانعامات الوفية من الدولة العلية ، وما يحصل له من السرور ومن الاسم المشهور مدة الاعوام والدهور . وكان ذلك الشاب ما بلغ من العمر اكثر من اربعة وعشرين سنة ، الا انه اسد درغام وليث هجام . فسار من القدس على هذا المرام ، ودخل الى غزة بنفس مُعْتَزَّة . وهناك اجتمع باحد من اغاوات الانكشارية اسمه ياسين اغا ، من الرجال الخلية . فحدثه الشاب بما فى ضميره من النية من قتل السلطان الفرنساوية ، فجسره ياسين اغا على تلك النية ، واعطاه اربعين غرش اسدية^(٢) . وسار المذكور الى مدينة مصر الكنانة ، وفى قلبه الغدر والخيانة . ودخلها في شهر ذى الحجة ، ونفسه غير مرتجة وقطن في جامع الأزهر . وهناك اجتمع باربعة انفار من المجاورين^(٣) واخبرهم بما في باطنه من الكمين . وطفق يتبع امير الجيوش من مكان الى مكان ، ويترقب له فرصة من الزمان ، ليبلغ بها المرام . وحين آن الآوان ، وسمع العزيز الرحمان ، ودنت الاجال واتسع المجال ، ركب امير الجيوش ذات يوم من الجيزة الى القاهرة ، وكان ذلك نهار الاثنين الواقع في ٢١ محرم سنة ١٢١٥^(٤) . فمن بعدما لبس [شيخ العريش]^(٥) على القضاوية ، جال ذلك النهار في مصر مع عساكره القوية ، ورجع الى منزله في موكب عظيم ومحفل جسيم . ودارت المناداة في شوارع القاهرة تنادى حسبها رسم السلطان كليبر ، سلطان مملكة مصر القاهرة ، وصاحب الجيوش الظافرة . وكان قط لم ينادوا في شوارع مصر جهاراً باسم السلطان الا لذلك البطل القهار . ثم بعد رجوعه الى منزله ، قصد المسير لعند وزيره داماس ، اذ كان منفرداً عن الناس ، وقد قدّمنا الايراد انه كان يحب الانفراد . وعند آخر النهار ، خرج مع شيخ المهندسين ، وقد [جرتة]^(٦) الاقدار الى شرب كاس البوار^(٧) . وبينما هو منفرد في الجنينة الكائنة بين منزله وبين منزل وزيره داماس ، فدخل عليه ذلك الشاب سليمان ، وكانت عليه ثياب باليات . ومدّ يده اليه ليستعطى منه صدقة ،

(١) يشجّعه .

(٢) هكذا كان يسمى المصريون والشاميون الدولار الهولندي ، ويسمونه كذلك (ابو الكلب) ، وذلك لانهم يرون ان رسم الاسد المنقوش على هذا الدولار اشبه برسم الكلب . (Ainé, Op.cit. P. 285, Note 21) .

(٣) المجاورون : من جاور : انقطع الى الدراسة في مكان محدد . وقد اطلقت هذه التسمية (المجاورون) على طلاب الازهر الشريف الذي كانوا يقدون الى القاهرة وينقطعون الى الدراسة فيه .

(٤) الموافق لتاريخ ١٤ حزيران ١٨٠٠ وقد مرّ ذكره ، اما اليوم ، فيصادف يوم (السبت) وفقاً لتقويم اللواء محمد مختار باشا (التواريخ الهجرية) الذي نرجع اليه ، وليس (الاثنين) كما ورد عند المؤلف . اذ ان بدء شهر المحرم عام ١٢١٥ هـ . هو يوم الاحد في ٢٥ أيار / مايو ١٨٠٠ م .

(٥) وردت في الاصل (الشيخ العريش) ، وهكذا وردت في نسخة الشهابي (ص ٣١٥) ، الا ان اينيه ترجمها (شيخ العريش) ، وهذا هو الصواب ، فاقضى التصحيح . والمقصود بالعبارة ان الجنرال كليبر اتى الى القاهرة وألبس شيخ العريش خلعة القضاء ، بعد ان عيّنه قاضياً .

(٦) وردت في الاصل (أجرتة) فاقضى التصحيح .

(٧) البوار : الهلاك والفساد ، ودار البوار : جهنم (محيط المحيط) وكأس البوار : الموت .

واعطاه من يده ورقة . فاخذها كبير من يده ، وبينما هو يمين في [قراءتها]^(١) ، فانقضّ عليه ذلك الشاب وضربه بسكين كان محتفظاً عليه تحت ثيابه ، فجاءت الضربة بخاصرته ، فسقط في الارض وصرخ صوتاً عظيماً . وضربه ثانياً وثالثاً ورابعاً . وقد سمع صوته كل من كان بالقرب منه ، فبادر اليه المهندس ويده [عصا]^(٢) فضرب القاتل بها على هامه فجرحه ، فهجم سليمان على المهندس وضربه بتلك السكين ، فجرحه جرحاً بليغاً ، ووقع على الارض بين ميت وحيّ ، وفرّ القاتل هارباً . وعندما سمع داماس الوزير صوت امير الجيوش بادر مسرعاً ، فنظر امير الجيوش ملقى على الارض طريحاً ، فحار وصرخ : من فعل بك يا مليح هذا القبيح [؟] ، فرفع يده واومى [الى] القاتل الهارب . وحضرت الصلداة وداروا حول الجنينة ، وطفقوا يفتشون . واى من وجدوه عليه يقبضون . واذا بامرأة من شبّاك دلت على القاتل ، وكان مختفياً في بعض الدهايز . فقبضوا عليه ، ونظروا الى ثيابه عليهم اثار الدما [ء] والسكين معه . واتوا به فرفعوا جسد امير الجيوش الى منزله . واجتمعت الجزالية والكوميسارية والافيسالية^(٣) والجراحية ، وبدوا بصبّ العلاجات . فما مكث غير برهة يسيرة ومات . وصار حزن لا يوصف عند ساير الجيوش الفرنساوية ، وبكوا بكاء مرّاً ، وعضوا البنان تحسراً وقهراً . واخذوا يقدحون شرراً ، وينظرون [شزراً]^(٤) ليخرجوا الاحكام بتدوير الحسام فى النصارى والاسلام ، ويقتلوهم على التام^(٥) . ولولا تعطف الملك العلام ، وظهور ذلك الغلام . ويتضح النور من الظلام . لكان حلّ باهالى مصر الويل والاهدام . في هولاء القوم الليثام ، الذين لا يعرفون الحلال من الحرام ، ولا يخشون ربّ الانام .

وأما أهالى القاهرة ، فشملمهم خوف عظيم من هؤلاء الجبابرة^(٦) . وأختفت الناس في المنازل والبيوت ، وأخذتهم [البهتة]^(٧) والسكوت . وبقي كل منهم مبهوت في قتل ذلك البهموت . وخافوا ان يكون ذلك الفعل الذميم من سكّان تلك الاقاليم . وان هذا القاتل الشنيع يرمي الناس في هذا المهلك الفظيع والخطب المريع . وأما الفرنساوية ، حين وقعوا في هذه البلية ، أحضروا القاتل سليمان

-
- (١) وردت في الاصل (قرأتها) فاقتضى التصحيح .
(٢) وردت في الاصل (عصاة) فاقتضى التصحيح .
(٣) من Officiers : الضباط ، هكذا ترجمها اينيه (Op. cit. p. 223) او من Officiels : الرسميون . وقد وردت (الفيشالية) في نسخة الشهابي (ص ٣٠٦) .
(٤) وردت في الاصل (ذكرا) وهي غير ذات معنى في سياق العبارة . فاقتضى التصحيح . وقد وردت (شذرا) في نسخة الشهابي (ص ٣١٦) ، والصحيح : شزرا ، ونظر شزرا : نظر بغضب او بإعراض (بمؤخر العين او عن يمين وشمال) .
(٥) اي ان الفرنسيين فكروا بإعمال السيف في المصريين ، نصارى ومسلمين ، انتقاما لمقتل قائدهم .
(٦) اي من الفرنسيين .
(٧) وردت في الاصل (البهة) فاقتضى التصحيح . والبهتة . من بهت الرجل ، اي جمّد ساكنا ، وهي عامية ، وتعني : الدهشة والحيرة ، والبغته . وقد وردت (الغفلة) في نسخة الشهابي (ص ٣١٦) .

وعذبوه العذاب الشنيع، فقر^(١) واعترف بما صنع وأتلف. ومن هو الذي أرسله لهذا الطرف. وكيف متا وتصرف. وقرّ عن أوليك الاربعة أنفار المجاورين، الذين عندهم حقيقة الخبر باليقين. فسارت الصلداات الفرنساوية اليهم بالخفية ليلاً^(٢) يعلموا ويهربوا، فدخلوا الجامع وقبضوا على الثلاثة وهرب الرابع. وأحضروهم وبدوا يعذبونهم ويقرّرونهم^(٣) ان معهم خبر هذا القاتل سليمان، وما هو معول عليه من الحرام، وقد نصحوه فلم يسمع كلام. فحكم عليهم الشرع بالموت [لعدم] ^(٤) تخبيرهم وتحذيرهم.

وبرز من الشريعة الفرنسية ان سليمان القاتل تحرق يده أولاً بالنار، ثم يرفعوه على خازوق عال أمام النظر ثم يقطعوا رأس الثلاثة أنفار، ويرفعوهم على مزاريق^(٥) حول الخازوق. ثم ان في ثاني الايام، عند الصباح، صنعوا الفرنسية ديواناً عمومياً، واختاروا كبير الجنرالية المدعو الجنرال منو، وأقاموه أمير الجيوش عوضاً عن المقتول. وبعد ذلك صنعوا ميمياً^(٦) عظيماً ومحفلاً جسيماً، وصنعوا له تابوتاً من الرصاص ووضعوه فيه، بعدما جثثوا جسده وحنطوه. وأخذ داماس الوزير قلب الامير كليبر، ووضعوه في زجاجة، وسكب عليه ارواحاً^(٧) لحفظه من البلاء والفساد. وقد حزن هذا الوزير حزناً مفرطاً مع البكاء والتعداد. ثم أمر منو أمير الجيوش بنقل جسد سلفه، وحضرت كافة الجنرالية وباقي حكام الفرنسية، وجميع العلماء والاعيان، وجم غفير من كل الملل والاديان. واحضروا خيل الامير كليبر تم البسوهم الحلل السواد^(٨)، ووضعوا التابوت فوق عرباته، وغطوه بجلّة سودا [ء] ^(٩)، ومشّت جميع العساكر أمام التابوت وهي منكسة البندق^(١٠). وركب امير الجيوش منو مع سوارى العساكر، وسار من بركة اليزبكية الى قصر المعنية^(١١)، وجميع

(١) أقرّ.

(٢) ليلاً.

(٣) من الاقرار، اي الاعتراف.

(٤) وردت (بعدم) فاقتضى التصحيح. وقد وردت (لعدم) في نسخة الشهابي (ص ٣١٦)، وتخبيرهم: إخبارهم.

(٥) مفردھا: مزارق، وهو الرمح القصير.

(٦) مأتما.

(٧) ترجمها اينيه (Esprit - de - Vin) اي = روح النبيذ، ويستخرج من تقطير النبيذ. وهو نوع من الكحول يحفظ من التلف.

(٨) السوداء.

(٩) وردت في الاصل (سوداً) فاقتضى التصحيح، وقد وردت (السواد) في نسخة الشهابي (ص ٣١٧).

(١٠) البنادق.

(١١) قصر العيني. وقد وردت (قصر المعنية) في نسخة الشهابي (ص ٣١٧)، وترجمها اينيه (قصر المعني)، (Ainé, op. cit. P. 225) والصحيح = قصر العيني، وهو المستشفى الشهير في القاهرة.

العساكر والعلماء والاعيان، والحكام وارباب الديوان، ماشين قدام التابوت. والفرنساويون في بكا شديد، يحزن مفرط ما عليه من مزيد. وسحبوا القاتل ورفقاه حفاة عراة مكتوفين قدام التابوت. وحينما وصلوا أمام القصر، اصعدوا القاتل ورفقاه الى اعلا الكوم، وحذفوا رؤس^(١) اوليك الثلاثة انفار، ووضعوهم على ثلاثة مزاريق. واحرقوا يد سليمان القاتل وهو بالحياة، ثم رفعوه على خازوق عال، وركزوا الثلاثة مزاريق حوله. ثم اوقدوا ناراً شديدة واحرقوا بها اجساد اوليك الثلاثة انفار. ثم ادخلوا التابوت الى وسط القصر، وعملوا له مصطبة عالية ووضعوه فوقها وغرسوا حولها اغصاناً خضراً. وصعد امير الجيوش الى مكان عال، واخذ يعظ موعظة عظيمة تجعل القلوب كليمة، والدموع سجيمة^(٢)، تتضمن مراثى محزنة والثايات^(٣) الموهنة، على مثل هذا البطل الهمام والاسد الباسل الدرغام، الذى قد نشر الاعلام وقهر الانام، وطفر في عسكر الاسلام، وطرد وزير الختام، وبدد ذلك الجيش الملتأم^(٤)، وخلد ذكره مدى الدهور والايام. ومن بعد اتمام تلك المراثى الموجهة والتعديدات المتنوعة، اطلقوا البندق الكتيرة حول التابوت، وبكوا بكاءً مرّاً على هذا البهموت، ثم اقاموا محافظاً^(٥) ليلاً ونهاراً، وفي كل ثلاث ساعات يتغير احد الصلداات ويأتى غيره، اكراماً له واجلالاً لقدره. وبعد ذلك رجع امير الجيوش الى منزله ببركة اليزبكية، وتفرقت لئنازها عساكر فرنساوية. وكل منهم ملتهب بنيران مهولة، بانهدام هذا الركن العظيم ذى الصولة. واستحوذ الحزن والاكتياب على المختصين به من الاحزاب، وتفرقت من ذلك الوقت منهم القلوب باذن عالم الغيوب.

[ذكر أمير الجيوش الجنرال عبدالله منو^(٦)]

وأما امير الجيوش منو، فهذا كان من المتقدمين في بلاط ملك باريز السلطان لويس^(٧)، وحين قتله المشيخة تبع هذا رأيهم. وحين حضروا للديار المصرية وحصلوا على ذلك التأيد، إقامه بونابارته حاكماً على رشيد. فمكث هناك مدةً وتزوج بامرأة مسلمة شريفة، وادعى بالاسلامية،

-
- (١) رؤوس، وقد وردت (روس) في نسخة الشهابي (ص ٣١٧).
(٢) سجم الدمع: سال قليلا او كثيرا. والدموع سجيمة: اي سائلة.
(٣) وردت (التوهيات) في نسخة الشهابي (ص ٣١٨). ولم نجد لكلا الكلمتين (الثايات، والتوهيات) معنى، سوى ان تكون: الآهيات، أو التأوهات، وهذا هو المرجح.
(٤) الملتئم.
(٥) حرسا، وهذه تقاليد عسكرية، اذ يحرس جثمان الضابط، بعد وفاته وحتى مواراته الثرى، ضباط يمتشقون السيوف.
(٦) سبق وتحدثنا عنه في احد الهوامش، فارجع اليه.
(٧) لويس السادس عشر وقد مر ذكره.

وسمّا ذاته عبد الله. وكان متقدّمًا بالعمر ذا احتيال ومكر^(١) ومن بعد تقدّمه على العساكر الفرنسية، وارتضوه الجميع^(٢) وشرع يغيّر في الاحكام والوظائف، وضمّ اليه حزبًا من الفرنسية، واضعف احزاب سالفه القوية. واتكل على تدبيره وقوة بطشه. فتغيّرت قلوبهم من ذلك الوقت، ووقع الاختلاف بين الفرنسية. وابتدا ذلك الامير في التبديل والتغير. وامر اولاً في قفل جامع الازهر، وعقد لذلك ديواناً، وادعى ان هذا المكان ليس هو محلاً للدرس والتعليم للفرايض والسنن، بل هو محلّ لعقد المشورة وإيقاظ الفتن. فامر بطرد المجاورين^(٣) وقفل ابوابه اجمعين. ثم امر بتكميل بناء الابراج التي كان شرع في بنائها سلفه الامير كليبر. ثم امر بتوسيع الطرقات التي داخل القاهرة، وهدم عدّة بيوت، وشرع بكشف السور الذي كانوا وجدوه من باب النصر لباب الحديد، وهدموا من امامه ومن ورايه بيوتاً عديدة. واكمل بناء هذا السور، وجعل من فوقه ثلاثة ابراج. وهدم جامع الحاكم بامر الله، المشهور في مصر، القريب من باب النصر، وجعله برجاً عظيماً. ثم حصّن اوليك البروج والاسوار، بالمدافع والقنابر الكبار. وامر الجنرال يعقوب بتكميل السور الذي كان شرع في بنائه بايام كليبر. وامر على النصارى الشوام ان يدفعوا ثلاثماية كيس بالتمام. واحداث على النصارى خراج ثقيلاً لم يمرّ بالازمنة خراجاً اثقل منه. وافرض^(٤) ايضاً على الاسلام واليهود كذلك. وكان كرباً عظيماً وظلماً عميماً، وذلك على الرعايا من جميع الملل، ولولا الرخاء العظيم، لكانت خربت من الظلم تلك الاقاليم. هذا والفرنساوية لم تكلّ من تعمير الحصون بمدينة القاهرة وفي الاسكندرية، واصرفوا^(٥) على ذلك خزائن عظيمة. اذ كانوا ناظرين قلة عددهم وعدم امدادهم وكثرة اضدادهم^(٦). فحصّنوا تلك الحصون المنيعة. وامر امير الجيوش باطلاق السيد احمد، المسجون من سلفه الامير كليبر. وقد كنّا ذكرنا ان حين قبض وزير الختام على الجنرال بوضوط [Beaudot]، قبض امير الجيوش على مصطفى باشا وارسله الى دمياط، واقام هناك تحت الرسم يكابد الهم العظيم. فمرض من قهره وتوارى في قبره. وصنعوا له الفرنسية بدمياط ميتاً^(٧) عظيماً، ومحفلاً جسيماً، حسب عادة رؤساء العساكر. فهذا ما كان من الفرنسية في الديار المصرية.

[عودة إلى ذكر امير الجيوش بونابرت]

واما ما كان من امير الجيوش بونابرت، فانه جاز البحار وداس الاخطار، ووصل بالامن

(١) الطلاب الذين يفدون الى الأزهر وينقطعون الى الدراسة فيه، وقد مر شرحها.

(٢) وفرض.

(٣) وصرفوا.

(٤) كثرة خصومهم واعدائهم.

(٥) مأتما.

الحريز الى مدينة باريز، وصنع اموراً غريبة واحتيالات عجيبة. ودخل على رؤساء المشيخة فارتجوا لدخوله، واهتزوا لحلولة. وتعجبوا غاية العجب من خلاصه من بلاد العرب. ونهضوا بوجهه نهضة الغضب، وعزموا على هلاكه والعطب. فنشر لهم اساطير اللوم والعتب. وطفق يبتكهم^(١) على فعلهم الذميم، وسيرهم الغير مستقيم. وخيانتهم الشنيعة وتخطيهم حقايق الشريعة. وتركهم الخواص رجال المملكة الفرنساوية في ممالك البربرية من دون عون ولا اسعاف. ورميهم في الهلاك والتلاف. فنهض اليه بعض رؤساء المشيخة فبدأ يبت له العذر، فما قبل عذره وجزره. فلما جزره ضربه بالشيش على هامه. فحين حسّ بونابارته بالآلم وثب على ذلك الشيخ وثب الاسد الضيفم، واطلق في صدره الرصاص فالقاه قتيل، وفي دمه جديل^(٢). وهجم على بقية ارباب الديوان مع اصحابه بالسيف والنيران، فقتل منهم اثنان، وهما اللذان كانا له مبغضين، وعلى هلاكه بالديار المصرية متفقين، وانتبهت اصحاب بونابارته وطفقوا يصيحون: فليعيش رئيس شعبنا الامير الشهير، الليث الخطير، بونابارته التحرير. وحينما سمع شعب مدينة باريز اسم هذا العريز، طفقوا يتهللون وبالندا يعلّون: فليعيش بونابارته مخلصنا وعظيم مشيختنا.

ثم ان بعد انقضاء الهياج وهدؤ ذلك العجاج، عقد بونابارته ديواناً مع عظماء الجمهور، وذوى التدبير في الامور. واوعظهم ان يختاروا رئيساً على شعب يكون خبيراً، وبامور الدهر عليمًا، فاجابوه جميعهم بصوت واحد: لا رئيس لمشيختنا سواك، ولا لنا مدبر الا ايتك^(٣). ودعوه القنصل الاول في الجمهور الفرنسيين، كما كانت هذه العادة عند الرومانيين. وابتدا، من ذلك الوقت والحين، بتجهيز العساكر الكثيرة والجيش الغزيرة. وفتح مدارس التعليم. وارسل الجيوش الى ممالك ايطاليا. واخفض المقامات السامية. ومهد الجبال العلية. وداس تلك الرقاع والبقاع. واسترجع المدن والقلاع. وملك الاقاليم والبلاد. وخضعت له تلك العباد. ودحض عساكر الامبراطور. واخلا منهم الدور. وانقادت له الملوك. وسالوه الصلح فلم يأب بل سلك معهم غاية السلوك. وقرّرهم على الرضى والاتفاق، مع العهود الوثاق. ورجع بالجيوش الى مدينة باريز بنصر عزيز. وارتجت جميع الممالك الافرنجية من سطوته القوية.

ومن بعد هذه الانتصارات الجزيلة التي تمت بايام قليلة، كتب القنصل الاول بونابارته الى البابا سلطان رومية كتاباً بالصلح والسلام، ويرده لكرسيه بالعز والاكرام. وفتح الكنايس جميعها في ساير بلاد فرنسا. واشهر ايمانه بالمسيح، واعترف جهاراً امام كل الشعوب بهذا الدين الصحيح. وانتشر ذلك في كامل البلاد الافرنجية. وابتدا يجاهد ويفرغ جهده لكي يُعين زمرة الفرنسيين

(١) يؤنبهم.

(٢) مجندل، صريع.

(٣) اياك.

الذين [بأقاليم] ^(١) مصر مقيمين . فلم يمكنه عدوّه الانكليز من ذلك . وقد سدّد عليه جميع الطرق والمسالك . وكان قبض على مقدار الاف اسير من المسكوبين في حرب نمسا ^(٢) ، وارسل اعلم بهم دولة الانكليز ، وطلب منهم ان يستفدى ^(٣) بهم ما عنده من اسير الفرنساوية . فأبى الانكليز [^(٤)] ذلك . وحين تحقق بونابارته انه لا يقبل ذلك الاتفاق ، فاحضر تلك الاسارى المسكوبين ، ومن عليهم بالاطلاق اجمعين . وكساهم كسوة جديدة ، وصنع لهم وليمة عظيمة . وحبّاً بهم ، امر افي زينة جسيمة ، وارسلهم الى كرسى دولتهم مع احد الجنرالية من قبله . وحرّر الى سلطان باولو ^(٥) انه : قد كتبت الى سلطان الانكليز ، صديقكم ، ان يستفدى بالاسارى المسكوبين بما عنده من [اسرى] ^(٦) الفرنساويين ، فأبى [^(٧)] ذلك ولم يرض .

وحيث وصلت الاسارى ، اعلموا السلطان باولو بما فعل بونابارته من الاكرام ، بعد الاسر والاعدام . ففرح فرحاً شديداً ما عليه مزيد ، وامر بزيّنة حبّاً بالمشيخة الفرنساوية واجرا الصلح بينه وبين القنصل الاول بونابارته ، على حرب الانكليز والدولة العثمانية ، بواسطة اقتدارهما وانتشار قوتها . واستعدّ الملك باولو المشار اليه على مضادة الانكليز والعثماني ، وكتب السلطان [باولو] ^(٨) للسلطان سليم ان يمنع الحرب عن الفرنساوية الممتلكين الديار المصرية ، لينما يدبّر امراً الى الصلح . وان لم يمتنع عن حرب الفرنساويين ، بينما اجرى صلحهم مع الانكليز ، والآ يقتضى الامران ينادى في الحرب . فحين وقف على هذا السلطان سليم ، فخرّج ^(٩) حالاً الامر من الدولة العثمانية برفع الحرب عن الفرنساوية الذين هم بالديار المصرية . فهذا ما كان من القنصل الاول بونابارته .

وأما ما كان من الانكليز ، فانهم لم يرتضوا بان يمتنعوا عن محاربة الفرنساويين ، فاخذوا يدبّرون مكاييد لهلاك السلطان باولو سلطان المسكوبين ، وبدوا يجمعون العساكر ليسيروهم الى مصر . فبلغ بونابارته ذلك ، ففي الحال ارسل مركباً صغيراً الى مدينة الاسكندرية ، واخبر امير الجيوش ان حاضرة لمحاربتهم عساكر الانكليزية بعشرين الف مقاتل ^(١٠) . واخبره بموت الجنرال ديزه

(١) وردت (بالاقاليم) فاقتضى التصحيح ، وقد وردت (مملكة مصر) في نسخة الشهابي (ص ٣٢٠) .

(٢) النمسا ، والمسكوبين : الروس .

(٣) يفتدى .

(٤) وردت (من) زائدة ، فأثرنا حذفها .

(٥) بول الاول (Paul I er) ، امبراطور روسيا (١٧٩٦ - ١٨٠١) .

(٦) وردت في الاصل (أسراً) فاقتضى التصحيح .

(٧) وردت (من) زائدة ، فأثرنا حذفها .

(٨) وردت في الاصل (بالو) فاقتضى التصحيح .

(٩) فأصدر .

(١٠) اي ان عشرين الفا من عساكر الانكليز جاهزة لمحاربتهم .

في حرب النمسا، فكان حزن عظيم عند الفرنسيين. واخبرهم ان يصنعوا ميتماً^(١) [كالعادة]^(٢) على رؤساء العساكر، وان يتشدوا للحرب والجلاد. واوعدهم بالاسعاف والامداد. واوصاهم بحفظ البلاد، بقوة الحرب والجهاد. وحين دخل ذلك المركب للاسكندرية، واوصل الكتابات إلى عبد الله منو من بونا بارت القنصل الاول، فعقد ديواناً في مصر، وحضرت رؤساء العساكر والاوفيسالية، وفرحوا فرحاً عظيماً بانتصاره. والصلح مع الملوك، وهدؤ المملكة وسكون حركاتها. وتساملوا^(٣) بالامداد، وانسروا بصلح البابا وركون البلاد. وحزنوا لفقد الجنرال ديزه وصنعوا له ميتماً، واجتمعت الفرنسيون الى بركة اليزبكية، مع العلماء والحكام وارباب الديوان. وصنعوا له تابوت، وخرجوا به من باب النصر وهم منكسين البندق، وساروا الى ارض القبة، وهناك عملوا المراثي والمناحة، واوردوا شجاعته وفروسيته، والانتصارات التي صارت عن يده. ثم اطلقوا البندق حول التابوت، وبكوا على فقد ذلك البهيموت، ورجعوا الى القاهرة بجسرة وافرة.

[ذكر ما جرى للوزير الأعظم]

ثم نرجع لما كنا [بايراده عن]^(٤) الوزير الاعظم. فانه، بعد رجوعه الى ارض فلسطين، بعد تلاشي عسكره ذلك المتين. ابتدا يفرق الفرمانات على ساير الاقاليم والبلاد، بطلب العساكر للجهاد. وابتدت تتوارد عليه العساكر من ساير الاماكن، [فجرد]^(٥) عسكراً عظيماً. وقد حدث بفلسطين وتلك الاقطار غلاء جسيم، ومات من القحط اكثر اهل الديار، من كثرة تلك العساكر المتبادرة، والجيش المتقاطرة. وتضايقت تلك العساكر من عدم المآكل، وماتت البهائم والدواب. ثم اعقب الغلاء [ء] الطاعون المريع والموت الفجيع، فمات منه الشريف والوضيع، وحق التلافي بكل الاطراف، بلا شك ولا خلاف. وحل بهم الوبال والنكال، وماتت منهم خواص الرجال. ولم يبق من تلك العساكر الا الوجيز. ومات كل رهط وعزيز. وقد مات من السناجق احسنهم وافرهم^(٦) واجلهم، وعدة وافرة من الممالك^(٧) الجبارة، وهم: مصطفى بيك الكبير، وايوب بيك الكبير، وعثمان بيك الشرقاوي، وعثمان بيك الطاويل^(٨)، وحسن بيك الجرداوي، وقاسم بيك ابو سيف،

(١) مأتما .

(٢) وردت في الاصل (كعادة) فاقتضى التصحيح .

(٣) المقصود = أمكوا (من الامل).

(٤) وردت في الاصل (في ارادة من) فاقتضى التصحيح. وقد وردت (بايراده بمن) في نسخة الشهابي (ص ٣٢٢) والصواب هو ما اورده .

(٥) وردت في الاصل (فجرد) فاقتضى التصحيح. وقد وردت (فجرد) في نسخة الشهابي (ص ٣٢٢).

(٦) اكثرهم فروسية .

(٧) الممالك .

(٨) الطويل .

وقاسم بيك امين البحر، والامير شروان. وذلك من غير الكشف والسنجق الصغار وتقمقمت^(١) عساكر الاسلام على ربّ الانام، اذ كانوا يقولون: ما يحل^(٢) من الله العلىّ العلام، ان الكفار ينعموا في خيرات مملكة الاسلام بتلك الديار، ونحن نهلك بالبرارى والقفار، ونلتقى الجوع وبرد الليل وحرّ النهار. وقد كان بلغ الوزير الاعظم الاتفاق الذي وقع بين مراد بيك والامير كليبر، وانه وعده اذا رحلت الفرنساوية يسلمه الديار المصرية. ثم بلغه ما حلّ بالامير كليبر من المنية. ففرح فرحاً شديداً [أ] ما عليه من مزيد، وتامل^(٣) بتملك تلك الاقطار، بعد زوال ذلك الاسد المغوار. فدعا ابراهيم بيك، وامره يكتب الى مراد بيك، ان يطالب عبدالله منو امير الجيوش بوعد سلفه كليبر. وان لا بدّ لهم من الخروج [عن^(٤)] هذه المملكة. لكون لا قدرة لهم على الثبات، حيث لا اسعاف لهم ولا امداد. وقد بقوا قليلين العدد وكثيرين الاضداد، واخصامهم في سائر البلاد. ومن المستحيل ان يقتدروا على هذا الجلال، ومحاربة جميع العباد، والعساكر العثمانية والمراكب الانكليزية قائمة عليهم من كل الجهات. فخروجهم الان بالصلح والسلام، اوفق لهم من خروجهم بالقهر والارغام. واوعد الوزير لابرهم بيك ان، متى عولوا على الامتثال، وخرجوا على هذا المنوال، يسلم المملكة إلى الغزّ المصريين، كما وعدهم كليبر، ويرتحل هو للقسطنطينية بالعساكر الهمايونية. ويرسل وزيراً يكون بالقلعة السلطانية، وذلك حكم الايام السالفة، بدون مناقضة ولا مخالفة. فكتب ابرهم بيك ما امره الوزير، وكتب أيضاً الوزير فرمان الى مراد بيك بهذا الشأن. ولما وصلت الى مراد بيك هذه الكتابات رآها^(٥)، وفي الحال كتب الى أمير الجيوش يعرفه بتلك الاسباب. وارسل بها عثمان بيك البرديسى، وامره ان يشرح الى امير الجيوش عبد الله منو ما ذكره الوزير الاعظم، ويعرض عليه ذلك الفرمان الذى اتاه. فتوجّه عثمان بيك الى مصر واخبر امير الجيوش في تلك الكتابات، واعرض عليه الفرمان، فتغيرت منه الاحوال واجابه: اننا نحن لسنا عازمين الان على الخروج من هذه المملكة، فمتى عزمنا وارادنا ان نتركها نبقي في ذلك الوقت نقيم^(٦) بوعدنا مع مراد بيك. ومع ذلك مراد بيك قاطن بمملكة مصر براحة كلّية، وقد صار عضواً من أعضاء المشيخة الفرنساوية، ولا

(١) تذرّ، وهي من كلام العامة.

(٢) بمعنى: لا يحلّ، ليس حلالاً.

(٣) أملّ (من الامل). وقد اعدنا تفسيرها كي لا يكون التباس بين الامل والتأمل.

(٤) وردت في الاصل (عن) فاقتضى التصحيح.

(٥) وردت في الاصل (رأياها) فاقتضى التصحيح.

(٦) انفي.

يكن مهتماً إلا بذاته^(١). فاجابه عثمان بيك البرديسى: ان مولاي مراد بيك ارسلنى للتخبر^(٢) لك بالصورة الواقعة والمكاتبه، لا على صورة السؤال والمطالبة. ولا بدّ [من]^(٣) رفع الريب والشكوك عنه، لان لا بدّ كان يبلغ حضرتك رسالة الوزير الاعظم لمولاي، فيحصل الشكوك والريب. و [أقام] عثمان بيك بمصر، بعد هذا الكلام، مدّة ايام بالعزّ والاكرام. وقد كان جاب جانباً من الاموال المربة^(٤) المستوجبة على مراد بيك للمشيخة الفرنساوية. وبعد ذلك اخبر مراد بيك بجواب امير الجيوش، فكتب لابرهم بيك عن جواب الفرنساوية. وقد كان مراد بيك غير مطمئن^(٥) من طرف الدولة العثمانية. فلذلك لم يبال بذاك الجواب، وبالنفور الذى ابداه امير الجيوش على الوزير، لانه كان قائماً في صعيد^(٦) بعيش رغيد.

واما ابرهم بيك ومن معه من الغزّ المصريين، الذين كانوا مع الوزير متّحدين. كانت قلوبهم ايضاً غير امينة، والخشية في قلوبهم كمينه. وهم خائفون من غدر الدولة ونياتها المدغولة^(٧). فاجتمعوا في بعضهم، ودبروا امرهم. وانهم يلتجوا الى الانكليز، فقبلهم السرعسكر سميت، وامنهم بميثاق شديد. واعرض امرهم الى باب الدولة العثمانية، واستخرج لهم الخطوط الشريفة^(٨) من الدولة المنيفة، بالامانات الوثيقة والعهود الحقيقية. فاطمأنوا الغزّ الممالك، وامنوا من المهالك. فاشتهر امرهم وبان سرّهم بانهم قد صاروا في حماية الانكليز، بكل امن حريز.

[ذكر نزول العساكر الانكليزية والعثمانية في ابوقير]

وكانت في ذلك الوقت الحركة ساكنة في مصر من شهر صفر سنة ١٢١٥ الى شهر شوال كماله^(٩) الثمانية اشهر. وفي شهر رمضان ثمانية ايام منه^(١٠)، ظهرت الشمس والقمر معاً في وسط

(١) اي، يجب ان لا يهتم الا بنفسه.

(٢) لإخبارك.

(٣) وردت في الاصل (عن) فاقتضى التصحيح.

(٤) وقد كان جلب قسماً من الاموال الاميرية.

(٥) مطمئن.

(٦) مقيماً في الصعيد.

(٧) المريبة.

(٨) الاوامر.

(٩) يبدأ شهر صفر عام ١٢١٥هـ. بتاريخ ٢٤ حزيران / يونيو ١٨٠٠م. وينتهي شهر شوال من العام الهجري نفسه بتاريخ ١٥ آذار / مارس ١٨٠١م. وكماله = تمام.

(١٠) الموافق ليوم ٢٣ كانون الثاني / يناير ١٨٠١ (يبدأ شهر رمضان ١٢١٥هـ. بتاريخ ١٦ كانون الثاني / يناير ١٨٠١م.).

النهار . وكان [بالقرب] ^(١) من القمر نجوم [تشعشع] ^(٢) جداً كالنار ، وكان [النيران] ^(٣) اي الشمس والقمر ظاهراً . وقد تم ما قيل إذا ظهر [النيران] بميقات واحد يلطف باهل الكنانة . وفي هذا الشهر المذكور ، اقبلت على البواغيط الاسكندرية مائة وخمسون مراكباً انكليزية مشحونة بالرجال والابطال . فارتجت لقدومهم اسكندرية وتلك الاطلال . وكتب الجنرال فورييه ^(٤) الحاكم بالاسكندرية ، يعلم ^(٥) امير الجيوش بمصر بقدم تلك المراكب ويستنجد . ولما وصل الكتاب ، حالاً جهز العساكر وارسلهم عن طريق رشيد . وثالث يوم حضر له كتاب ثاني من الجنرال المذكور ، بان المراكب ، اذ لم تستطع الوقوف تجاه الاسكندرية من المدافع ، فرجعت بطريقها مولية . فكتب امير الجيوش للعسكر المرسول ^(٦) ان يرجعوا ، واطمأن قلبه ظاناً ان اعداءه الانكليز هربت منه . وكان الامر ضد ذلك ، لان المراكب المذكورة ، اذ لم تستطع المواجهة الاسكندرية للكثرة حصونها ، فرجعت الى ابوقير ، وخرجت العساكر من المراكب الى البر ، وبنت المتاريس المتينة . وكانوا عشرين الف مقاتل ، وهؤلاء الذين اخبر عنهم بونابارته من باريز وحذرهم من ذلك حد التحريز ^(٧) . وقد بلغ الخبر الى الجنرال فورييه ان تلك العمارة اخرجت عساكرها الى ابوقير . فبالحال سار اليهم بشاغمية مقاتل ، وانتشب فيما بينهم القتال . وقد كانت واقعة من الاهوال ، وانكسرت الفرنسيون ورجعت للاسكندرية .

وأرسل الجنرال المذكور واخبر امير الجيوش بتحسين الانكليز في ابوقير ، وقدم عمارة العثمانية . فارتجت الفرنسيون رجّة قوية . وجهز امير الجيوش العساكر وارسلهم على طريق رشيد . وقد خافت باقى الفرنسيون الذين بقوا بمصر ، وبان عليهم اشارات الغلبة . وبدوا يخلّون المنازل القاطنين بها ، ويتحصنون في القلعة الكبيرة وفي الجزيرة . وسقطت عليهم الاوهام ، وتنكست منهم الاعلام . وتيقنوا بالزوال وعدم الدوام ، من كثرة الاخصام ، ومبادرة الاعادى من كل فج ووادى . وكانت العساكر الانكليزية والعثمانية ينوفون عن الخمسة وثلاثون الفاً جنكية ^(٨) . وذلك ما عدا عساكر الوزير الاعظم الوارد من الشام ، وعسكر وارد من ارض الهند الشرقي على طريق

-
- (١) وردت في الاصل (في القرب) فأثرنا تصحيحها .
 - (٢) وردت في الاصل (يشعشع) بالياء في اول الكلمة ، فأثرنا تصحيحها .
 - (٢) وردت في الاصل (وكانا النيران) فأثرنا تصحيحها (وكان النيران) .
 - (٤) الجنرال فورييه Fourler .
 - (٥) سبق وذكرنا ان المؤلف درج على استعمال كلمة (علم) بمعنى (أعلم وأخبر) .
 - (٦) المرسل .
 - (٧) حد : بمعنى أشد . والتحريز : والتحذير .
 - (٨) الجنك (بفتح الجيم) : فارسية عامية ، وتعني : الحرب والقتال (محيط المحيط) والجنكي ، نسبة الى (جنك) وهو المقاتل .

القُصَيْر^(١)، خلا عن سكّان الاقاليم المصرية القائمة على قدم وساق، مع العساكر القادمين بالاتفاق. ومن هذا القبيل قد ارتجت قلوب فرنساوية. وكانت قلوبهم منقسمة وغير محتزمة^(٢)، كرهاً منهم في امير الجيوش، لانه فرق قلوبهم. لان في جلوسه على تحت القاهرة كره رجال سلفه كبير. وبالاختصار نقول: ان الامير عبدالله منو، بعد ثلاثة ايام، سار بباقي العساكر على طريق رشيد، وولى مكانه الجنرال بليار قيمقام. وهذا الجنرال من رجال الجنرال ديزه حاكم الصعيد سابقاً، وكان رئيساً في الاحكام، شديد الباس في الحرب والصدام. وكان فرنساوية بدت تخلى الاقاليم والبلاد، ويتجمعون في مدينة مصر. ثم قد اخلوا قطية وبليس والصالحية، وجميع الوجه الشرقي، وارض الصعيد ودمياط والمنصورة. وقد انحصروا في القاهرة والرحمانية، وفي رشيد امام العساكر العثمانية والانكليزية. وكانت عدّة المحاربين من فرنساوية ثلاثة عشر الف مقاتل فقط. ما عدا ارباب الصنليع والنساء والاولاد فكانوا مقدار سبعة الاف. والبقية ماتوا بالحروب والجلاد، والبعض توجهوا للبلاد^(٣). فهؤلاء جميعهم انحصروا في القاهرة والرحمانية ورشيد والاسكندرية، وبقي في بوغاز دمياط المعروف بالعزبة مائتان صلدات. ومن بعد حضور حسين قبطان باشا، سار عسكر العمارة العثمانية مع عمارة الانكليزية، وطلوعهم لابوقير، هجموا على رشيد. واذ لم يستطع الجنرال حاكم رشيد والعساكر فرنساوية لمصادمة هؤلاء الجيوش، فسلم المدينة وخرج. وبنت العساكر فرنساوية متاريسها في الرحمانية. وانتشب الحرب بين العسكرين. وكان ذلك في ابتدا شهر ذي القعدة الى ثمانية ذي الحجة ختام سنة ١٢١٥^(٤).

[ذكر الطاعون الذي حدث في مصر]

وكان في تلك الايام حدث طاعون عظيم في مدينة مصر واقطارها ومات في الصعيد الامير الشهير، صاحب الكوكب المنير، الامير مراد بيك. وكان حزناً عظيماً عند الغزّ المصريين، لانه طفى سراج زمرة المماليك الشجعين^(٥). ومات سليمان بيك وعدّة من الكشاف^(٦) والمماليك. وعند موت مراد بيك جمع مماليكه واقام عليهم مملوكه عثمان بيك الطوبجى. وسلم الخزنة الى مملوكه عثمان بيك البرديسى. واوصاهم بان يكونوا في طاعة ابراهيم بيك الكبير، ويكونوا متّحدين مع

(١) القُصَيْر: موضع بمصر، بينه وبين (قوص)، قصبة الصعيد، خمسة ايام. (معجم البلدان).

(٢) غير متحدة..

(٣) لبلادهم.

(٤) يبدأ شهر ذي القعدة عام ١٢١٥ هـ. بتاريخ ١٦ آذار / مارس ١٨٠١ م.

ويقع ٨ ذو الحجة من العام نفسه بتاريخ ٢٢ نيسان / ابريل ١٨٠١ م.

(٥) الشجعان.

(٦) رؤساء المقاطعات.

بعضهم بعض . ومات هذا الامير المذكور في ختام سنة ١٢١٥^(١) . ومات في مدينة مصر عدة من
الفرنساوية . وكذلك من الرعية .

[ذكر الحرب بين الفرنسيين وبين الانكليز والعثمانيين]

وفي هذا الشهر المذكور ، نهض الوزير الاعظم يوسف باشا من اراضي غزة بالجيش العثمانية ،
قاصداً الديار المصرية . وكان بطناً^(٢) في مسيرة خشية من انقلاب الوقت وتغيره . لانه قد كان
جرب حرب فرنساوية ، واختبر جسارة قلبهم المتين . وقد عظمت الاهوال على فرنساوية ،
واحاطت بهم الاعداء من كل ناحية . وشرع الجنرال بليار يحصن القاهرة . وحفر خندقاً عميقاً ، من
باب الحديد الذي بالقرب من اليزبكية ، الى شاطئ بحر النيل ببولاقي . وغرس حافات الخندق
اصول النخل . وصنع من وراية^(٣) ابراجاً من النخل والرمل بمتاريس عظيمة ، ووضع عليهم المدافع
الكبار . وحصن مدينة الجيزة والقلعة الكبيرة ، واشحنها بالجبهانات العظيمة . وادخل المشاق^(٤)
والزيت استعداداً للحريق . هذا والحرب مشتداً بين العساكر فرنساوية والجيش العثمانية
والانكليزية . وذلك في اراضي الرحمانية . ومات من الفريقين جمع عديد بهذا الحرب الشديد .
ومات اربع سوارى عسكر من الانكليزية ، وعدة جنرالية من فرنساوية . وانجرح الجنرال لانوس
جرحاً بليغاً ومات منه . وقبل وفاته دخل عليه امير الجيش عبدالله منو وبكى عليه وقال له :
سلامك ايها البطل من الهلاك ، ولا تشمت بك اعداءك . فتنفس الجنرال لانوس الصعداء من فواد
مجروح من سهام الاعداء ، واجابه قايلاً : قد القيتنا ايها الجنرال ببحر الهلاك من فساد رأيك
وكبرياك . فلا يسوغ للذى نظيرك ان يكون امير الجيش فرنساوية . ومدبر حروبها القوية . بل
يجب ان يكون مدبراً في مطبخ المشيخة . لانك لو كنت تركت العساكر سايرة في طريقها ، لما
كانت اعداءنا الانكليز قدرت تملك منا البر ، وتتمكن هذا التمكين . فكان ذلك من جبروتك
وعنادك المبين . ومات هذا الجنرال ، وحزنت عليه فرنساوية حزناً عظيماً . وقد كانت هذه الواقعة
الاخيرة التي انجرح بها لانوس ومات ، غلبت فرنساوية وانتصرت على العثمانية والانكليزية .
وعزمت عساكر الانكليز ان تسلم ارواحها الى الاسر . وقد كان مقدّم الحرب في تلك الواقعة
لانوس البطل المشهور الليث الجسور . وهذا المذكور كان في ذلك اليوم اظهر في الحرب عجائب
وفنون الغرائب . وجاهد في الكفاح ، الى ان غلبت الاعداء وارموا السلاح . وعند ما اصابه ذلك

(١) اي في منتصف أيار / مايو ١٨٠١ م .

(٢) بطيئاً .

(٣) ورائه .

(٤) المشاق : كتل من الخرق البالية ، او القطن ، تبلل بالزيت ، ثم توضع النار فيها وترمى بالمدافع ، وقد مرّ
شرحها .

الجراح، حضر إلى معونته امير الجيوش، وحمل على الاخصام. وامر [رؤوس]^(١) العساكر، الجنرال رانية والجنرال داماس، وهم المكروهين منه، ان يتقدما لمساعدة لانوس. فتخلّفا وابتا عن التقدّم. وقرعت طبول الكسرة والرجوع الى ورا [ء] نكايةً في امير الجيوش. وارتدت العساكر الفرنسية، وتظاهرات عليهم العساكر الانكليزية، لما علموا من الانفساخ الذي ظهر فيما بينهم. فانتصروا عليهم نصرةً عظيمة، من بعد ما كانوا ايسوا^(٢) من السلامة والغنيمة. وارتدت الفرنسية الى متاريسها. وظهر في هذه المعركة الجنرال نقولا الروم^(٣) وعارك عراكاً شديداً فعندما نظر امير الجيوش انقسام قلوب العساكر، اجمع رايه ان يترك جانباً، بالمتاريس بارض الرحانية، نحو ثلاثة الاف. وسار بباقي العسكر الى الاسكندرية، وبدأ يبنى المتاريس في خارج المدينة. و [أ] قفل ابواب البلد. فجاءت الانكليزية وقطعت السرى^(٤) الذي بين بحر المالح^(٥) وبين خليج النيل المؤدى الى الاسكندرية. وكان قصد الانكليز قطع الطريق ما بين اسكندرية والقاهرة لاجل شدة المحاصرة. وكان ابرهيم باشا قد احرق قطية وتسلم مدينة دمياط. واما العساكر التي كان ابقاها امير الجيوش في المتاريس بالرحانية، فانهم عملوا حرباً عظيماً، وتركوا المتاريس ليلاً، وتوجهوا الى مصر. وصارت العساكر الفرنسية قسماً : قسم بالاسكندرية مع امير الجيوش، وقسم في القاهرة مع الجنرال بليار اعظم الجبابرة.

وتقدّمت عساكر الوزير للحصار من كل فجّ وديار، وداروا حول مصر شرقاً وغرباً وبراً وبحراً. ونهضت الفزّ المصريون عزوة مراد بيك من اراضي الصعيد، واتوا الى مدينة رشيد، وقابلوا حسين باشا قبوطان^(٦). واختلطت العساكر العثمانية مع المصرية والانكليزية، حول مصر [الغربية]^(٧) وقدم الوزير الاعظم بعساكره من الجهة الشرقية، وابطى^(٨) ايابه ابطاءً زائداً. وكان السبب انه حضرة له اوامر من الباب العالي، والى حسين باشا قبوطان، ان بتوقفاً في الحرب، عن

(١) وردت في الاصل (الى رؤوس) فاقتضى التصحيح، بعد حذف (الى) الزائدة.

(٢) ينسوا.

(٣) وردت (نقولا الرومي) في نسخة الشهابي (ص ٣٢٧) وهذا هو المرجح.

(٤) المسرى، الممر.

(٥) البحر المالح : البحر الابيض المتوسط، وخليج النيل المؤدى الى الاسكندرية : مصب النيل عند فرع رشيد.

(٦) قبودان باشا : وهي رتبة عسكرية عثمانية يحملها قائد الاسطول، ويسمى : ناظر البحرية (عثمانلي بحرية ناظري، قبودان باشا).

(٧) وردت في الاصل (الغربية) فاقتضى التصحيح.

(٨) وأبطأ.

الفرنساوية المقيمين في مصر . [وذلك] ^(١) كنا ذكرنا سببه سابقاً ، وان المكاتب ^(٢) ارسلها السلطان باولو ملك روسيا .

وفي غضون ذلك ، جدّت الاعلام ^(٣) من الباب العالي بوفاة المشار اليه السلطان باولو ، الذي كان مع فرنساوية ضدّ الانكليزية . فعند حقيقة تلك الاخبار ، رجعوا لما كانوا عليه من الحصار ، واخراج فرنساوية من الديار المصرية . وكان ذلك في شهر محرم سنة ١٢١٦ ^(٤) . هذا والجنرال بليار لم يكن عنده افتتاح اخبار . وكل ذلك من انقطاع الطرق والمسالك . فارسل مائة هجاناً على طريق البرية الى مدينة الاسكندرية ، لينظر الاخبار من تلك الديار ، وما جدّ من الامور من طرف الجمهور . وسارت المائة هجان وغابوا مدّة طويلة ، نحو اربعين يوماً ، وما خبر منهم ^(٥) بان . وكان الجنرال بليار في اضطراب عظيم [ووسواس] جسم ^(٦) ، من عدم اياهم وطول غيابهم .

وبعد المدة المذكورة ، حضروا الهجانة عن طريق الجبل ، وجازوا ليلاً على معسكر الانكليز المقيم أمام الجيزة غربي الكنانة . ولم [يحسوا] بهم ^(٧) حين مروا عليهم ودخلوا الجيزة . وحضروا لدى الجنرال بليار واطلعوه على صحة الاخبار . واتى له جواب من امير الجيوش يعلمه انه حضر مركب صغير من مدينة باريز ، وصحبته كتابات من القنصل الكبير يعلم بها ان السلطان باولو سلطان المسكوبية اتحد معه على حرب الانكليز ، وارسل إلى الدولة العثمانية برفع الحرب عن فرنساوية الذين بالديار المصرية . ولم يكن دارياً بوفاة السلطان باولو الذي كان قد اوقف الحرب . وحضر كتاب الى الجنرال يعقوب القبطي يمدحه على شجاعة وفروسيته ، ويوعده بسمو مرتبته ، ويشدّده على الحرب والجلاد ومصادمة الأضداد . وان لا بدّ له من الاسعاف من المشيخة والامداد ^(٨) . وعندما تحقّق الجنرال بليار تلك الاخبار ، اخذ الفين مقاتل وسار بهم ليلاً الى معسكر الوزير . وكانت قد وصلت طلائع الوزير الاعظم الى بلبس ، مسافة يوم عن القاهرة . وهناك تلاطمت العساكر العثمانية مع عساكر فرنساوية . ومات عدّة من الارناوط ومن الغزّ . وحين نظر الجنرال بليار ان جيوش الترك

-
- (١) وردت في الاصل (وكذلك) فاقتضى التصحيح .
(٢) المكاتب . ومعنى الجملة : ولأجل المكاتب التي ارسلها السلطان باولو ملك روسيا (وقد وردت بهذا المعنى في نسخة الشهابي ، ص ٣٢٧) .
(٣) الاخبار .
(٤) يبدأ شهر المحرم عام ١٢١٦ هـ . بتاريخ ١٤ أيار / مايو ١٨٠١ م .
(٥) ظهر .
(٦) وردت في الاصل (ووسوس) فاقتضى التصحيح .
والوسواس : الهاجس .
(٧) وردت في الاصل (حسّوا) ، فاقتضى التصحيح . ويحسّون : يشعرون .
(٨) وانه لا بد ان تصله معونة من الجمهورية الفرنسية وامدادات .

كثيرة، وهم قاصدون الجلاذ والغزو والجهاد . وليس الامر، كما زعم امير الجيوش، بان الحرب متوقف . فرجع الى مصر في حمية^(١) . وتمكّن داخل الحصارات القوية .

وابتدت العساكر تتوارد ، الى شهر صفر سنة ١٢١٦^(٢) ، الى بلغوا لقرب القاهرة . وكان الوزير الاعظم قادماً من الشرق ، وحسين باشا من الغرب مع عسكر الانكليز . وضرب الوزير الرستاق^(٣) في ارض شيرة^(٤) والمكاس في القرب من الكنانة . وحسين باشا ضرب الرستاق مع عسكر الانكليزية امام مدينة الجيزة غربى مصر^(٥) . وتكاثر جيوشهم ، واجتمع عليهم طموش غفيرة وعربان كثيرة . هذا وذلك الجبار والاسد المغوار ، الجنرال بليار ، قائماً فى الكنانة امام ذلك الجَم . وقلبه اشد من الصخر الاصم . ووقعت هيبة^(٦) عند ذلك الجمع الملتئم ، لان قد شاع ذكر هولاء الشجعان في ساير البلدان ، واشتهرت سطوتهم وانتشرت صولتهم . وقد كانوا هولاء العتاة لا يعرفون الموت من الحياة . فلذلك اجتهدت الدولة العثمانية باخراجهم من مملكة مصر بالسلامة والاطمأنية^(٧) . وقد خافوا ايضاً [لئلا]^(٨) اذا ضايقوهم يطلقون النار في البلد ويحرقوها . وكانوا ، قادرين على ذلك لما عندهم من الاستعداد ، وقوة الجلد والجهاد . فلذلك استقامت تلك العساكر والممالك^(٩) يتداولون فى ان كيف يحتالون ، وكيف يخرجونهم بالسلامة والسكون .

[ذكر المفاوضات بين الفريقين المتحاربين]

وفي نصف صفر ، ارسل السرعسكر الانكليز رسولا يطلب من الجنرال بليار ان يرسل احداً من طرفه لاجل المفاوضة بامر الصلح . فارسل له احد الكوميسارية . ولما وصل الى مقابله ، اخبره اولاً بموت السلطان باولو . وكان قصده بهذا الخبر لاجل قطع امالهم من اعانة المسكوب وانقطاع رجاهم . ثم بدا يتفاوض معه بامر الصلح وتسلم المملكة^(١٠) الى اصحابها . [وذاهابهم]^(١١) الى وطانهم

(١) وردت (على حمية) في نسخة الشهابي (ص ٣٢٨) ، وترجمها اينيه : (ورجع الى القاهرة ليحتمي بها) (Ainé, op. cit. P. 249) وهذا هو المعنى الصحيح للجملة .

(٢) يبدأ شهر صفر عام ١٢١٦ هـ . بتاريخ ١٣ حزيران / يونيو ١٨٠١ م .

(٣) الرستاق : فارسية ، وتعريبها : رزداق ، وهي السواد والقرى . وتأتي هنا بمعنى المعسكر .

(٤) وردت هكذا (شيره) في نسخة الشهابي (ص ٣٢٨) ، وفي ترجمة اينيه (P. 249) والصواب (شبرا) وهو اليوم حي كبير من احياء القاهرة ، وقد كان ، في ذلك الحين ، بالقرب من القاهرة ، او (الكنانة) كما يسميها المؤلف أحياناً .

(٥) ومصر : تعني ، هنا ايضاً : القاهرة .

(٦) هييبته .

(٧) والطمأنينة .

(٨) وردت في الاصل (ليلا) فاقتضى التصحيح .

(٩) المقصود بالممالك : الامبراطورية العثمانية والمملكة الانكليزية .

(١٠) اي مصر .

(١١) وردت في الاصل (واذهابهم) فاقتضى التصحيح .

بالامان. ويَريه انقطاعهم في هذه البلاد وعدم اسعافهم والامداد. وان الخروج لا بدّ منه. وكلّ محصور ماخوذ^(١). وبعد ذلك سيّره^(٢) [على] ان يردّ عليه الجواب. فرجع الكوميسار الى عند بليار واعلمه هذه الاخبار. وعن وفاة السلطان باولو وكلام سرعسكر الانكليز. فلما سمع الجنرال بليار هذه الاخبار صنع ديواناً، وجمع سائر الجزالية ورؤساء العساكر الفرنساوية، واخبرهم بمخاطبة سرعسكر الانكليز، وطلبه الصلح والتسليم. ثم استشارهم كيف يكون الجواب، وما يقتضى رأيهم من الصواب. فمكثوا برهة يتداولون ويشاورون. ثم انه اجتمع رأيهم ان التسليم اوفق، وعدم الحرب ارفق. بحيث ان الخروج يكون سليم العاقبة على شروط مناسبة. وعلى ذلك عقدوا الرأى، وبدوا يسطرون شروطاً، وعهوداً لتسليم مملكة مصر. ومن بعد ان حرّروا الشروط، قدّموها الى الجنرال بليار، وارسلها الى سرعسكر الانكليز مع الكوميسار. ثم نصبوا خيمة في برّ الجيزة بين العسكرين، وهناك تصير المفاوضة بين الفريقين. فالذين انقأموا^(٣) وكلاء الامر الصلح من طرف الفرنساوية: الكوميسار، ويوسف التريزي الارمنى. ومن طرف الانكليز: الجنرال سميت سارى عسكر، واحد الكوميسارية. ومن طرف الوزير الاعظم. عثمان بيك. ومن طرف حسين باشا قبطان. اسحق بيك. واستمرت المداولات بامر الصلح اربعة ايام. فحينما تمت تسجلت الموائيق والعهود، وانعقد الرأى تسليم مصر [واعطائها]^(٤) الى الدولة العثمانية، وخروج العساكر وجميع الفرنساوية منها على موجب الشروط الاتى ذكرها، عن يد سيدنه سميت سرعسكر الدولة الانكليزية. ثم حتمت^(٥) الفرنساوية بان يكون التسليم عن يد حسين باشا قبطان، [بواسطة]^(٦) الانكليز. وسببه كان هذا المشار اليه يميل لطرف الفرنساوية ميلاً عظيماً، وذلك قبل دخولهم واخذهم الاقطار المصرية. وقد [اتهمه]^(٧) الوزير الاعظم ان دخولهم كان باطلاً. وتقمّمت الفرنساوية على الوزير لدخوله في الجمعية، وقالوا: نحن لانعقد معه شروطاً ولا نقبل منه خطوطاً^(٨)، لانه قد كان خان عهود مع امير جيوشنا الامير كليبر. واذا لم يقدر على التغلب عليه ارسل قنله خفية. ثم ثبت التسليم عن يد حسين باشا وسرعسكر الانكليز. وتسطرت اسطر الشروط وانختمت^(٩) من الثلاث دول.

(١) اي انهم محاصرون في مصر فلا بد ان تنتزع منهم.

(٢) سيّره: ارسله، اذن له بالانصراف. وقد رأينا اضافة (على) بعد (سيّره) ليستقيم المعنى.

(٣) أقيموا، عَيَّنوا.

(٤) وردت في الاصل (واعطاها) فاقتضى التصحيح.

(٥) اصرت.

(٦) وردت في الاصل (بواسطة) فاقتضى التصحيح.

(٧) وردت في الاصل (تهمه) فاقتضى التصحيح.

(٨) اوامر.

(٩) وقّعت، والدول الثلاث هي: فرنسا وانكلترا والدولة العثمانية.

وهذه صورة الشروط :

[ذكر شروط الصلح بين الفريقين المتحاربين]

الشرط الاول

ان بلوكات العساكر الفرنسية، برية وبحرية، وبلوكات العساكر المساعدة^(١) المتحدة معهم، الذين [أمرهم]^(٢) الجنرال بليار، يسلموا مدينة مصر والقلعة الكبيرة، وكامل القلع الصغير ببولاق والجزيرة، وكامل اطراف مصر الموجودة بها الفرنسية.

الشرط الثاني

كامل البلوكات العساكر الفرنسية والعساكر المتحدة معهم، يتوجهوا برّاً الى بندر رشيد من طرف شالي النيل، بسلاحهم وعزاهم^(٣) ومدافع البرّ وصناديق الجبخانه. لاجل يوسقوهم^(٤) من رشيد ويتوجهوا الى اساكل^(٥) بلاد فرنسا الموجودة في بحر الابيض. وكامل مصاريف ما ذكر تقوم بها الدولة العلية المصالحة^(٦). وسفر العساكر المذكورين والمتّحدين معهم، ونزولهم في المراكب، يكون باسرع وقت. وغاية ما يكون من العاقبة^(٧) خمسين يوماً أوّلاً من تاريخ هذه الشروط المحرّرة. ومن غير شكّ ان عساكر المذكورين يوخذوا بالمراكب الى اى اسلكة كانت، الى الطريق الاعدل والاقرّب للفرنسا.

الشرط الثالث

من ابتدا هذه الشروط، تكون العداوة مرفوعة من الطرفين بالكلية. ويتسلّم الى الدولتين

(١) العساكر المساعدة، او الجيوش المساعدة (Troupes auxiliaires) هي وحدات عسكرية غير فرنسية، تتكوّن عادة من مواطني المستعمرات. وقد عرف لبنان هذا النوع من الجيوش في عهد الانتداب الفرنسي. اما هنا، فهي تتكون من الاقباط والاروام (المسيحيين) وبعض البدو والمرتزة والانكشاريين الهاربين من سلطة الدولة العثمانية.

(٢) وردت في الاصل (أمرهم)، ووردت في ترجمة اينيه «الذين هم بامرة aux ordrs»، (Ainé, op. cit. P. 252). ونحن نفضل اعتماد النص الاصلي لهذه الاتفاقية، وهو بالفرنسية، وقد اورده «اينيه» الذي اشار الى اخطاء عديدة ارتكبها الترك في تعريبه لها، والتي «لو أراد تصحيحها كلها، لكان عليه اعادة صياغة نصّها العربي كله، لذا اكتفى بتصحيح الالخطاء الهامة فقط»، (Ibid, P. 285 Note 22).

(٣) امتعتهم (Bagages) وهكذا وردت في النص الفرنسي (Ibid, P. 252).

(٤) يجمعونهم ويحملونهم.

(٥) جمع أسكلة، اي: موانئ.

(٦) اي الدول التي وقّع الصلح معها، وهي: انكلترا والدولة العثمانية. وقد ورد في النص الفرنسي ما يشابه

ذلك «القوى المتحالفة» (Ibid, P. 253). «Aux fruls des Puissances alliées».

(٧) التأخير.

المتّحدين^(١) قلعة الظاهر^(٢) وباب مدينة الجيزة المسمّى الباب الهرامات^(٣). وعلى الوكلاء المشار اليهم ان يضبطوا الحدود، وعدم التخطّي^(٤)، والاحتراز من وقوع الخلل.

الشرط الرابع

بعد اتنا عشر يوماً من هذا التاريخ، مدينة مصر وقلاعها، والقلعة الكبيرة والباقية، ومدينة بولاق، يخلون من العساكر الفرنسية ومن المتّحدين معهم. ويتوجّهون الى قصر العينى والروضة واتباعها، والجيزة واطرافها. ومن هناك يسافرون، في غاية جهدهم الى مسافة^(٥) خمسة ايام، لكي يتوجّهوا الى محلّ المراكب التي يسافرون بها. وكامل حكّام الانكليز والعثمانية يلتزمون يقصدّون مراكب، ويقيمون بمصارفهم ولزومهم في بحر النيل، لاجل وسق عزالهم ومونتهم لحدّ البحر المالح. وجميع هذه المراكب تكون محضّرة بغاية السرعة والاهتمام، وتتسلّم عساكر الفرنسية بالجيزة.

الشرط الخامس

مشي العساكر ومحطاتها يكون معيّن لها جنزالية واهل مراتب من الطرفين. وكذا الايام المعيّنة للمشّي من الواجب يكون المدبّر فيها الجنزالية الانكليزية والعثمانية. وكذلك العساكر الفرنسية المذكورون، والذين متّحدون معهم، يكونوا مصطحبين بطريقهم من كوميسارية الانكليزية والعثمانية. فهم الذين يقومون بالمعاش الضروري في مسافة الطريق ومحطاتهم.

الشرط السادس

كامل العزال والجبخانات الذين يوسقونهم في مراكب بحر النيل، يكونوا مغفرين مع بعض عساكر فرنساوية ومراكب حربية، من طرف الدولتين المتّحدين.

الشرط السابع

فيكون محضّراً^(٦) الى العساكر الفرنسية والمتّحدين معهم، واتباعهم والذين صحبتهم، المؤنة^(٧)

(١) انكلترا والدولة العثمانية.

(٢) ورد في النص الفرنسي (قلعة سولكويسكي Le fort Sulkowski) بدلا من (قلعة الظاهر)، (Ibid, p. 253).

ولم نجد تفسيراً لهذه التسمية.

(٣) باب الهرامات.

(٤) عدم تجاوز الحدود المرسومة لقوى الفريقين.

(٥) اي خلال فترة اقصاها خمسة ايام.

(٦) حضّر: جهّز. ومحضّراً: جاهراً.

(٧) المؤونة.

المرتبة حسب قانونهم^(١). من يوم سفرهم من الجيزة، الى يوم نزولهم في المراكب. ومن ذلك اليوم تكون المونة مرتبة حسب قانون الانكليز الى يوم طلوعهم للبلاد فرنسا.

الشرط الثامن

يحضر من طرف حكّام الانكليزية وحكّام العثمانية، في برّ وبحر، المراكب الضرورية الطيبة^(٢) لاجل سفر العساكر الفرنسية، وكامل ما يلوز^(٣) بهم، لاجل وصولهم الى اى اسكلة كانت من بلاد فرنسا الموجودة في بحر الابيض. ولاجل اتمام ذلك، يجب ان يحضروا كوميسارية من قبل حضرة الجنرال بليار، ومن قبل رؤساء عساكر الدولتين المتحدتين برّاً ام بحراً. ومن بعد تاريخه، يجب ان الكوميسارية المنعّنين من الطرفين يتوجهون الى رشيد وابوقير، لاجل تحضير المراكب وكامل المطلوبات للسفر.

الشرط التاسع

ان الدولتين المتحدتين يجب يحضرون اربع مراكب ام اكثر، ان امكن، لاجل نقل الخيول واللوازم لهم لحين نزولهم.

الشرط العاشر

يجب ان يتقدم^(٤) الى العساكر الفرنسية وكل المتحدّين معهم، من الدولتين المتحدّتين، مراكب حربية كفاية لاجل تغفيرهم^(٥) ووصولهم سالمين الى فرنسا. والدولتين المتحدّتين يضمنوا عدم وقوع الخلل والعداوة من طرف عساكرهم، الى حين وصول عساكر الفرنسية والذين معهم الى فرنسا سالمين. وكذلك الجنرال بليار يوعد ويتعاهد^(٦)، مع جميع العساكر التي تحت امره، ان لا يحصل منهم ادنى خلل للعمارة ولا لبلاد حضرة الدولة الانكليزية في هذه المسافة^(٧).

وكذا لا يحصل ادنى تعرّض وخلل ببلاد الباب العالي، ولا ببلاد الدول المتّحدة معها. فما لهم ان يتوقفوا في اسكلة من الاساكل في مسيرهم، بل انهم يقصدون بلاد فرنسا، ما عدا الامر

(١) اي وفقا للانظمة الفرنسية.

(٢) الجيدة والمريحة (bons et commodes) هكذا وردت في النص الفرنسي (P. 225).

(٣) يلوذ، اي من هم ملحقون بالجيش.

(٤) يقدّم.

(٥) حراستهم.

(٦) يعد ويتعهد.

(٧) في هذه الفترة (وردت في النص الفرنسي (Pendant le dit temps)، (P. 256).

الضرورى . ثم رؤساء عساكر فرنسا والانكليز والعثماني يكون معهوداً عندهم جميع ما ذكر اعلاه ومحفوظا ، طالما عساكر فرنساوية موجودة بمصر ، ومن هذا التأريخ الى دخولهم للمراكب .

وان حضرة الجنرال بليار حاكم العساكر فرنساوية والمتحدين معهم ، يتعاهد عن حكّام دولة فرنسا^(١) ، ان جميع المراكب المغفرة والمراكب الموسوقة^(٢) التي مسافرون بها ، فبعد وصولهم يخرجونهم جميعاً ، وترجع جميعاً ، ولا ينعاق^(٣) منها ولا مركب . وان القباطين^(٤) بالمراكب المذكورة يشترون بمالهم مونتهم الضرورية الى رجعتهم . والجنرال بليار يتضمّن رجوع هذه المراكب الى مواضعها بحيث انها لم تتدخلوا بامور حرب بلكلية^(٥) .

الشرط الحادى عشر

جميع حكّام السياسة وارباب الحرف والصنایع^(٦) وجميع الاشخاص المتعلقة بالفرنساوية ، يحصل لهم سوية ما يحصل للعساكر الحربية . وان حكّام السياسة وارباب العلوم والصنایع^(٧) ، يصحبون وياخذون معهم جميع الاوراق والكتب ليس التي تخصّهم فقط ، بل كلما يروه نافعا لهم .

الشرط الثانى عشر

جميع سكّان مصر من اى طائفة كانت ، من اراد منهم يتبع العساكر فرنساوية ، مسموح لهم ذلك . ومن بعد سفرهم لا يحصل لاعيالهم ولاموالهم اذية .

الشرط الثالث عشر

جميع سكّان مصر من اى مذهب كانوا ، لا يحصل لاحد منهم اذية ، لا في مالهم ولا في

-
- (١) يتعهد ، نيابة عن الحكومة الفرنسية .
 - (٢) المراكب المغفرة : مراكب الحراسة (وردت في النص الفرنسي Batiments d'escorte) . والمراكب الموسوقة : مراكب النقل (وردت في النص الفرنسي Batiments de transport) (Ainé, op. cit. P. 257) .
 - (٣) لا يؤخّر .
 - (٤) جمع قبطان : قادة المراكب .
 - (٥) وردت في النص الفرنسي بما تعريبه «على ان لا تبأشر -اي هذه المراكب - ولا تخدم اية عملية حربية» (Ainé, op. cit. p. 257) .
 - (٦) وردت في النص الفرنسي (جميع الادارات ، واعضاء اللجنة العلمية والفنية) «Toutes les administrations, les membres de la commission des sciences et arts», (Ibid) .
 - (٧) النص نفسه اعلاه ، بالفرنسية .

اعياهم ولا في انفسهم ، بسبب رفقهم للفرنساوية^(١) .

الشرط الرابع عشر

جميع المشوشين^(٢) الذين ليس لهم طاقة على السفر ، يستقيمون في مصر في بیمارستان^(٣) ، ويبقى عندهم حکماء^(٤) وخدام يداورونهم لحين شفاءهم ، ثم يُرسلوا لفرنسا بالحفظ والصون . وان حکام الدولتين يتعهدوا تحضير امر هؤلاء المشوشين من كامل النظام^(٥) .

الشرط الخامس عشر

في وقت فروغ^(٦) مدة تسليم المدن والقلع كما ذكر قبله ، فيحضروا الكوميسارية يتسلموا المدافع والجبخانات والحواصل^(٧) ، وقوايم واوراق ومحلات وجناين وغير اشياء عمومية التي للفرنساوية^(٨) ، الى الدولتين المتحدتين .

الشرط السادس عشر

حاکم البحر لازم يحضر ، قبل بساعة ، مركب يسافر الى فرنسا ، وياخذ واحد فسيال وكوميسار الى طولون ، وياخذ لهم صورة هذه الشروط الى المشيخة الفرنسية^(٩) .

(١) ورد النص الفرنسي بما تعريبه ، كاملا : « ان اي مواطن مصري ، الى اية طائفة انتمى ، يجب ان لا يؤذى ، لا بشخصه ولا بأمواله ، بسبب اتصاله بالفرنسيين في اثناء احتلالهم لمصر ، على ان يتقيد ، من الآن وصاعدا ، بقوانين بلاده » (Ibid, P. 258) ونرى ان الفرق شاسع بين النص الاصلي بالفرنسية وبين ما اورده الترك .

(٢) وردت في النص الفرنسي (malades) ، (Ibid) .

(٣) وردت في النص الفرنسي (Hôpital) ، (Ibid) .

(٤) اطباء ، ووردت في النص الفرنسي (Officiers de santé) ، (Ibid) .

(٥) وردت في النص الفرنسي بما تعريبه « يتعهد قادة الجيوش المتحالفة بأن يقدموا ، وفقا لطلبات قانونية ، كل اللوازم الضرورية لهذا المستشفى » باستثناء التسليفات التي يترتب على الحكومة الفرنسية تأمينها « (Ibid, PP. 258 - 259) .

(٦) انتهاء ، والمقصود : عند تسليم (وردت بالفرنسية : Au moment de la remise) . (Ibid, P. 259) .

(٧) الجبخانات : الذخائر . والحواصل : المخازن .

(٨) وردت في النص الفرنسي بما تعريبه « الاوراق والمحفوظات والتصاميم ، والاشياء العمومية الاخرى التي سيتركها الفرنسيون للقوى المتحالفة » (Ibid) . ولم ترد كلمة (جنائن) .

(٩) وردت في النص الفرنسي بما تعريبه : « يجب على قائد الجيوش البحرية للقوى المتحالفة ان يجهز ، وبالسعة الممكنة ، سفينة حربية (Aviso) تحمل الى طولون (Toulon) ضابطا (Officier) ومفوض حرب (Commissaire des guerres) ، مهمتهما تسليم الحكومة الفرنسية هذه الاتفاقية » (Ibid) .

الشرط السابع عشر

الذين يخالفون هذه الشروط يحصل قصاصهم عن يد الكوميسارية وكذلك اذا وقع اختلاف في الامور يكون نظامه واصلاحه بيد الكوميسارية^(١).

الشرط الثامن عشر

بجال اتمام هذه الشروط جميع اسراء الحرب من الانكليز والعثماني الموجودين عند فرنساوية^(٢) يحصل لهم الاطلاق والحرية وكذلك حكّام عساكر الدولتين المتحدتين يُعْتَقُونَ كامل اسراء فرنساوية الموجودين في عرضيهم^(٣).

الشرط التاسع عشر

واحد من اكابر عسكر^(٤) الانكليز، وواحد من اكابر عسكر الوزير الاعظم، وواحد من قبطان باتشا، يكونوا موجودين عند فرنساوية رهينة. ويعطى بدلم ثلاثة من مقامهم^(٥) من فرنساوية ولما ينتهي وصول فرنساوية الى بلادهم يرجعون الرهاين المذكورين، ويروحون الذين كانوا بدلم، وكل منهم الى محله.

الشرط العشرون

هذه الشروط ترسل مع واحد فسيال^(٦) الى الجنرال منو للاسكندرية، وله مهلة عشرة ايام من بعد وصولها ليد، ان كان يرضى على هذا الاتفاق بذاته وعساكر فرنساوية. ويجرّ قبوله ورصاه بخطّ يده الى سر عسكر الانكليز الذي مقيم قدام الاسكندرية^(٧)، لغاية عشرة ايام بعد

(١) وردت في النص الفرنسي بما تعريبه «كل الصعوبات والاعتراضات التي يمكن ان تحصل عند تنفيذ هذه الاتفاقية، يجب ان تحلّ حيباً، وبواسطة مفوضين معينين من الفريقين» (Ibid)

(٢) وردت في النص الفرنسي (كل الاسرى الانكليز والعثمانيين الموجودين في القاهرة)، (Ibid, P. 260)، وليس (عند فرنساوية).

(٣) في عرضيهم: في معسكراتهم. ويرى (اينيه) انها اتت من الكلمة التركية (أوردو) أو (أوردي) (Ibid, P. 285, Note 23)، وتلفظ بالعامية (اورطة) وهي اسم وحدة في الجيش الانكشاري.

(٤) اكابر عسكر = ضابط برتبة عالية، ضابط قائد (Officier supérieur) (Ainé, op. cit, p. 260).

(٥) من رتبته.

(٦) وردت في النص الفرنسي (ضابط فرنسي (Officier français)، (Ibid).

(٧) ورد في النص الفرنسي بما تعريبه «وهو حرّ في قبوله لما يخص الجيوش الفرنسية والجيوش المساعدة لها والنبي هي معه. على ان يبلغ قبوله هذا، خطياً، الى قائد القوات الانكليزية امام الاسكندرية» (Ibid).

تاريخ وصول هذه الشروط ليدّه .

الشرط الحادى والعشرون

صورة هذه الشروط يعلم عليها ^(١) سوارى عسكر العام من طرف الثلاثة دول ، ويرجع بعد أربعة وعشرين ساعة ، وينتهى كل ذلك .

وقد تحرّر اربعة نسخ مختومة في محلّ المسافة ما بين العرضين ^(٢) في تاريخ مسيدور سنة التاسعة للمشیخة فى نصف النهار الواقع في ٢٧ حزيران سنة ١٨٠١ مسیحية الموافق ١٦ صفر سنة ١٢١٦ .

وهذه هي الامضاوات ^(٣)

دنزلو	موران	تارار
جنرال ويرجاه	جنرال ويرجاه	جنرال ويرجاه
حُن هوب		عثمان بيك
جنرال ويرجاه انكليز		وكيل يوسف باشا
اسحاق بيك		قد اثبت ذلك هلى هو تجنسون
وكيل قبطان باشا		سارى عسكر عام

قد اثبت ذلك للورد كايط
جام استونسون قبطان مركب انكليز

-
- (١) يوقعها ، وسواري : جمع ساري .
(٢) محل المسافة ما بين العرضين : اي المكان الذي جرت فيه المفاوضات بين الفريقين .
(٣) جنرال ويرجاه : عميد (Général de Brigade) ، وويرجاه : لواء (Brigade) .
- الجنرال دونزلو Donzelot .
- الجنرال موران Moran .
- الجنرال تاريير Tarayère .
- الجنرال جون هوب John Hope .
- هلى هوتجنسون J. Hély Hutchinson (جنرال) .
- اللورد كيت Lord Keith .
- القبطان جام استونسون (جيمس ستيفنسون) Captain of Royal Navy. James Stivesnson (وقد وقع الاتفاق نيابة عن اللورد كيت) .

نحن قد اتبنا جميع الشروط
الواقعة في هذا الاتفاق لاجل
خلو مصر وتسليمها للباب
العالي المشيد
يوسف باشا وزير الختام

ونحن قد شهدنا واثبتنا
جميع هذا الاتفاق الواقع في
هذه الشروط لاجل خلو (١)
مصر
حسين قبطان باشا

لقد ثبت وتحقق هذه الشروط
في مسيدور سنة ٩ للمشيخة
الجنرال فارايون (٢) بليار

قد طبعت في مطبعة الفرنساوية بمصر

[ذكر جلاء الفرنسيين عن مصر]

ومن بعد تمام تلك الشروط ، شرع الجنرال بليار بتخلى مدينة مصر القاهرة وخروج العساكر منها الى قصر العيني والى الجيزة . وتهيأ للخروج معه الجنرال برتولى (٣) كومندان بنى الروم مع عساكر الاروام ، والكومندان يوسف الحموى واتباعه المعينون من شفا عمر وارض عكا ، وعبد العالى اغاة الانكشارية . وجميعهم [يخشون] (٤) الاقامة في الديار المصرية بعد خروج الفرنساوية . وتهيأ معهم عدة انفار من عام (٥) الناس ، ونساء كثيرات من الاسلام كُنَّ متزوجات للفرنساوية ، واستعدوا للسفر معهم . وقبل خروجهم ، الجنرال بليار اقام جسد كليبر من المحل الموضوع به بتابوت رصاص ، فامر بنقل التابوت للجيزة باحتفال عظيم ومحفل جسيم ، وضربوا مدافع كثيرة ، وامر بتنزيل جثة سليمان القاتل مع الثلاثة رؤس ارفاقه ، لانهم كانوا محنطين ومصبرين ، فانزلوهم بحقارة للجيزة لآخذهم لفرنسا . ثم ان بعد الاثنى عشر يوماً المعينة لخروجهم من مصر الى الجيزة ، بعد تجهيز كامل ما يلزم للجمهور الفرنساوي ، نهض بليار في العساكر الفرنساوية من القاهرة الى الجيزة في ٢٨ صفر سنة ١٢١٦ (٦) .

وخلت مصر من الفرنساوية ، ودخلت عساكر الوزير للمدينة . وكان فرح لا يوصف عند

(١) الجلاء عن .

(٢) الجنرال فارايون بليار Le Général de division Belliard وقد وردت (فارايون) اي (فرقة Division) في نسخة الشهابي (انظر : نسخة الشهابي ، ص ٣٣٥ ، وترجمة اينيه (Op. cit. P. 261) .

(٣) هو نفسه الجنرال بارتليمي Barthélemy الذي سبق ذكره ، وهو من جزيرة « سيو » اليونانية .

(٤) وردت في الاصل (خشون) فاقتضى التصحيح .

(٥) عامة .

(٦) الموافق للعاشر من تموز / يوليو ١٨٠١ م .

الاسلام ، وغمّ عظيم عند من كان من طرف الفرنساوية خاصّ وعامّ. وتخبّت^(١) النصارى واليهود في منازلهم ، وكانت العساكر الاسلامية اى من وجدوه يعيروه بعد ما يهينونه^(٢). وعندما بلغ الصدر الاعظم احوال العساكر ، ارسل اغاة الانكشارية اطلق التنبيه بالمدينة ، على الامان وعدم معارضة الرعية ، ورفع الظلم والعدوان. وفرّق الظابتن^(٣) على جميع الحارات وفى الشوارع والمحلات. هذا والعسكر الفرنساوي لم يزل مقيم في برّ الجيزة ، حينما تتجهّز لهم المراكب لحمل اثقالهم لابوقير .

ومن بعد اربعة ايام من دخولهم الى الجيزة ، تحضّرت لهم المراكب ، فاشحنوا^(٤) بها من الاثقال والامتعة والنساء والاولاد وجميع الذين لا يقدرّون على المسير في البرّ ، وساروا برّاً وبحراً. وسارت امامهم عساكر الانكليز ، ومن وراهم حسين باشا بعساكره ، وهم في وسط الفريقين. وساروا اربعة عشر يوماً من الجيزة الى قرب رشيد ، ومكثوا هناك بينما تتجهّز لهم الذخاير^(٥) والمراكب ، فتجهّزت ، وسافروا من ابوقير في غاية ربيع الاول سنة ١٢١٦^(٦) طالبين فرنسا. وكانت الانكليز ، حينما خرجت الفرنساوية من مدينة الجيزة ، تسلّموها وجعلوها محلاً لعساكرهم. ومن بعد سفر الفرنساوية بثمانية ايام ، مرض الجنرال يعقوب القبطى ومات . فهذا ما كان من بليار .

وامّا امير الجيوش منو والفرنساوية الذين بمدينة الاسكندرية ، فابوا الصلح والتسليم . وانهم لا يخرجون منها إلا بعد حرب عظيم . وكان ، بعد خروج الفرنساوية من مصر [القاهرة] ودخول عساكر الاسلام ، دخل وزير الختام ، وحسين باشا قبطان ، بمحافل عظيمة . ودخل صحبتهم ابراهيم باشا المحصل والى جلب ، وابراهيم باشا الى ديار بكر ، ومحمد باشا ابو مرق ، وطاهر باشا ارناوط ، واغوات الانكشارية ورجال من الدولة العلية . ومن امراء مصر ابراهيم بيك الكبير ، وولده مرزوق بيك ، وعثمان بيك الطنبورى ، وعثمان بيك البرديسى ، والالفى ، ومحمد بيك المنفوخ ، ومراد بيك الصغير ، وعثمان بيك الاشقار ، وسليم بيك ابو دياب ، وعلى بيك ، وايوب بيك ، وعدّة كشاف^(٧) . وكان يوماً عظيماً ، وخرجت لمقابلتهم علماء مصر واعيانها وكافة اعوامها وسكّانها ، وانتشرت

(١) اختبأ .

(٢) يعيروه : الصواب يعيرونه (بالباء المشددة) ، اى : يقبّحونه وينسبون اليه العار ، ويهينونه : الصواب يهينونه (بالياء المخففة) ، اى : يحقّرونه .

(٣) جمع غير صحيح لكلمة (ضابط) ، وقد وردت (الظباط) بالطاء ، في نسخة الشهابي (ص ٣٣٦) .

(٤) فشحّنوا .

(٥) المؤن .

(٦) آخر ربيع الاول عام ١٢١٦ هـ . الموافق للعاشر من آب / اغسطس ١٨٠١ م .

(٧) رؤساء مقاطعات .

الاعلام وانسرت الانام، وفرحت الاسلام بخروج الافرنج الليام. وصاحت المسلمون ما هذا الا نصرآ من الله وفتحاً^(١). وهاجوا هياجاً عظيماً على النصارى، وقدّموا عروضات الى الوزير في قتلهم ونهبهم وسلبهم، فلم يصنع ذلك العادل لبغيهم ووشيعهم. ولم يلتفت لفسادهم ومكرهم. واصدر فرمان خطياً لسائر الحكام والقضاة، بان لا يقبلوا دواعي^(٢) التي حدثت بايام الفرنساوية في الايالة المصرية، جزئية^(٣) كانت ام كلية. ولم يرتض هذا الصدر النبيل ان يلتفت الى هذا القال والقيل، بل سلك مع الرعايا سلوك الملوك العادلين والسلاطين الاقدمين، وترك الانتقام لله الملك العلام. وكان [يوسفاً]^(٤) ثانياً بالامانة الى مصر الكنانة. وابتهجت مصر بزمانه من شيمه وعزيز امانه. وكثر البيع والشرا، وعمرت المدن والقرا، وربحت التجار [وتواردت]^(٥) من سائر الاقطار. وفرحت الخلق طراً. ونارت^(٦) به مصر وانشدت بذلك شعراً. وهو هذا:

اتى صدر الصدور لارض مصر بنصر اشرقت فيه الديانة
بعام قد كساه النورارخ به فتحت بيوسف الكنانة

واما حسين باشا قبطان، بعد ما بات ليلة في مصر [القاهرة]، خرج الى الجيزة وسار مع الفرنساوية كما ذكرنا. وبعد ما مهّد^(٧) الوزير مصر، اعطا ولايتها الى محمد باشا ابو مرق الذى كان عنده وكيل خرج. وهذا كان اصله من مدينة غزة من عامة الناس، فاسعدته الاقدار باذن [الواحد]^(٨) القهار، حتى ارتقى الى هذه المنازل العالية عند الصدر الاعظم بالتفاتة اليه، والقى نظره عليه. فتقمّقت^(٩) الوزراء الباكون، كونه ابن عرب قدّمه على الآخرين. ومن المعلوم ابن العرب عند ابن الترك مقاماتهم مخفوضة وراياتهم منقوصة^(١٠). وقد كان الوزير الاعظم، قبل تملك القاهرة

(١) نصر من الله وفتح قريب.

(٢) دعاوى.

(٣) كتبت في الأصل (جزئية) فاقتضى التصحيح.

(٤) وردت في الاصل (يساقاً) فاقتضى التصحيح. وقد وردت كذلك (يوسفاً) في نسخة الشهابي (ص ٣٣٧)، والمقصود (بيوسف الثاني) هو وزير الاختام يوسف باشا وقد مرّ ذكره. اما يوسف الاول فهو النبي يوسف (عليه السلام).

(٥) وردت في الاصل (نوادرت) فاقتضى التصحيح.

(٦) واستنارت.

(٧) وردت «بعد ما مهّد الوزير أمر مصر» في نسخة الشهابي (ص ٣٢٨). وترجمها اينيه «بعدما اعاد الامن (Rétablir L'ordre) في مصر» (Ainé, P. 266) وتأتي هنا في هذا السياق.

(٨) وردت في الاصل (الوحد) فاقتضى التصحيح.

(٩) نذمرت.

(١٠) مكّسدة.

اوعد^(١) لطاهر باشا الارناوط بولاية مصر ان فتحوها بالسيف. فحيث التفت^(٢) الامور وخرج بالصلح الجمهور، فبطل الوعد لطاهر باشا، وكذلك لارضاء رجال الدولة به^(٣). فلاجل ذلك عدل عن تولي طاهر باشا وتولى محمد باشا ابو مرق. فارسل لدمياط احمد باشا ميرمران^(٤) وامره باخراج الفرنساوية من العزبة بامان. فارسل احمد باشا طمن الفرنساوية، فلم يامنوا، بل تركوا القلعة وساروا لرشيد ليلاً، وسلموا انفسهم للانكليز. فهذا ما كان من الوزير وما دبر بالديار المصرية.

واما ما كان من الاسكندرية، فان امير الجيوش عبد الله منو، حين حصلت له تلك الشروط، فاعتمد على المحاربة، وبدا في بناء الحصون والمتاريس خارج البلاد، وكان منتظر الامداد من بونابارته بما سبق من الاوعاد^(٥). وبعد سفر بليار ومن معه من العساكر، سارت العساكر الانكليزية والعثمانية الى الاسكندرية، ودارت بها برّاً وبحراً. وانتشب بينهم الحرب والقتال، بالمدافع والقناير الثقيل. ولم تزل القناير والمدافع تتساقط وتزداد، وهم صابون من تلك الحرب والجلاد، الى ان قلّ ما عندهم من الزاد، وصار قحط مريع وجوع فزيع، ومات كثير منهم من الجوع وبليوا^(٦) بالويل والفجوع. وكانوا يطحنون الرز وياكلونه، فيكون به اداء دون الغداء. وانقهر امير الجيوش من مخامرة^(٧) الجنرالين رانيه وداماس، فعقد ديواناً وشرع يبرهن خيانة الجنرالين المذكورين، والضرر الذي حدث منها ضدّ العسكر. فاثبتت الشريعة عليها الحقوق، وامر امير الجيوش بالترسيم^(٨) عليها في منازلها، وخلع الجزالية عنها، وضبط اموالها وتعلقاتها^(٩). هذا والحروب قائمة والنيران دائمة، والهجمات على متاريس الفرنساوية متصلة، وملاحمة^(١٠) غير منفصلة. وفي تلك الايام، حضر من بلاد الفرنساوية ستة الاف صلدات في المراكب، وقصدوا اسكلة

-
- (١) وعد طاهر باشا.
(٢) وردت (تلطفت) في نسخة الشهابي (ص ٣٣٨) وهذا هو المرجح.
(٣) يظهر أن رجال الدولة الذين كانوا محيطين به لم يكونوا موافقين على تولية طاهر باشا، وهذا ما يفهم من ترجمة «اينيه» (Alné, Ibid).
(٤) الميرمران: لقب يعطى للباشا بتوغ (Toug) ذي رتبتين، وهي مرتبة (جنرال بنجمتين) (Pacha à 2 queues). راجع كتابنا (التاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية، ج ١: ٩٩).
(٥) الوعود.
(٦) بكوا (من ابتلى، بلية).
(٧) مخادعة، مخاتلة.
(٨) الحجز، الحبس.
(٩) ما يتعلق بهما، ما يملكانه.
(١٠) متلاحمة.

درنة. وهذه بلد على شطّ البحر المالح في برّ الاسكندرية. فبلغوا الانكليز قدومهم، فساروا اليهم مجذّين. وحين شعروا بهم ولّوا منهزمين. وحضروا أيضاً مراكب انكليز الى قُصير، وبهم عساكر من بلاد الهند ورؤساءهم انكليز. ورجال الهند بلون السودان، وهم مختلفون الاديان، فمنهم يعبدون النيران، ومنهم يعبدون الاوثان. ولهم مذاهب متفرقة ولغات متنوعة. ولا يلبسون سوى القمصان. فقط فهولاء القوم قد خرجوا من مراكبهم الى القصير، واتوا الى مدينة الجيزة حيث كان المعسكر هناك. ونصبوا المضارب والخيام، واستقروا بها ايام. وقيل انه جاز في ذات يوم احد العساكر المصريين في وطاق^(١) هولاء الهندين واخذ ناراً، فوثبوا عليه وكادوا يقتلونه. وقدّموه الى سارى عسكرهم ليقضى عليه بالموت. وادّعوا انه لمس الالههم^(٢)، فخاف الرجل خوفاً عظيماً وقال: انى لست اعلم ما ذنبى. فرحه السر عسكر اذ هو من الانكليز، وامر لذلك المصري ان يدفع لهم ثمن الطعام الذى نجسه لما لمس النار. وبعد ما استقروا اياماً وجيزة في مدينة الجيزة، ساروا الى مدينة الاسكندرية لاجل محاربة فرنساوية. وكان في ذلك الوقت مشدّة القتال والجدال، وازداد الحصار فى البرارى والبحار، وزادت النار وقصرت الاعمار، وكلّ من الحرب كل قرم جبار.

وبعد مضايقة كلية ومحاصرة قوية، ملّت العساكر فرنساوية، وعزمت على [تسليم]^(٣) الاسكندرية، ومسيرهم في الامان الى منازلهم والاطوان. فارتضت معهم الاسلام بان يخرجوا بالسلام، ويتركوا جبّاناتهم واسبابهم^(٤)، ويمضوا بسلاحهم وذهابهم فقط. وخرجوا من الاسكندرية على هذا النمط.

وبعد وقوع الصلح والاتفاق، صنع امير الجيوش عبد الله منو وليمة عظيمة للسر عسكر الانكليز، والى رجال الدولة العثمانية. وقدّم لهم الطعام، وهو من لحوم الخيل والفار والقطاط والكلاب الوحام^(٥). واذ تفرّسوا بها سالوه عن تلك اللحوم، ولم ينكر عنهم واجابهم: انه ليس يوجد عندى غير ذلك، ولم يوجد عند فرنساوية ما يسدّوا به رمق [الفؤاد]^(٦) لما سلّموكم البلاد. فرفعوا اياديهم عن الطعام وهم متعجبون من تلك الكلام.

(١) خيمة، معسكر، وقد مرّ ذكره.

(٢) الالههم.

(٣) وردت في الأصل (التسليم) فاقتضى التصحيح.

(٤) كل ما لديهم من وسائل ومعدات.

(٥) الوحام: قول عامي يقصد به: الرديء، والقذر. ولغة: شيء وخيم: شيء وبيء. والطعام الوحيم: الطعام الفاسد.

(٦) وردت في الاصل (الفؤاد) فاقتضى التصحيح.

وخرجوا الفرنسية من الاسكندرية. وتقاسما الدولتان الانكليزية والعثمانية جميع ما تركوه الفرنسية، لانهم خرجوا بسلاحهم فقط، وساروا في مراكب الانكليز الى بلاد باريز، وخلقوا مدافع وجبجانات وامتعة وذخاير وخيرات. وكان تسليم الجنرال بليار وخروجه اصلح شان من تسليم منو في الذل والهوان ولكن قد افتخر الجنرال منو على بليار انه ما وقع التسليم الا بعد الحرب العظيم والجوع الجسيم. فهذا على مقتضى شرايع مشيختهم واحكام دولتهم.

وكانت مدة حصار الاسكندرية ستين يوماً، وكان خروجهم في اواخر ربيع الثاني سنة ١٢١٦^(١). وحضرت البشائر للصدر الاعظم، فامر بشنك عظيم، وفرح فرحاً جسيماً، وضربت مدافع كثيرة وحراقات غزيرة. وابتهجت الاسلام ورفعت الاعلام، وحمدوا رب الانام، وقالوا الحمد لله على تاييد الدين. وهذا نصر من الله وفتح مبين امين.

[خاتمة]

وقد تمت اخبار الفرنسية، وما حدث من الوقايع في الديار المصرية. وكانت اقامتهم بتسعة وثلاثين شهراً، وكانوا، من دخولهم الى خروجهم، ما استكنوا^(٢) من الحرب والقتال والمنازعة والجدال. وقد مات منهم خلق كثير، واهلكوا من الاسلام عالم لا يرام. والحمد لله على الدوام امين

(١) الموافق لاول ايلول / سبتمبر ١٨٠١ م.

(٢) استكنوا.

ملحق

الحق « اينيه » ، في ترجمته لهذا الكتاب ، قصيدتين ذكرانه وجدهما في احدى مخطوطات الكتاب بالعربية ، احدهما نظمها المؤلف تحية لبونا برت (وقد سبق وأشرنا اليها في احد الهوامش) ، والثانية في رثاء الجزال (كليبر) ، وفيما يلي نص القصيدتين :

- ١ -

- في مديح بونا برت -

عثر عليها المترجم في المخطوطة العربية التي استعارها من « كوسان دي برسفال Coussin de Perceval » ، ويرجع تاريخ نظمها الى عام ١٢١٣ هـ . وقد وردت هذه القصيدة في « ديوان المعلم نقولا الترك » تحقيق فؤاد افرام البستاني ، والصادر عن مديرية الآثار ببيروت ، عام ١٩٤٩ (ص ١٨٠ - ١٨٢) ، وفي الديوان نفسه ، الصادر عن منشورات الجامعة اللبنانية ببيروت عام ١٩٧٠ (ج ١ : ١٨٠ - ١٨٢) .

لله عصر قـد زهـا	فلك السعادة فيه دار
وجال كوكب دولـة الـ	سجيش الفرنساوي انار
يا حسنـها من دولـة	بالافتخار لها اشتهار
مقدمـها ذو سطوة	تهدي الملوك له الوقار
الشهم بـونابـارته	ليث الوغا والاقتدار
من فاق قـدراً وارتنقى	اوج العلا وسما الفخار

نَسْدَبُ تَوْحَدَ بِالسُّورَى
 قَهَرُ الْمَالِكِ جَعَلَتْ
 وَاتَّأَلْنَا بِجُجَافِلِ
 وَتَمَلَّكَ الْإِسْكَنْدَرِي
 وَمَلَأَ الْأَرْضَى عَسْكَرًا
 مِنْ كُلِّ صَنْدِيدٍ فَتَى
 صَفَّ الصَّفُوفَ بِحِكْمَةٍ
 وَسَطَى بِشِدَّةٍ عَزْمَةٍ
 وَارَاهُمْ خَطْبًا عَدِيدٍ
 وَاثَارَ نَارِ الْحَرْبِ فِي
 يَوْمٍ يُقَالُ بِهِ لَهُ
 فَهْنَاكَ جَيْشَ الْغَزَا قَدْ
 وَارَاوَا الْمَنِيَّةَ فَوَقَهُمْ
 ذُو الْبَطْشِ مِنْهُمْ وَالْفَتَى
 وَتَبَدَّدَتْ تَلَكُ الْجَمَا
 وَتَشْتَتِ أَمْرَاءُهَا^(١)
 وَفَتَّوحَ مِصْرَ كَانَ فِي
 فِي يَوْمٍ سَبَتْ فِيهِ قَدْ

بشهادة ذات اعتبار
 وغزا البلاد مع الديار
 ومراكب طوت البحار
 به سرعة دون اعتبار
 حول الكنانة واستدار
 يوم القتال له اصطبار
 وفنون حرب واختبار
 وعلى جيوش الغزغار
 د الهول فيه العقول حار
 يوم تشيب به الصغار
 درك من نهار
 صاح الهزيمة والفرار
 قد امطرت جرات نار
 طلب النجا وبه استجار
 هير العديدة في القفار
 وغدت بذل وانكسار
 صفير وامر الله صار
 ارتخت تم الانتصار

سنة ١٢١٣

- ٢ -

- في رثاء كليبر -

عثر عليها المترجم في المخطوطة العربية التي وجدها في المكتبة الملكية بباريس، وقد ألحقت القصيدة بآخر المخطوطة. ويرجع تاريخ نظمها الى عام ١٢١٥ هـ. وقد وردت هذه القصيدة في «ديوان المعلم نقولا الترك» تحقيق فؤاد افرام البستاني، والصادر عن مديرية الآثار ببيروت عام ١٩٤٩ (ص ٤٢٨ - ٤٢٩)، وفي الديوان نفسه الصادر عن منشورات الجامعة اللبنانية ببيروت عام ١٩٧٠ (ج ٢: ٤٢٨ - ٤٢٩).

وفت المنية والحياة قد انقضت وسطا الحما على الكمي الظافر

(١) امرأؤها.

فأبكوا الشجاع البطش والبطل الذى
كم فى اراضى الروم لذكرى بصره
لا تنكروا فعلى بغوطة جلق
وسبيل علام لبطشى مشاهد
اذ بادروا الاتراك فى اقبالهم
فهناك بددت الجيوش بصارمى
من باب مصر للعريش اسقتهم
كم دست هام مقادم غادرتها
ونشرت اعلامى على رؤس الملا
واذ كان ما فى الموت تدبير ولا
فغدى اخس الخلق منهم قاتلى

ظفرت يدها بكل قرم^(١) فاجر
ولكم فتكت بجفيل وعساكر
حيث العداة بمرج ابن العامر
ينبيكم عن فعل سيفى الباطر^(٢)
يتلاطمون كموج بحر زاخر
وتركتهم أعجوبة للناظر
سوق الخراف امام وجه الزاجر
اسرى يدي وقهرت كل مشاجر
طُراً واخضعت الورى لاوامر
حيل ولا صد لحكم القادر
والسائل الصعلوك ارخ غادر

سنة ١٢١٥

.....

(١) القرم: الفحل من الرجال .

(٢) الباطر: القاطع .

مراجع المحقق

I - بالعربية :

- الايوبي، الهيثم، وآخرون، الموسوعة العسكرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٧.
- البستاني، المعلم بطرس، محيط المحيط، بيروت، ١٨٧٠م، ١٢٨٦هـ.
- الترك، نقولا، ديوان المعلم نقولا الترك، تحقيق فؤاد افرام البستاني، طبعة منشورات مديرية الآثار، بيروت، ١٩٤٩.. وطبعة منشورات الجامعة اللبنانية بيروت ١٩٧٠، والطبعتان متاثلتان حتى بأرقام الصفحات وعددها.
- الجامعة العربية، لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيش العربية، المعجم العسكري الموحد، القسم الثاني، (فرنسي - عربي)، القاهرة، ١٣٩٠هـ، ١٩٧٠م.
- الجبرتي، عبد الرحمن، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والاخبار، دار الجيل، بيروت، لات.
- رستم، اسد، الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا، المجلد الخامس، بيروت، الجامعة الاميركية، منشورات كلية العلوم والآداب، ١٩٢٩.
- سويد، ياسين، التاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية في عهد الامارتين، جزءان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٠ و ١٩٨٥.
- الشهابي، حيدر احمد، لبنان في عهد الامراء الشهابيين، من كتاب الغرر الحسان في اخبار ابناء الزمان، تحقيق رستم والبستاني، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٩.
- مختار باشا، محمد، كتاب التوقيعات الالهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنجية والقبطية، المجلد الثاني، تحقيق وتكملة: محمد عماره، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٠.
- منظمة التحرير الفلسطينية، خارطة فلسطين عام ١٩٤٨، مركز الابحاث، بيروت، لات.

- النخيلي، درويش، السفن الاسلامية على حروف المعجم، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩.

- ياقوت، شهاب الدين ابي عبد الله، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لات.

II - بالفرنسية :

- Aîné, Desgranges (Secrétaire interprète du Roi), Histoire de L'expédition des Français en Egypte, (Traduit du texte arabe de: Nakoula El-Turk). Imprimerie royale, Paris, 1839.
- Quillet, Encyclopedie, Ed. quillet, Paris, 1972.
- Ismail, Adel, Documents diplomatiques et consulaires, T. 2. Ed. des oeuvres politiques et historiques, Beyrouth, 1975.

فهرس

٥.....	- مقدمة المحقق
١٧.....	- فاتحة الكتاب
١٨.....	• ذكر الثورة الفرنسية
٢٦.....	✓ ذكر مسير بونابرت إلى مصر
٣٢.....	✓ ذكر الحرب بين بونابرت والمصريين واحتلال بونابرت لمصر
٤٥.....	• ذكر ما صنعه أمير الجيوش في جريان النيل
٤٦.....	• ذكر ما صنعه أمير الجيوش في مولد النبي الواقع في ١٢ ربيع أول سنة ١٢١٣
٤٦.....	• ذكر العيد الذي صنعه أمير الجيوش للمشايخة في ربيع ثاني سنة ١٢١٣
٤٧.....	• ذكر أمير الحج لما خرج في الحج قبل دخول فرنسا
٤٩.....	• ذكر ما تم في ممالك الدولة العثمانية
٥٨.....	• ذكر ما حدث بمصر (معركة القاهرة)
٦٣.....	• ذكر الحملة على بلاد الشام
٦٦.....	• ذكر حصار قلعة العريش واحتلالها
٦٩.....	• ذكر الحرب بين بونابرت والجزائر واحتلال غزة ويافا

- ذكر حصار عكا ٧٤
- ذكر معارك بونابرت في بلاد الشام ٧٦
- ذكر تخلي بونابرت عن حصار عكار وعودته إلى مصر ٨٠
- ذكر الحرب بين بونابرت والعساكر العثمانية ٨٨
- ذكر مغادرة بونابرت مصر خلصة الى باريس ٩٦
- ذكر تكليف الجنرال كليبر قيادة الجيش الفرنسي بمصر ٩٧
- ذكر المفاوضات لجلا والفرنسيين عن مصر ١٠١
- ذكر عملية قلعة العريش ١٠٣
- ذكر شروط الصلح بين فرنسا والباب العالي ١٠٥
- ذكر ما جرى بعد ذلك بين الانكليز والفرنسيين والعثمانيين ١١٤
- ذكر الحرب بين الفرنسيين والعثمانيين ١٢٢
- ذكر الاتفاق بين الفرنسيين والعثمانيين ١٣٢
- ذكر مقتل امير الجيوش الجنرال كليبر ١٣٦
- ذكر امير الجيوش الجنرال عبد الله منو ١٤٠
- عودة الى ذكر امير الجيوش بونابرت ١٤١
- ذكر ما جرى للوزير الأعظم ١٤٤
- ذكر نزول العساكر الانكليزية والعثمانية في ابوقير ١٤٦
- ذكر الطاعون الذي حدث في مصر ١٤٨
- ذكر الحرب بين الفرنسيين وبين الانكليز والعثمانيين ١٤٩
- ذكر المفاوضات بين الفريقين المتحاربين ١٥٢
- ذكر شروط الصلح بين الفريقين المتحاربين ١٥٤
- ذكر جلاء الفرنسيين عن مصر ١٦١
- خاتمة ١٦٦
- ملحق ١٦٧

١٧١.....	- مراجع المحقق
١٧١.....	I- بالعربية
١٧٢.....	II - بالفرنسية
١٧٣.....	- الفهرس

- الكتاب الذي بين أيدينا هو لكاتب «شامي» إشتهر، فيما بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (١٧٦٣ - ١٨٢٨) بالمعيتة وشاعريته وسعة إطلاعه. إنه «المعلم» نقولا بن يوسف بن ناصيف آغا الترك.
- يبدأ المؤلف كتابه في سرد لمحة موجزة عن الثورة الفرنسية ومصير الملكية في فرنسا، ثم ينتقل إلى وصف مسير بونابرت إلى مصر بحراً. وحروبه فيها واستيلائه عليها.
- ينتقل بعد ذلك ليصف حسنة بونابرت على بلاد الشام وحصاره لقلعة العريش، واحتلاله لغزة ويافا، وباقي معاركه في بلاد الشام. ثم حصاره لعكا وعودته عن ذلك الحصار بعد أن أصيب جيشه بالطاعون، ووصول أنباء من فرنسا بأن مؤامرة تحاك ضده.
- ينتقل المؤلف، بعد كل هذه التفاصيل المثيرة، إلى وصف القتال الذي جرى بين الفرنسيين من جهة وبين الانكليز والعثمانيين من جهة أخرى.
- إنه بحق صحفي تلك الأحداث يرويها كما سمعها وكما وصلت إليه، دون زيادة أو نقصان.